توضيح النسفي

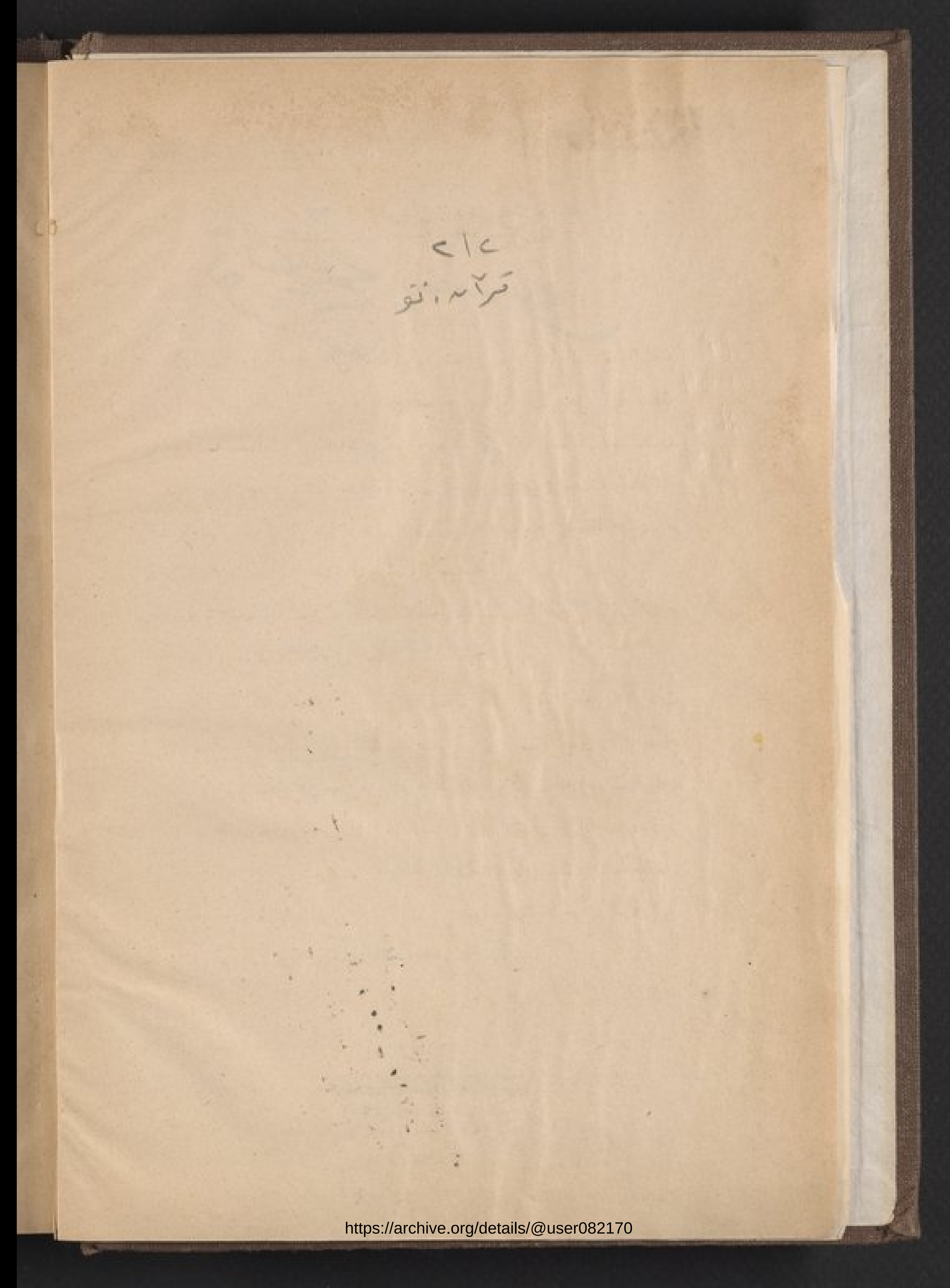
تأليف
مصطفى محمد الحديدي الطير
من أعضاء جماعة الأزهر للنشر والتأليف

يشتمل هذا الجزء على مقرر السنة الخامسة الثانوية بالمعاهد الدينية
من تفسير أبي البركات النسفي معلقاً عليه

عني فيه المؤلف بضبط النسفي وتفصيل مجمله واستدراك فائته
وتخريج أحاديثه وشرح غريبه واستيفاء أسباب النزول فيه وغير ذلك

الطبعة الأولى

القاهرة
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
٤٠ شارع ... (...)
١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى العربى الأمى ، الذى جمع حول الحق قلوب العرب ، بمنطقه الفصيح ، وحجته السافرة و إرادته القاهرة ، وخلقه الكريم ، وشيمه الغر ، ومسلكه فى الناس منذ صباه . ودعم بذلك كله قوة القرآن فى مبناه ، وسموه فى معناه ، واستقامته فى أغراضه ، وصلاحيته لكل جيل وعنصر ، فى شرائعه وقوانينه ، واشتماله على دعائم السمو الاجتماعى ، وأسباب السعادة الدنيوية والأخروية .

وعلى آله وأصحابه والتابعين ، بقدر ما بذلوه فى نشر الهداية عن كتاب الله ، وتوضيح غاياته ، ورفع لوائه خفاقاً فى العالمين .

أما بعد فقد ظل كتاب مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل (للإمام أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى) مؤلفاً عظيم القيمة بين كتب التفسير ، فقد أفصح فى أسلوب فاخر وفهم موفق عن معانى القرآن الكريم ، وكتب عن أسباب نزوله ، وأشار إلى نواحى الفصاحة ووجوه البلاغة فيه ، وأعرب ما استدق إعرابه منه ، وذكر وجوهاً من قراءاته ، فى أسلوب مختصر ، ونزعة معتدلة ، فكان بذلك كتاباً جامعاً ، مغنياً عن أسفار مطولات تمل القارئين ، وتصرفهم عن أمواج حوارها خوف الغرق فيها .

وقد سهل على الشيخ النسفى رحمه الله أداء رسالته أن اتخذ كتاب الكشاف للزمخشرى أصلا له فأتقن إتقانه ووفق توفيقه ، فإن كتاب الكشاف أوفى على الغاية التى يمكن أن تصل إليها مقدرة العلماء فى تبيان كتاب الله تعالى ، فلا غرابة فى أن تجد النسفى إذ يستقى من معينه قد بلغ من الإحسان الحد الذى انتهى إليه . ومهما زاد النسفى

أو نقص فلفظ الزمخشرى وطابعه وأفكاره واتجاهاته تتجلى بصورة واضحة فيما كتب .

وليس خفياً على من مارس فن التفسير وقرأ كتبه أن المتأخرين عن الزمخشرى من المفسرين اتخذوا كتابه لهم إماماً ، لاتفاق الجميع على قوة الفتح الذى فتح الله به على ذلك العالم العظيم فيما تصدى له من كتاب الله ، بصرف النظر عن آرائه الاعتزالية التى لا يوافقونه عليها .

لكن الشيخ النسفى كان أكثر أولئك المفسرين احتضاناً لأفكاره واستخداماً لعباراته فهو من هذه الناحية مفسر لكتاب الله تعالى فى حدود رسمها ذلك الشيخ العظيم فى معظم كتابه دون نزاع .

والقارئون لكتاب النسفى يرونه مكتنزاً ، يطوى معانى مختلفة ، و يتضمن مذاهب فقهية وأصولية ونحوية وغير ذلك ، فى عبارات ضيقة ، كثيراً ما تدق على أهل الصناعة .

فإن رجعنا إلى أصله ليساعدنا على فهم مراده فقد نصل إلى ما نريد ، وقد لا نصل ؛ لأنه أحياناً ينفرد عنه بما كتبه اجتهاداً أو تلخيصاً لآراء لم يتحدث عن مصدرها ، وأحياناً يلخص عبارات أصله بأسلوب غامض نجد تبيانه فيما بسطه أصله ، وأحياناً نجده وأصلَه متفقَيْن فى عبارة واحدة عالية غامضة تحتاج إلى بيان من كتب اللغة أو التفسير أو سواهما ، أو من وعى سليم من قارىء واسع الاطلاع .

فهو من أجل ذلك لا يقرأ وحده ليفهم كل ما فيه ، فلا بد للقارىء من الرجوع إلى أصله ، وإلى مراجع أخرى فى علوم مختلفة .

والقارئون له من غير العلماء لا يتيسر لهم ذلك ، وأما العلماء فإنهم ينفقون فى التنقيب عن غوامضه وقتاً طويلا ، والوقت ثمين عند أهل العلم ، لو اقتصد فيه لأمكن تحقيق مقاصد مختلفة ، فلهذا كانت الحاجة داعية إلى توضيح لذلك الكتاب الجليل يكون معه فى كتاب واحد ليرجع إليه فَوْرَ الحاجة .

وقد يَسَّرَ الله لى رغبةً ملحة فى تحقيق هذا الغرض خدمة للعلم وذويه ، وطمعاً فى مثوبة الله سبحانه وتعالى ، فعمدت إلى الكتاب فضبطت منه ما يحتاج إلى ضبط ،

وصححت أغاليط الطبعة المنتشرة بين الناس ، وخرجت أحاديثه ، وبسطت أسباب نزوله ، وكشفت اللثام عن غامضه ، وفصلت مجمله ، ونبهت إلى أخطائه ، وذكرت الصواب فيما أخطأ فيه ، وشرحت مفرداته اللغوية ، واستكملت الناقص من مباحثه المختلفة بقدر الحاجة الملحة ، ورجعت ما فيه من آراء إلى قائليها ، إلى غير ذلك مما تتبينه أيها القارىء وتعرف به مقدار الذى بذل فيه من جهدٍ جاهد .

وإنك لتجد فى الصفحة الواحدة من الأصل أكثر أو أقل من ثلاثين موضعاً تحتاج إلى تعليق حققنا لك الأمل فيه فى أسلوب سهل مقبول ، ولا يغرب عن ذهنك أن هذا عمل بكر لم يسبقنا إليه أحد فيما نعلم ؛ فلله الحمد على ذلك .

ونرجو بتحقيق ذلك أن نكون قد أرضينا رغبات ملحة طالما انبعثت فى نفوس قارئى ذلك الكتاب ، وأن نكون فيه إلى الصواب الكامل أقرب ، أما ادعاء الصواب المحض فضرب من الغرور نعوذ بالله منه ، على أنه لم تجر العادة فى مؤلَّف بخلوه عن وجوه من النقص وألوان من الخطأ — وسبحان من لا يجوز فى كتابه شىء من ذلك .

وقد بدأنا بتوضيح آخر الكتاب تعجيلا بالنفع لطلاب المعاهد الدينية الثانوية ، فإن مقررهم فى أواخره ، وجعلنا الباكورة للسنة الخامسة ، وسيتلوها بإذن الله مقرر السنتين الرابعة والثالثة .

وأرجو أن يَنْسَأَ الله فى أجلى وأجل من يود مشاركتى من أعضاء جماعة الأزهر للنشر والتأليف حتى تتم هذا الكتاب ، فإن لم يتحقق الرجاء فحسبى أننى وضعت الأساس لمن يوفقه الله تعالى من العلماء لتحقيق ذلك الأمل — والله ولى التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفقير إلى معونة الله تعالى

مصطفى محمد الحديدى الطير

من علماء الأزهر ومدرسيه

ســورة التغابن

ثمانى عشرة آية مختلف فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

(يسبح [1] لله مافى السموات ومافى الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير) قُدِّم الظرفان [2] لِيُدَلّ بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل، وذلك [3] لأن الملك على الحقيقة له لأنه مُبدئ [4] كل شىء والقائم به [5] وكذا الحمد [6]

سورة التغابن

مدنيــة عند الأكثرين ، وعن ابن عباس وعطاء بن يسار أنها مكية إلا من قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم » إلى آخر السورة .

وسميت سورة التغابن لأن المؤمنــين يستولون على منازل الكفار بالجنة التى كانوا يأخذونها لو آمنوا ، فهو يوم استيلاء المؤمنين على منازل الكافرين ، وقد سمى هــذا الاستيلاء غبنا على الاستعارة التهكمية ، والتفاعل فى هذا التوجيه على غير بابه ، وسنتوسع فى الحديث عن مادة التغابن فى موضعها من السورة .

(١) التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولا وعملاً ، وإبعاده عما لايليق به سبحانه ، من سبح فى الارض والماء إذا ذهب وأبعد فيهما ، وهو متعد بنفســه كما فى قوله تعالى « وسبحوه » واللام إما مزيدة للتأكيد كما فى نصحته ونصحت له ، أو أصلية للتعليل ، والمعنى يسبح لأجل الله خالصاً لوجهه ، ومجيئه فى بعض السور ماضياً وفى بعضها مضارعاً مؤذن بتحققه فى جميع الأوقات .

(٢) أى قدم الجار والمجرور الواقع خبراً مقدماً فى كل من له الملك وله الحمد ، على المبتدإ المعرف باللام الاستغراقية فى كل ، وهو الملك والحمد .

(٣) الإشارة راجعة إلى الاختصاص المذكور .

(٤) مبدئ أى خالق ، اسم فاعل من أبدأه بمعنى بدأه أى فعله ابتداء .

(٥) أى المتولى أموره بعد خلقه .

(٦) أى الحمد مثل الملك فى الاختصاص بالله تعالى .

لأن[1] أصول النعم وفروعها منه[2] وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء[3] وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده[4] (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أى فمنكم آت بالكفر وفاعل له، ومنكم آت بالإيمان وفاعل له[5] ويدل عليه قوله (والله بما تعملون بصير) أى عالم وبصير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم، والمعنى هو الذى تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والإيجاد عن العدم، وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين، فما بالكم تفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن. وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم وهو[6] رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية، ومنكم مؤمن به (خلق السموات والأرض بالحق) بالحكمة البالغة، وهو أن جعلها مقارّ المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن صوركم) أى جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه، بدليل أن

---

(١) تعليل لاختصاص الحمد بالله المستفاد من قوله وكذا الحمد.

(٢) وهذا يقتضى تفرده تعالى بالحمد.

(٣) هذا جواب لمن يقول إن لغير الله مُلكاً، فكيف يقصر فى الآية الملك على الله تعالى، ومعنى الاسترعاء الاستحفاظ.

(٤) هذا جواب لمن يقول إن غيره تعالى يحمد، فكيف يخصص الحمد به سبحانه، والمراد من الاعتداد الاعتراف، وحقه أن يقول وحمد غيره تعالى على نعمته متضمن لحمده سبحانه، لأنه أجراها على يديه فكأنه لم يُحمد إلا مسديها الحقيق وهو الله تعالى، وإن لم يقصد الحامد ذلك كالدهرى، لأن الحامد إنما قصد بحمده المنعم لأجل إنعامه، ولا منعم سوى الله فى الحقيقة.

(٥) تفسير الآية بذلك هو المختار لما ذكره النسفى من الدليل، وأما جعل المعنى، كما ذهب إليه بعض العلماء، فمنكم كافر مقدر كفره موجه إليه ما يحمله عليه، ومنكم مؤمن مقدر إيمانه، موفق لما يدعوه إليه، فهو لا يلائم المقام، فلا تكون الآية دليلاً على أن الكفر والإيمان مقدران، وإنما يستدل على ذلك بأدلة أخرى.

(٦) أى تقسيم المخلوق إلى كافر ومؤمن فى مقام حصر الأقسام يرد ما يقوله المعتزلة من وجود قسم ثالث بين المؤمن والكافر وهو مرتكب الكبيرة، فهو ليس بمؤمن عندهم

الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور . ومن حسن صورته أنه خلق منتصباً غير مُنْكَب[١] ومن كان دميما مشوه الصورة سَمِج[٢] الخلقة فلا سماجة ثمَّ ، ولكن الحسن على طبقات ، فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ، ولكنها غير خارجة عن حد الحسن * وقالت الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان (وإليه المصير) فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم (يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) نبه بعلمه ما فى السموات والأرض ، ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ، ثم بعلمه بذات الصدور ، أن شيئاً من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ، فحقه أن يتقى ويحذر ، ولا يجترأ على شىء مما يخالف رضاه . وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد ، وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر[٣] وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال أمرهم) أى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا[٤] (ولهم عذاب أليم) فى العقبى (ذلك) أشارة إلى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا ، وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة (بأنه) بأن الشأن والحديث (كانت تأتيهم

(١) أى غير مقلوب على وجهه كالدواب ، تقول كبّه على وجهه فأكب وانكب أى قلبه فانقلب .

(٢) الدميم الحقير ، وتشويه الصورة تقبيحها ، وسماجة الخلقة قبحها ، وفعله ككرُم فهو سَمْجٌ ، وسَمِجٌ ، وسميج ، والجمع سِمَاج .

(٣) مُسَلَّم فيما عدا قوله تعالى « خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم » فإنه بيان لمقتضِيات الإيمان وموانع الكفر ، وليس وعيداً ولا إنكاراً .

(٤) أصل الوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور ، ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة ، والوابل للمطر الثقيل ، ثم أطلق على مايثقل معنوياً مترتباً على أمر آخر كجزاء الكفر ، وعبر عن كفرهم بالأمر ، إيذاناً بأنه أمر هائل وجناية كبرى .

رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا)[1] أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن الإيمان (واستغنى الله) أطلق[2] ليتناول كل شيء ومن جملته إيمانهم وطاعتهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) على صنعه (زعم الذين كفروا) أى أهل مكة والزعم ادعاء العلم[3] ويتعدى تعدى العلم (أن لن يبعثوا) أن مع ما فى حيزه قائم مقام المفعولين ، وتقديره أنهم لن يبعثوا (قل بلى) هو إثبات لما بعد لن وهو البعث (وربى لتبعثن) أكد الإخبار[4] باليمين * فإن قلت ما معنى اليمين على شيء أنكروه ؛ قلت هو جائز لأن التهدد به أعظم موقعاً فى القلب[5] فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث (على الله يسير) هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن لأنه يبين حقيقة كل شيء فيهتدى به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا أموركم (يوم يجمعكم) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن أو بإضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون (ذلك يوم التغابن) وهو مستعار من تغابن

---

(١) هذا إجمال فى الحكاية حيث أسند القول إلى جميع الأقوام ، وجعل قولهم إلى جميع الرسل ، مع أن كل أمة قالته لرسولها فقط ، والمعنى ـ قالت كل أمة فى حق رسولها أبشر يهدينا ، وبشر فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور الذى اشتغل بضميره وهو الواو ، ولم يجعل مبتدأ لأن همزة الاستفهام أميل إلى الفعل .

(٢) أى لم يقيد بأن يقال استغنى الله عن إيمانهم وطاعتهم ، والمراد أنه أظهر استغناءه عن ذلك بأن أهلكهم ، ولولا استغناؤه عن عملهم ما أهلكهم .

(٣) وأكثر مايستعمل الزعم فى الادعاء الباطل ، ولذا قال ابن عمر وابن شريح هو كنية الكذب .

(٤) أى الإخبار بالبعث الذى تضمنه (بلى) .

(٥) أى أعظم من مجرد التهدد بالبعث ، ولعل الغرض من كلامه أن اليمين لمنكر البعث لاتثبت البعث ، وإنما يثبته الدليل العقلى ، ولكن المقام للتهديد به ، لا للتدليل على وقوعه ، واليمين تقوى المطلوب .

القوم فى التجارة وهو أن يغبن [١] بعضهم بعضاً لنزول [٢] السعداء منازل الأشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ، ونزول الأشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء [٣] كما ورد فى الحديث [٤] ومعنى ذلك يوم التغابن ـ وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم ـ استعظام له وأنّ تغابنه هو التغابن فى الحقيقة ، لا التغابن فى أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله و يعمل صالحاً) صفة للمصدر ، أى عملا صالحاً (يكفر عنه سيآته ويدخله) وبالنون فيهما مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا و كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها و بئس المصير * ما أصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت أهل أو شىء يقتضى هماً (إلا بإذن الله) بعلمه [٥] وتقديره ومشيئته ، كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه [٦] (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى [٧] يقول إنا لله و إنا إليه راجعون

---

(١) أى أن يخدع بعضهم بعضاً فيُضيع عليه ماهو حقه ، وهذا هو معنى الغبن فى مراجع اللغة .

(٢) تعليل للاستعارة المذكورة مبين لوجهها .

(٣) فالتفاعل فى هذا الوجه على بابه ، فكلٌّ غبن الآخر ، أى أخذ حقه وفوته عليه ، ولما كان الغبن يقتضى خديعة مفوتة لحق يصعب فوته على النفس ، وهذا المعنى غير موجود بتاتاً فى جهة أهل النار ، وموجود بعضه وهو التفويت دون الخديعة فى جهة أهل الجنة ، فلذا جعلت هذه الاستعارة تهكمية ، فكأن كلاً فى دنياه خدع بإيمانه أوكفره الآخر ، وعمل على أن يفوته فى الآخرة حقه مما بيده ، ثم استولى فعلاً على حقه العزيز عليه فى الآخرة وهذا لا يكون فى أهل النار إلا على سبيل التهكم .

(٤) أى فى الحديث الصحيح ولفظه « ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً ، وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة » .

(٥) إطلاق الإذن على العلم أو ما بعده مجاز مرسل .

(٦) وكأنها بذاتها متوجهة إلى العبد تنتظر إذن الله تعالى فيه .

(٧) حتى بمعنى الفاء ، ومابعدها تفسير للاسترجاع .

أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير [١] أو يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه * وعن مجاهد إن ابتلى صبر وإن أعطى شكر وإن ظلم غفر (والله بكل شىء عليم * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم) عن طاعة الله وطاعة رسـوله (فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أى فعليه التبليغ [٢] وقد فعل (الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بَعْث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه [٣] (يٰأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوّا [٤] لكم) أى إن من الأزواج أزواجاً يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ، ومن الأولاد أولاداً يعادون آباءهم ويعقـونهم (فاحذروهم) الضمير للعدو [٥] أو للأزواج والأولاد جميعاً أى لمّا علمتم أن هؤلاء لايخلون من عدوّ فكونوا منهم على حذر ، ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم [٦] (وإن تعفوا) عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) تستروا

---

(١) فلا يجعل المصيبة مثبطة عنهما ، وهذا المعنى والذى قبـله والذى بعده لاتتنافى ، بل يكمل بعضها بعضاً أو يستلزمه فلا مانع من إرادتها جميعاً .

(٢) فالبـلاغ مصدر بلّغ بحذف الزائد ، والمُبين إما من أبان بمعنى اتضح ، أو من أبان غيره أى أوضحه ، ومثلها بان وبين وتبين واستبان ، فكلها لازمة متعدية ، وجملة فإنما على رسولنا الآية علة للجواب المحـذوف أقيمت مقامه ، والتقدير ، فلا بأس عليه لأنه ماعلى رسولنا إلا التبليـغ البين ، وقد أداه كاملا .

(٣) وإظهار اسم الجلالة ثانياً فى مقام الإضمار للإشعار بعلية الألوهيـة للتوكل عليه تعـالى وحده .

(٤) يطلق على الواحد والمتعدد ، والذكر والأنثى بلفظ واحد ، وقد يثنى وقد يجمع على أعداء ، وعلى أعادٍ جمعاً للجمع ، وقد يؤنث ، وهو ضد الصديق .

(٥) ولما أريد من العدو سابقاً الجمع جُمـِع ضميره فى قوله تعـالى « فاحذروهم » .

(٦) فيكون الحذر من الجميع لاحتمال وجود العدو فيهم ، وقد تـكون العداوة بالاستلزام لابالحقيقة ، كأن يبعثه حبـه لهم على أن يجعلهم فى رغد من العيش فى حياته وبعد موته ، فيسعى لتوفير المال لهم ولو من حرام ، وسبب النزول الآتى من هذا القبيل .

ذنوبهم[١] (فإن الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم * قيل إن ناساً أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا . فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين ، أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو[٢] (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة لأنهم يوقعون فى الإثم والعقوبة ، ولا بلاء أعظم منهما (والله عنده أجر عظيم) أى فى الآخرة ، وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم[٣] ولم يدخل فيه مِنْ[٤] كما فى العداوة لأن الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب ، وقد يخلو بعضهم عن العداوة[٥] (فاتقوا الله ما استطعتم) جُهْدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته[٦] (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيراً لأنفسكم) أى إنفاقاً خيراً[٧] لأنفسكم . وقال الكسائى يكن الانفاق خيراً لأنفسكم[٨] والأصح أن تقديره

---

(١) العفو والصفح والغفران متلازمة ، وإنما جمعت لأن عداوة الأهل والولد أشد على النفس من عداوة الغرباء ، ألا تسمع قول الشاعر :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

فاقتضى المقام الإطناب فى مقام التجاوز ، والمبالغة فى الندب إليه ، فجمعت الثلاث .

(٢) وإنما يحسن العفو إن كان لايطغيهم .

(٣) تلك المنفعة التى تأثمون بها أحياناً .

(٤) أى بأن يقال إن من أموالكم وأولادكم فتنة ــ وذلك كما قيل فى جانب العداوة .

(٥) وإذا كانوا كذلك فلاينبغى الإتيان بمن التبعيضية .

(٦) وقيل إنه ناسخ له ، فقد أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير قال « لما نزلت اتقوا الله حق تقاته » اشتد على القوم العمل . فقاموا حتى ورمت عراقيبهم ، وتقرحت جباههم ، فانزل الله تعالى تخفيفاً على المسلمين ، فاتقوا الله مااستطعتم ، فنسخت الآية الأولى .

(٧) يقصد أن خيراً صفة لمصدر محذوف ، وهذا رأى الفراء والكسائى كما ذكر الآلوسى .

(٨) فهو على هذا خبر ليكن المحذوفة مع اسمها والتى هى جواب للأمر ، ونسب الآلوسى هذا الرأى لأبى عبيد ، فخالف بذلك النسق الذى نسبه إلى الكسائى .

ائتوا خيراً لأنفسكم وافعلوا ما هو خـير لها [1] وهو [2] تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر ، وبيان لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد ، وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) أى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة (فأولئك هم المفلحون* إن تقرضوا الله قرضاً حسناً) بنية و إخلاص وذكر القرض [3] تلطف فى الاستدعاء [4] (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا أو سبعمائة إلى ما شاء من الزيادة (و يغفر لكم والله شكور) يقبل القليل و يعطى الجزيل [5] (حليم) يُقِيل الجليل [6] من ذنب البخيل أو يُضَعِّف [7] الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها (عالم الغيب) أى يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) أى ما انتشر من ظواهر الخطوب [8] (العزيز) المعز بإظهار السيوب [9] (الحكيم) فى الإخبار عن الغيوب والله أعلم .

---

(١) وهذا رأى سيبويه ، فهو على رأيه مفعول به لفعل محذوف كالذى قدره النسفى .

(٢) أى الفعل المقدر بائتوا مؤكـد للحث الخ لكن على تقدير تعلقه بمفعوله .

(٣) أى تسمية الصدقة قرضاً .

(٤) أى ترفق فى الطلب والتكليف ، حيث جعـل زكاتك وهى فرض عليك لمنفعة من حولك قرضاً عند الله تعالى يسدده بالجزاء إيذاناً بلزوم الثواب واستحقاقه استحقاق قضاء الدين ، لا أنه قرض حقيقة فإن الله غنى عن العالمين .

(٥) تفسير لشكور .

(٦) أى يعفو عن العظيم من ذنبه ، من أقال الله عثرتك ، أى عفا عنك .

(٧) أى يضاعفها .

(٨) هى الأمـور صغرت أو كبرت جمع خطب .

(٩) السيوب مفرد بمعنى الركاز ، وهو ما ركـزه الله تعالى من المعادن أى أحدثه ، ودفين أهل الجاهلية ، والذهب والفضة ، ولعله يريد أن الله يعز المتصدقين بإظهار السيوب لهم .

سـورة الطلاق

مدنيـة وهى اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(يأيها النبى إذا طلقتم النسـاء) خص النبى صلى الله عليه وسـلم بالنداء [١] وعم بالخطاب [٢] لأن النبى إمام أمته وقدوتهم ، كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا ، إظهاراً لتقدمه واعتباراً لترؤسـه وأنه قدوة قومه ، فكان هو وحده فى حكم كلهم ، وسادّا مسد جميعهم [٣] وقيل التقدير يا أيها النبى والمؤمنون ، ومعنى إذا طلقتم النساء ، إذا أردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة

سورة الطلاق

وتسمى سورة النساء القصرى كما أخرجه البخارى وغيره عن ابن مسعود .

(١) فقيل يأيها النبى .

(٢) بالخطاب جار ومجرور نائب فاعل عم ، أى جىء بالخطاب عامًّا عند التكلم فى الأحكام فقيل طلقتم ، وطلقوهن ، وأحصوا ، إلخ وهذا جواب سؤال حاصله : مقتضى النداء لخاص وهو النبى أن يخاطب بالأحكام بخصوصه بعد ذلك بأن يقال إذا طلقت الخ فإن قيل فى الجواب إن عموم الأحكام الآتية للرسـول ولغيره يقتضى عموم الخطاب فيها فإن للسائل أن يقول أليس من حق ذلك أيضاً عموم النـداء بأن يقال يأيها النبى والمؤمنون إذا طلقتم إلخ .

وحاصل ما أجاب به النسفى نقلاً عن أصـله الكشاف ، أن نداء النبى صلى الله عليه وسلم ملحوظ فيه تمثيله أمته وسده مسدها للاعتبارات التى ذكرها المفسر ، فكأنه نداء له ولأمته جميعاً فلا غرابة فى تعميم الخطاب بعد ذلك .

(٣) وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم كالنداء ولا تعميم ، والجمع للتعظيم على حد قول الشاعر ، ألا فارحمونى يا إله محمد * وقيل إن الآية على تقدير يأيها النبى قل لأمتك إذا طلقتم إلخ .

الشارع فيه ، كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه[1] ومنه كان الماشى إلى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى[2] (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن[3]

---

(١) فإنه على معنى من قتل محارباً حياً مشرفاً على القتل بحكم وجوده فى ساحة الحرب ، ولكنه عبر عنه بالقتيل مجازاً لمشارفته القتل .

(٢) لعله يقصد أنه يعتبر كذلك شرعاً بحيث لو مات قبل الصلاة أثيب عليها ، نظراً لأنه نواها وسعى لها سعيها ، ولكن هذا ليس مناسباً للمقام ، إذ الكلام فى الإطلاق اللغوى كالحديث المذكور ، وكقوله تعالى « إذا قمتم إلى الصلاة » أى أردتم القيام لها .

فما سبق استبان أن مشارفة الشىء تنزل منزلته مجازاً ، فلا غرابة فى استعمال الطلاق بمعنى إرادته ، ولولا هذا لكان فى قوله تعالى « إذا طلقتم النساء فطلقوهن » طلب تحصيل الحاصل ، أو إنشاء طلاق آخر غير السابق ، والأول طلب محال ، والثانى غير مراد .

(٣) مبحث هام : آية العدة من آيات سورة البقرة ، ونصها « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » والقروء الحيضات عند جماعة كالحنفية ، والأطهار عند آخرين كالشافعية ، وسنعرض لحجة كل إن شاء الله .

والطلاق المقصود بقوله تعالى « فطلقوهن لعدتهن » هو الطلاق فى طهر لم تجامع فيه المطلقة ، وقد أجمع المفسرون على ذلك ، كما أجمع عليه الفقهاء ، وسنبين وجهه فى التعليق التالى ، وقد جعلت الآية هذا الطلاق فى الطهر طلاقاً فى العدة فإن اللام للتوقيت فكأنه قيل فطلقوهن وقت عدتهن ، فتكون الآية دليلا على أنها وقت طلاقها تشرع فى العدة ، وأن العدة بالأطهار كما هو مذهب الشافعية ومن إليهم لا بالحيضات كما هو مذهب الحنفية ومن إليهم .

فلكى يستقيم لأصحاب المذهب الأول رأيهم عمدوا إلى تقدير متعلق للام ، وتقديره فطلقوهن مستقبلات لعدتهن ، أو إلى جعل المعنى فطلقوهن لاستقبال عدتهن بتقدير مضاف مع تعلق اللام بطلقوهن ، وعضدوا هذا التأويل بما ورد من أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ « فطلقوهن فى قُبُل عدتهن » فتم لهم بذلك التأويل . كما يرون . أن المطلقات لا يشرعن فى العدة حين يطلقن فى الطهر ، بل يستقبلنها ، إذ أنها تبدأ بالحيضة المقبلة .

ويعترض الشافعية ومن يرى رأيهم على هذا التأويل بأنه لا يحقق المراد ، فإنه =

وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبُل عدتهن . وإذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها . والمراد أن تطلق المدخول بهن من المعتـدات بالحيض فى طهر لم يجامعن فيـه ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن . وهذا أحسن الطلاق [١] (وأحصوا العـدة) واضبطوها بالحفظ ، وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل ، لا نقصان فيهن [٢] وخوطب الأزواج لغفلة النساء (واتقوا

= إن أريد باستقبال العدة التلبس بأولها فهو لهم لا عليهم ، وإن أريد الانتظار لها حتى تجيء فهذا مخالف لمقتضى الظاهر ، لأن اللام إن دخلت على الوقت أفادت معنى التأقيت للعامل الذى قبلها ، ولا تفيد الاستقبال بذاتها بأى تقدير ، وإلا لما صح قولهم سافرت لخمس خلون من رمضان أى وقت خمس مضين ، فأين الاستقبـال هنا مع صحة المثـال ، وأما قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم « فطلقوهن فى قُبُل عدتهن » فإنها لا تدل على ماذهبوا إليه فى تأويل الآية فإن قبل الشىء أوله ، على أن ابن مسعود قرأ « لقُبُل طهرهن » وذلك على المخالف لا له .

واعلم أن القرء بضم القاف وفتحها يطلق فى اللغـة على الحيض وعلى الطهر ، وقد اختار بعض العلماء كالشافعى معنى الطهر فى كل ماورد منه فى العدد أخذاً من الأدلة التى سبقت هنا وغيرها ، واختار آخرون كالحنفية معنى الحيض لأن به براءة الرحم ، ويقول المخالفون إن براءة الرحم هى كما قلتم بالحيض ، وهو متخلل الأطهار التى نقول بها فى تفسير الأقراء فلا أفضلية فى هذه الناحية لكم أيضاً ، والله أعلم .

(١) وإنما حمل الطلاق فى الآية على الطلاق فى الطهر الذى لم تجامع فيه وسمى سنياً وجعل أحسن الطلاق لأنه كذلك فسره الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج مالك والشافعى والشيخان وأبو داود وغيرهم عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهى حائض ، فذكر ذلك عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها ، فتلك العدة التى أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء .

وإبقاؤها إلى الطهر الثانى فى الحديث مندوب عند الشافعية وليس بواجب ، ولعل حكمته أن التأخير إليه قد يحول قلبه نحوها فيبقيها ولا يطلقها .

(٢) وعند الشافعية ، يحسب الطهر الذى طلقت فيه قرءا وإن كان لحظة .

الله ربكم لا تخرجوهن) حتى تنقضى عـدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة ، وهى بيوت الأزواج ، وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه [١] دليل على أن السكنى واجبة ، وأن الحنث بدخول [٢] دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما إذا حلف لا يدخل داره . ومعنى الإخراج أن لا يخرجهن البعولة غضباً عليهن ، وكراهة لمساكنتهن ، أو لحاجة لهم إلى المساكن ، وأن لا يأذنوا لهن فى الخروج إذا طلبن ذلك . إيذاناً بأن إذنهم لا أثر له فى رفع الحظر [٣] (ولا يخرجن) بأنفسهن إن أردن ذلك (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قيل هى الزنا أى إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن . وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه [٤] (وتلك حدود الله) أى الأحكام المـذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى) أيها المخاطب (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) بأن يقلب قلبه من بغضها

---

(١) أى فى قوله تعالى « لا تخرجوهن » الخ إذ النهى للتحريم ، وما ذلك إلا لوجوب السكنى ، وقد أكد معنى الوجوب إضافةُ البيوت إليهن وهى لأزواجهن ، فقد آذن ذلك أن حقهن فى سكناها جعلها كأنها لهن .

(٢) متعلق بمحذوف خبر أن ، أى كائن بدخول دار الخ ، وحاصله أن من حلف لايدخل دار فلان فدخل داراً يستأجرها مثلاً حنث ، لأنها داره فى عرف اللغـة وفى عرف الشرع بسبب انتفاعه بها ، كما جعلت البيوت فى الآية للمطلقات بالإضافة إلى ضميرهن لسكناهن بها من قبل .

(٣) وعلل ذلك بأنه حق الله تعالى فلا يسقط بالإذن ، وعند الشافعية أنهما لو اتفقا على الانتقال جاز ، لأن الحق لايعدوهما ، فالمعنى عليـه لاتخرجوهن دون موافقتهن ، ولايخرجن مستبدات برأيهن .

(٤) والمعنى عليه ، ولايخرجن إلا فى حال إتيانهن بالفاحشة التى هى الخروج ، ومثل ذلك لايكون إذناً ، لأن الله لايأمر بالفحشاء ، بل هو مثل قولك لاتضرب أباك إلا أن تكون عاقاً ، أى أن ضربه عقوق فلا تفعله ، ولا تشرب الخمر إلا أن تكون فاسقاً ، أى أن شربها مفسق فلا تفعله ، فمعنى الآية على هذا أن خروجها فاحشة فلا تفعليه ، فهو منع لها عنه على أبلغ وجه .

إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبــة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه . فيراجعها . والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلــكم تندمون فتراجعون [1] (فإذا بلغن أجلهن) [2] قاربن آخر العدة (فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أى فأنتم بالخيار ، إن شئتم [3] فالرجعة والإمساك [4] بالمعروف والإحسان و إن شئتم [5] فترك [6] الرجعة والمفارقة [7] واتقاء الضرار وهو [8] أن يراجعها فى آخر عدتها ، ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها ، وتعذيباً لها (وأشهدوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعاً . وهذا الإشهاد مندوب إليه ، لئلا يقع بينهما التجاحد (ذوى عدل منكم) من المسلمين (وأقيموا الشهادة لله) لوجهه خالصاً ، وذلك أن يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ، ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ، ودفع الضرر (ذلــكم) الحث [9] على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى إنما ينتفع به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)

---

(١) يتبــين من تلخيصه للمعنى أن قوله تعالى « لعل الله يحدث بعــد ذلك أمرا » استئناف معلل لجواب إذا وما عطف عليه .

(٢) أجلهن نهاية عدتهن ، وببلوغه تنقضى العدة فلاتصح الرجعة ، فلا بد من جعل بلوغ الأجل هنا مجازاً عن قربه لتصح الرجعة كما صنع المفسر .

(٣) تفصيل للخيــار ، ومفعول المشيئة محذوف ، أى إن شئتم الرجعة والإمســاك .

(٤) بالنصب فيهما على فافعلوا الرجعة الخ ، وبالرفع على فلكم الرجعة الخ ، والجملة على كل جواب الشرط .

(٥) أى وإن شئتم غيرها . (٦) يجوز فيها ما فى سابقتها من نصب ورفع .

(٧) هو ومابعده معطوف على ترك بالرفع أو بالنصب ، لاعلى الرجعة بالجر لفساد المعنى.

(٨) أى الضرار .

(٩) أى أن مرجع الإشارة هو الحث المذكور ، وهــذا مذهب الكشاف ، ورأى صاحب الكشف أن تعود الإشارة إلى ماســبق من إيقاع الطلاق ســنياً وإحصاء العدة والكف عن الإخراج والخروج وإقامة الشهادة للرجعة أو المفارقة ليــلائم قوله تعالى « ومن يتق الله » الآية ، فإنه لتأكيد ماسبق من الأحكام ، بالوعد على اتقاء الله تعالى =

هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة[1] والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة، ولم يضار المعتدة، ولم يخرجها من مسكنها، واحتاط فأشهد، يجعل الله له مخرجاً مما فى شأن الأزواج من الغموم، والوقوع فى المضايق، ويفرج عنه ويعطه الخلاص (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه، ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به أى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ومخلصاً من غموم الدنيا والآخرة. وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجاً من شبهات الدنيا[2] ومن غمرات الموت[3] ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم: إنى لأعلم آية لو أخذ الناس[4] بها لكفتهم. ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها، وروى أن عوف بن مالك أسر المشركون ابناً له[5] فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا إليه الفاقة، فقال ما أمسى عند آل محمد الأمدّ فاتق الله واصبر وأكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فعاد إلى بيته وقال لامرأته إن رسول الله أمرنى وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فقالت نِعْمَ ما أمرنا به فجعلا يقولان

= فيها، فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة، ولم يضار المعتدة، ولم يخرجها من مسكنها، واحتاط فأشهد، يجعل الله سبحانه له مخرجا مما عسى أن يقع فى شأن الأزواج من الغموم والوقوع فى المضايق، ويفرج عنه ما يعروه من الكروب، ويرزقه من وجه لا يخطر بباله، ومن العجيب أنه سيذكر فى معنى « ومن يتق الله » ما ذكرناه هنا منقولا عن الكشف، فى حين أنه مناسب لعموم مرجع الإشارة.

(١) بل هى مؤكدة للأحكام السابقة كما بيناه قبل ذلك مباشرة، فليس التوكيد مقصوراً على الطلاق السنى بل هو عام له ولغيره، كما بينه بقوله والمعنى إلخ، فليت أول كلامه وافق آخره.

(٢) أى مشكلاتها، ومنه أمور مشتبهة أى مشكلة.

(٣) أى شدائده، جمع غَمَرة بمعنى شدة كما فى القاموس.

(٤) أى لو عملوا بها. (٥) يسمى سالماً.

ذلك ، فبينا هو فى بيتـه إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها ، فنزلت هذه الآية [١] (ومن يتوكل على الله) يكل أمره إليه عن طمع [٢] غيره وتدبير نفسه (فهو حسبه) كافيه فى الدارين (إن الله بالغ أمره) حفص ، أى منفذ أمره . غيره بالغٌ أمْرَهُ أى يبلغ ما يريد ، لا يفوته مراد [٣] ولا يعجزه مطلوب (قد جعل الله لكل شىء قدرا) تقديراً وتوقيتاً ، وهـذا بيان لوجوب [٤] التوكل على الله ، وتفويض الأمر إليه ، لأنه إذا علم أن كل شىء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته [٥] لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) روى [٦] أن ناساً قالوا قد عرفنا عدة ذوات الأقراء فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت (إن ارتبتم) أى أشكل [٧] عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن

(١) هذا الحديث رواه الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ولم يسم الابن ، لكن قال إنه أحضر أربعة آلاف شاة ، وقد روى الحديث بروايات أخرى استوفاها الآلوسى .

(٢) الإضافة على معنى فى ، أى طمع فى غيره ، فإن هـذه المادة تتعدى بفى وبالباء ، تقول طمع فيه وبه كفرح طمعاً وطماعاً وطماعية حرص عليه ، والجار والمجرور فى قوله عن طمع يتعلقان بمحذوف حال من فاعل يكل ، أى مبتعداً عن طمع فى غيره .

(٣) تفسير لقوله يبلغ ما يريد . (٤) أى لسبب وجوب التوكل .

(٥) عطف تفسيرى لما قبله فالمراد هنا من القدر التقدير بمعنى التوقيت .

(٦) أخرجه الحاكم وصححه ، والبيهقى فى سـننه ، وجماعة عن أبى بن كعب ولفظه « إن ناساً من أهل المدينة لما نزلت هذه الآية التى فى البقرة فى عدة النساء قالوا لقد بقى من عدة النساء عدد لم تذكر فى القرآن ، الصغار والكبار اللاتى قد انقطع عنهن الحيض وذوات الحمل فأنزل الله تعالى فى سورة النساء القصرى « واللائى يئسن » الآية .

(٧) يعنى أن المراد من الارتياب الإشكال والالتباس ، وقوله وجهلتم عطف سبب على مسبب ، وسبب النزول الذى ذكرناه دليل على أن المراد بالارتياب الجهل المذكور ، والشرط لامفهوم له عند القائلين بالمفهوم ، لأنه لبيان الواقع ، فليس القصـد التقييد ، وقال الزجاج إن ارتبتم فى حيضهن وقد انقطع عنهن الدم وكن ممن يحيض مثلهن اهـ وعلى هذا فمن لم يحض مثلهن لبلوغهن سن اليأس أولى ، وقيل غير ذلك .

(فعدتهن ثلاثة أشهر)[1] أى فهذا حكمهن . وقيل إن ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس ، وقد قدروه بستين سنة ، وبخمس وخمسين ، أهو دم حيض أو استحاضة ، فعدتهن ثلاثة أشهر ، وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائى لم يحضن) من الصغائر ، وتقديره واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر ، فحذفت الجملة[2] لدلالة المذكور عليها (وأولات الأحمال أجلهن) عدتهن[3] (أن يضعن حملهن) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن * وعن على وابن عباس رضى الله عنهما ، عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين[4] (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) أى ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (أنزله إليكم) من اللوح المحفوظ (ومن يتق الله) فى العمل بما أنزله من هذه الأحكام ، وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يكفر عنه سيآته ويعظم له أجراً) ثم بين التقوى[5] فى قوله ومن يتق الله ، كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى[6] فى شأن المعتدات فقيل (أسكنوهن) وكذا وكذا

---

(١) مبتدأ وخبر ، وهما خبر الموصول السابق ، وجواب إن ارتبتم محذوف تقديره فاعلموا أن عدتهن ثلاثة أشهر ، والشرط وجوابه جملة معترضة بين المبتدأ وخبره ، ويجوز أن يكون فعدتهن الخ جواب الشرط باعتبار الإعلام ، والشرط وجوابه خبر المبتدأ .

(٢) أى التى هى فى موضع الخبر . (٣) على تقدير مضاف أى منتهى عدتهن .

(٤) أى أطول عدتى الوفاة ووضع الحمل ، والأول أرجح ، فقد صح أن سبيعة بنت الحرث الأسلمية كانت تحت سعد بن خولة ، فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل ، فوضعت بعد وفاته بثلاثة وعشرين يوماً ، وفى رواية بخمس وعشرين ليلة وفى أخرى بأربعين ليلة ، فاختضبت وتكحلت وتزينت تريد النكاح ، فأنكر ذلك عليها ، فسئل النبى ﷺ فقال إن تفعل فقد خلا أجلها ، وقال عمر بن الخطاب لو ولدت وزوجها على سريره لم يدفن لحلت ، وقال ابن مسعود كما فى البخارى وأبى داود والنسائى وابن ماجه « من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التى فى البقرة » يعنى أن سورة الطلاق نزلت بعد آية الوفاة فى البقرة فتكون ناسخة بعمومها للمتوفى عنها والمطلقة .

(٥) أى أسبابها ووسائلها . (٦) الأولى أن يقول للتقوى باللام بدل الباء .

(من حيث سكنتم) هى من التبعيضية مُبَعَّضها محذوف [1] أى أسكنوهن مكاناً من حيث سكنتم ، أى بعض مكان سكناكم [2] (من وجدكم) هو عطف بيان [3] لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ، كأنه قيل أسكنوهن مكاناً من مسكنكم مما تطيقونه. والوجد الوسع والطاقة . وقرىء بالحركات الثلاث [4] والمشهور الضم . والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة [5] وعند مالك والشافعى لا نفقة للمبتوتة [6] لحديث فاطمة بنت قيس [7] أن زوجها أَبَتَّ طلاقها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسكنى لك

---

(١) هذا غير صحيح فإن مبعضها مذكور بعدها وهو الحيثية المكانية ، وأما هذا المحذوف الذى قدره بعد بقوله مكاناً فهو موصوفها ، وهو عينها فى المعنى ، إذ هو بعض مسكنهم الذى عبر عنه بالحيثية المكانية بعد ، وقد تبع فى هذا الخطأ أصله الزمخشرى ، واعلم أن (مِنْ) هذه اسم بمعنى بعض وقعت مفعولا به لأسكنوهن سادة مسد موصوفها المحذوف ويجوز أن يكون حرفاً بمعنى فى متعلقاً بأسكنوهن أى أسكنوهن فى حيث سكنتم، أى فى مكان سكنتموه .

(٢) فإن لم يكن المسكن سوى بيت واحد سكنت بعض نواحيه ، كما روى عن قتادة .

(٣) أى أن الجار والمجرور عطف بيان للجار والمجرور قبله ، فلا يرد عليه بهذا التوجيه ما اعترض به أبو حيان على أصله الكشاف من أنه لايعرف عطف بيان يعاد فيه العامل ، وإنما يكون ذلك فى البدل .

(٤) أى أن الواو فى (وجد) قرئت بالحركات الثلاث .

(٥) رجعية أو مبتوتة قال بذلك أبو حنيفة والثورى ، ودليلهما أن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى المبتوتة « لها النفقة والسكنى » مع أن النفقة جزاء احتباسها للعدة ، ويقول القائلون بذلك إن المبتوتة الحامل يجب لها النفقة باتفاق ، ولوكانت نفقتها جزاء للحمل دونها لوجبت فى ماله إن كان له مال ولاقائل به .

(٦) أى التى طلقت ثلاثاً ، وهما يوافقان غيرهما فى وجوب السكنى لها ، لأن الضمير فى أسكنوهن عائد على المطلقات والمراد بهن الجنس الشامل لهن .

(٧) ولفظه أنها قالت « طلقنى زوجى أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى البتة فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فى السكنى والنفقة فلم يجعل لى سكنى ولانفقة ، وأمرنى أن أعتد فى بيت أم مكتوم ثم أنكحنى أسامة بن زيد » وقد روى مسلم هذا الحديث بلفظ آخر — واعلم أنهما لاينفيان النفقة بهذا الحديث لأنه وإن دل على المطلوب إلا أنه =

ولا نفقة . وعن عمر رضى الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة . لعلها نسيت أو شُبِّهَ لها ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) فى المسكن ببعض الأسباب[1] من إنزال من لا يوافقهن ، أو يشغل مكانهن أو غير ذلك ، حتى تضطروهن إلى الخروج (وإن كن) أى المطلقات (أولات حمل) ذوات أحمال (فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة اشتراط الحمل أن مدة الحمل ربما تطول ، فيظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحامل ، فنفى ذلك الوهم[2] (فإن أرضعن لكم) يعنى هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولداً من غيرهن ، أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) فحكمهن فى ذلك حكم الأظآر[3] ولا يجوز الاستئجار[4]

= ينفى السكنى وهما يثبتانها لأنها ثبتت بالنص القرآنى ، بل ينفيان النفقة لعدم وجود نص على وجوبها للمبتوتة يعول عليه عندها ، وعبارة أصله الكشاف أوفى من عبارته وأصح فقد سيق فيها حديث فاطمة دليلاً لرأى آخر ونصها — « وعند مالك والشافعى ليس للمبتوتة إلا السكنى ، ولا نفقة لها ، وعند الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة » الخ ، فحديث فاطمة مسوق فى الكشاف دليلا لرأى الحسن وحماد النافيين للنفقة والسكنى

(١) قوله « ببعض » جار ومجرور متعلق بتضاروهن ، أى ولا تضاروهن ببعض الأسباب الخ ، لتضيقوا عليهن فى السكن ، أما لو علق بتضيقوا فماذا عسى أن تكون المضارة التى تنتهى إلى التضييق سوى ما ذكر .

(٢) اتفق الكل على أن المطلقة إن كانت حاملا وجبت نفقتها حتى تضع حملها رجعية أو مبتوتة لهذا النص ، واتفقوا على وجوب النفقة للرجعية لأنها فى حكم الزوجة ، واختلفوا فى الحائل المبتوتة لأنها ليست فى حكم الزوجة ولعدم النص على نفقتها ، فمنع بعضهم نفقتها لأن النص للمطلقة الحامل ، ولا حمل عندها تستحق من أجله النفقة . وأوجب بعضهم نفقتها ، وقالوا إنما ذكر الحمل فى باب نفقة المطلقات لا على أنه شرط يحترز به بل للمبالغة فيها ، وذلك أن مدة الحمل ربما تطول فيظن أن النفقة إلى مقدار الأقراء التى تعتد بها الحائل فجىء به لنفى ذلك الظن .

(٣) أى المراضع لغير أولادهن جمع ظئر .

(٤) أى استئجار المطلقات المرضعات أولادهن .

إذا كان الولد منهن ما لم يَبِنَّ ، خلافاً للشافعي رحمه الله [1] (وأتمروا بينكم) أي تشاوروا [2] على التراضي في الأجرة . أو ليأمر بعضكم بعضاً [3] والخطاب للآباء والأمهات (بمعروف) بما يليق بالسنة ويحسن في المروءة ، فلا يماكس [4] الأب ولا تعاسر [5] الأم لأنه ولدهما ، وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه (وإن تعاسرتم) تضايقتم فلم ترض الأم بما ترضع به الأجنبية ولم يزد الأب على ذلك (فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تَعْوَز [6] مرضعة غير الأم ترضعه ، وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة ، وقوله له أي للأب أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه [7] (لينفق ذو سعة [8] من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه ، يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات . ومعنى قدر عليه رزقه ضيق ، أي رزقه الله على قدر قوته (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) أعطاها من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسراً) بعد ضيق في المعيشة سعة ، وهذا وعد لذي العسر باليسر (وكأين

---

(١) فإنه أجاز دفع الأجرة لهن ولو رجعيات .

(٢) قاله الكسائي ومثله التآمر فهو بمعنى التشاور .

(٣) هذا على الحقيقة ، أي ليأمر كلٌّ الآخر في شأن الرضاع برفق .

(٤) المماكسة المشاحة أي المشادة لنقص الأجر .

(٥) المعاسرة المشادة ، وهي تعاسر لتزيد الأجر .

(٦) مضارع عَوِزَتْ كفَرِحت تعوَزُ كتفرح ، أي ولا تفقد : وهذه غير أعوزني الشيء يعوزني ، أي احتجت إليه .

(٧) قال بعض العلماء إن فيه أيضاً معاتبة للأب لإسقاطه عن شرف الخطاب ، إذ لم يقل فسترضع لك أخرى ، ولأنه يلفت نظره إلى أن مرضعة أخرى سترضع له ولده ، ولا بد لها من أجر ، فما باله يعاسر الأم وهي أشفق وأحن .

واعلم أن الرضيع إن لم يقبل ثدي أخرى تعينت الأم وجبرت على الإرضاع بأجر مثلها .

(٨) السعة ضد الضيق ، كنى بها هنا عن الغنى .

من قرية) من أهل قرية (عتت) أى عصت (عن أمر ربها ورسله) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (فحاسبناها حساباً شديداً) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذاباً نُكْراً) نكرا مدنى وأبو بكر منكراً عظيما (فذاقت وبال أمرها [1] وكان عاقبة أمرها خُسْراً) أى خساراً وهلاكا . والمراد [2] حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر . وجيء به على لفظ الماضى لأن المنتظر من وعد الله ووعيده مُلْقًى فى الحقيقة . وما هو كائن فكأن قد (أعد الله لهم عذاباً شديداً) تكرير للوعيد [3] وبيان لكونه مترقباً [4] كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب (فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا أولى الألباب من المؤمنين لطفاً فى تقوى الله وحذر عقابه . ويجوز أن يراد [5] إحصاء السيآت واستقصاؤها عليهم فى الدنيا وإثباتها فى صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب فى العاجل ، وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية [6] وأعد الله لهم جواباً لكأين [7] (قد أنزل الله

---

(١) أمرها عتوها ووباله عقوبتـه الثقيلة .

(٢) أى والمراد من قوله فحاسبناها إلخ .

(٣) أى تكرير الوعيد السابق فى قوله تعالى « وعذبناها عذاباً نكرا » فإنه وعيد لكنه جاء بصيغة الماضى لتحقيق وقوع مدلوله مستقبلا ، فكأنه لتحققه قد كان ، وقد سبق بيان ذلك .

(٤) أى منتظراً ، يقصد أن صيغة المضى فى قوله تعالى « وعذبناها » لما كانت موهمة سبق العذاب جاء بقوله « أعد » الخ لبيان كونه منتظراً .

(٥) أى بقوله « حاسبناها » وقوله « وعذبناها » .

(٦) وليست خبراً لكأين كالوجه السابق .

(٧) ليست كأين شرطاً حتى تكون جملة « أعد » الخ جواباً لها ، ولكنها مبتدأ بمعنى كم الخبرية ، أى وكثير ، فجملة أعدّ خبر لها على هذا الوجه ، وعلى هذا يكون العذاب فى « أعد الله لهم عذاباً » الخ أخروياً أيضاً ، وتكون جملة « أعد الله » هـذه مؤسسة لامكررة للوعيد السابق ، وتكون الآيات قد تضمنت عذابهم الدنيوى أولاً والأخروى آخراً ، بخلاف الوجه السابق فإنها عليه لم تتضمن سوى العذاب الأخروى .

إليكم ذكراً) أى القرآن وانتصب (رسـولا) بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا ، أو بدل من ذكرا . كأنه فى نفسه ذكر ، أو على تقدير حذف المضاف ، أى قد أنزل الله إليكم ذا ذكر رسـولا ، أو أريد بالذكر الشرف كقوله وإنه لذكر لك ولقومك أى ذا شرف ومجد عند الله ، وبالرسول جبريل أو محمد عليهما السـلام [١] (يتلو) أى الرسول أو الله عز وجل (عليكم آيات الله مبينات ليخرج) الله [٢] (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصـالح . أو ليخرج الذين علم أنهم يؤمنون [٣] (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر أو الجهل إلى نور الإيمـان أو العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله) وبالنون مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) وحد وجمع [٤] حملا

---

(١) فإن أريد به محمد فإنزاله إرساله ، عبر به عنه مجازاً مرسلاً علاقته السببية والمسببية.

(٢) هذا إن علقنا ليخرج بأنزل ، فإن علقناه بيتلو فالمخرج هو الله أو رسوله .

(٣) كلا الوجهـين جواب عن سؤال حاصـله أن يخرج مستقبل ، وآمنوا وعملوا الصالحات ماضيان ، ومقتضى ذلك أن الإيمان والعمل الصـالح سابقان فكيف يخرج الرسـول فى المستقبل من سبق منهم الإيمان والعمل الصالح من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، أليس هذا تحصيلاً للحاصل ، أفما كان يقول تلا عليكم آيات الله مبينات فأخرج الخ بدل قوله يتلو ليخرج .

وحاصل الوجه الأول أن صيغة المضارع حكاية للاستقبال التالى لإنزال القرآن والسابق لإيمان المؤمنين فهو فى حكم الماضى . وإنما عبر عن الإيمان بصيغة الماضى بالنظر لوقت نزول هذه الآية ، فهى مدنية وإيمان المؤمنين أسبق من نزولها .

والمعنى عليه أرسل إليكم ذكراً رسولا وهو محمد ليخرج بعد إرساله الذين آمنوا وعملوا الصالحات قبل نزول هذه الآية المدنيـة من الكفر الذى كانوا فيه وقت إرساله بمكة إلى الإيمان والعمل الصالح للذين هم عليهما الآن وقد ترتبا على دعوتهم إليهما وقبولهم لهما.

وحاصل الوجه الثانى أن مضى الإيمان والعمل الصالح بالنظر إلى علم الله تعالى ، فلا ينافى هذا استقبالهما وتأخرهما عن الإخراج باعتبار التنجيز ، فكأنه قال ليخرج الذين آمنوا فى علم الله أزلا وسيؤمنون فعلا بالإخراج .

(٤) أى وحد ضمير يؤمن ويعمل ويدخله وجمع فى خالدين .

على لفظ مَنْ ومعناه (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب[1] والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (الله الذى خلق) مبتدأ وخبر (سبع سموات) أجمع المفسرون على أن السموات سبع (ومن الأرض مثلهن) بالنصب عطفاً على سبع سموات . قيل ما فى القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية ، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام[2] وغلظ كل سماء كذلك[3] والأرضون مثل السموات[4] وقيل الأرض واحدة إلا أن الأقاليم سبعة[5] (يتنزل الأمر بينهن) أى يجرى أمر الله وحكمه بينهن وملكه[6] ينفذ فيهن (لتعلموا أن الله على كل شىء قدير) اللام يتعلق بخلق[7] (وأن الله قد أحاط بكل شىء علما) هو تمييز أو مصدر من غير لفظ الأول، أى قد علم كل شىء علما وهو علام الغيوب .

---

(١) ولو كان المراد مجرد الإخبار لما كان له كبير فائدة ، فقد فهم هذا الإحسان من أن مصيرهم الجنة وقد أفرد ضمير له رعاية للفظ من ، والجملة حال من مفعول يدخله نخالدين .

(٢) لم يثبت ذلك وقد تكون المسافة أعظم . (٣) وهذا لم يثبت أيضاً .

(٤) أى فيما ذكر فى السموات وهذه الأخرى لم تثبت ، بل الأرض كوكب صغير جداً بالنظر إلى الشمس ، فكيف يكون صغرها بالنظر إلى السماء وما فيها من الكواكب فالمثلية فى أنها سبع ، وتأويله أنها سبع طبقات وقشور مسكون منها القشرة السطحية ، وباطن هذه القشرة ملتصق بالطبقات الست المتلاصقات ، وقد يكون بعضها سائلاً حاراً وقد يجوز غير ذلك .

(٥) هذا رأى أبى صالح فقد قال إنها سبع منبسطة يفرق بينها البحار ويظل جميعها السماء ، وروى ذلك عن ابن عباس ولعلها القارات الست وأخرى لم تكشف بعد ، وقيل غير ذلك .

(٦) أى سلطانه . (٧) أو بيتنزل أو بعامل يعمهما ، أى فعل ذلك لتعلموا .

سورة التحريم

مدنيـة وهى اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية [1] فى يوم عائشة رضى الله عنها ، وعلمت بذلك حفصة ، فقال لها اكتمى على ، وقد حرمت مارية على نفسى ، وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى ، فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين . وقيل خلا بهـا فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها ، واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية ، فنزل جبريل عليه السـلام ، وقال راجعها فإنها صوامة قوامة ، وإنها لمن نسائك فى الجنة . وروى أنه شرب عسـلا فى بيت زينب بنت جحش [2] فتواطأت عائشة

سـورة التحريم

تشارك ما قبلها فى الافتتاح بيأيها النبى ، وتناسبها فى أن السابقة فيها طلاق الحرائر وهذه فيها تحريم الإماء ، والسابقة فى خصام نساء الأمة ، وهذه فى خصام نساء الرسول ﷺ فناسب ما ذكر أن تكون هذه السورة إلى جانب سابقتها .

(١) مارية أمة ولاقسم للأمة ، ولايمنع مالكها من وطئها فى نوبة حرة ، لأنه صاحب حق فى ذلك ، ولإعفافها . وإنما يمنع من وطء حرة فى نوبة أخرى ، لأن لها نوبة مستقلة فلا وجه لغضب صاحبة النوبة من ذلك ، ولكنها الغيرة الجبلية .

(٢) إحدى زوجات الرسول ، وصحح النووى فى شرح مسلم أنها نزلت بسبب شرب العسل عندها ، وأما قصة مارية فإنها كما قال لم تأت من طريق صحيح .

واعلم أنه لامانع من أن يمر الزوج على غير صاحبة النوبة من أزواجه يسألهن حاجتهن أو يعرفهن خبراً ، أو يسلم إليهن نفقة ، أو يضع لديهن متاعاً ، وحبذا لو جعل ذلك عادة مع الجميع حتى لا يكون قيل وقال .

وحفصة [١] وقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير [٢] وكان يكره رسـول الله صلى الله عليه وسلم التفَل [٣] فحرم العسل . فمعناه . لم تحرم [٤] ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسـل [٥] (تبتغى مرضات أزواجك) تفسـير [٦] لتحرم . أو حال [٧] أو استئناف [٨] وكان هذا زلة منه [٩] لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله له [١٠]

---

(١) بعد أن بلغهما ذلك ، وخشيتا من أن مكث الرسول عنـدها لشرب العسل يجعلها أثيرة على نفسه بحيث تفوقهما فى المنزلة ، وقد جبلت الضرات على مثل تلك الغيرة .

(٢) جمع مُغْفُور ، وهى مادة عسلية ينضحها شجر العُرْفُط ، رائحتها كريهة ، يتغذى بها النحل إن وجدها لحلاوتها ، فيتأثر عسله برائحتها ، والعرفط شجر ذو ورق عريض .

(٣) أى الريح الكريه ، من تفل الشىء كفرح أى تغيرت رائحته ، ونظراً لكراهة الرسول ﷺ الرائحة الكريهة قالتا ذلك ليظن أن العسل من نحل تغذى بالمغافير الكريهة الرائحة فيكرهه .

(٤) المراد من التحريم هنا الامتناع مع اعتقاد الحل .

(٥) الراجح أنه العسل فهو المروى من طرق صحيحة كما سبق ، وقوله من ملك اليمين على حذف مضاف أى من وطء ملك اليمين ، أى مملوكتها .

(٦) ليس ابتغاؤه مرضاة أزواجه عين التحريم الذى أريد به هنا منع النفس من الحلال منعاً نفسانياً لاشرعياً ، فلا يسوغ جعله تفسيراً للتحريم ، فإن قيل إنه على المبالغة والتهويل ، قلنا إن ذلك لايتم إلا على جعل التحريم شرعياً ، وسيأتى بيان فساده فالرأى الثانى وهو جعله حالاً أرجح .

(٧) اختاره أبوحيان ، وهو محل العتاب . (٨) لقصد العتاب .

(٩) هذه آفة التقليد ، فالنسفى ينقل هنا عبارة الكشاف الجريئة المعيبة ، وفى التعليق الآتى بيان فسادها .

(١٠) زيف ابن المنير هذا الكلام الذى جاء بإثمه أولا الزمخشرى فقال ما ملخصه إن تحريم الحلال على معنيين أولهما شرعى وهو الحكم عليه بالحرمة بحيث يأثم فاعله ، ولا يكون ذلك إلا من الله تعالى ، ومن فعله من غير أن يحكم الله به فهو كافر كتحليل الحرام ، فلا يعقل مؤمن أن تكون الآية من هذا الوادى بأن يكون الرسول قد جعل شربه العسل حراماً موقعاً فى الإثم ، وهـذا هو الذى يوصف بأنه زلة ، وهو =

(والله غفور) قد غفرلك مازللت فيه[1] (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به (قد فرض[2] الله لكم تحلة أيمانكم) قد قدر الله لكم ما تحللون به أيمانكم وهى الكفارة[3] أو قد شرع لكم تحليلها[4] بالكفارة أو شرع الله لكم الاستثناء[5] فى أيمانكم من قولك حلل فلان فى يمينه إذا استثنى فيها وذلك أن يقول إن شاء الله[6] عقيبها حتى

= ما لا يكون من الرسول أبداً - وثانيهما لغوى وهو المنع من تعاطى الحلال كالطبيب يمنع المريض من تعاطى بعض أنواع الطعام ، والوالد يمنع ولده من السفر ، والإنسان يمنع نفسه من لبس هذا الثوب ليلبس سواه ، سواء كان المنع بيمين أو بغير يمين مع اعتقاد الحل — وذلك لا زلة فيه بل الزلة فى تسميته زلة ، إذ مقتضى كونه حلالا أنه يجوز مباشرته وعدمها ، وإلا لاستحالت حقيقة كونه حلالا إلى كونه واجباً ولا قائل به ، وما وقع من الرسول من هذا القبيل ، فالتحريم فى الآية ليس بشرعى بل هو نفسانى بمعنى المنع ، ولم يعاتب عليه فى الحقيقة ، وإنما عوتب على سببه ، وهو ابتغاؤه بذلك المنع مرضاة أزواجه .

(١) هذه من النسفى زلة ، وحقه أن يقول .. قد غفر لك خلاف الأولى الذى جعل بمنزلة الزلة إجلالا لمقامك ، وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

(٢) ليس الفرض هنا بمعنى الإيجاب ، فإن التحلل من اليمين إما مباح أو مندوب أو محرم أو مكروه أو واجب حسب حال المحلوف عليه من الشرع ، فلذا فسر الفرض بمعنى التقدير أو الشرع كما سيبينه .

(٣) التى هى إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، فهى مقدرة كذلك فى القرآن الكريم .

(٤) التحلة مصدر حلّل ، كالتكرمة مصدر كرّم ، وكلٌ سماعى ، والقياس فيهما التحليل والتكريم ، إذ مصدر فعّل الصحيح العين التفعيل ، وأصله تحْلِلة ، فسكنت اللام الأولى بنقل كسرتها إلى الحاء وأدغمت فى الثانية — وتحلة كما قلنا مصدر سماعى لحلّل الذى هو مضعف حلّ ضد عقد فكأنه لما حلف على الشىء عقد عليه اليمين ، وحبسه بذلك عن أن يُفعل أو لا يُفعل ، وبالكفارة يحل ذلك العقد .

(٥) فالاستثناء تحلة لليمين إذ يجعله كلا يمين .

(٦) هذا تعليق وقد جعلوه استثناء لأنه فى قوة إلا أن يشاء الله .

لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا [1] وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة فى تحريم مارية وعن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين [2] (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم وقيل مولاكم أولى [3] بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم أنفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فيما أحل وحرم (وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه) يعنى حفصة (حديثاً) حديث مارية وإمامة الشيخين [4]

---

(١) إذ أن الله تعالى بعد تحريم الرسول حلاله ، أى منعه نفسه عن تعاطيه ، سواء أكان مارية أم العسل على الروايتين اعتبره يميناً حيث قال ما معناه . قد شرع الله لكم تحليل أيمانكم فى القرآن ، أى أن هذا يمين له حكم سائر الأيمان ، وأبو حنيفة يعتبره يميناً فى كل شىء بحسبه ، فمن حرم طعاماً فقد حلف على عدم أكله ، أو أمة فقد حلف أن لا يطأها ، أو زوجة فقد آلى منها إذا لم ينو ظهاراً أو طلاقاً إلى آخر تفصيلات المذهب .

وقال جماعة منهم مسروق والشعبى وأصبغ إنه لا يلزم قائله شيئاً ، وقال أبو بكر وعمر وعائشة وكثيرون من الصحابة والتابعين هى يمين تكفر ، وفى إحدى الروايات عن الشافعى تكفر كاليمين وليست بيمين ، إلى غير ذلك من وجوه الخلاف فراجعها فى كتب الفقه ، أو التفسير الكبرى .

واعلم أن من لم يعتبر التحريم يميناً يلزمه أن يقول إن الرسول قد حلف يميناً عدا التحريم لقوله تعالى « قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » وذلك يدل على أن له يميناً ، فما ورد من أنه كفر فأعتق يحمل عند هؤلاء على أنه كفارة ذلك اليمين لا التحريم ، وقد روى فعلاً أن الرسول حلف .

(٢) ضعيف لأن الحنث فى اليمين هنا أفضل من الاستمساك بها فليس ذنباً ، والتكليف بالكفارة ليس من باب المؤاخذة على الذنب ، بل هو تكليف فيه معاونة للفقراء ، أو إعتاق رقبة أو صيام نافع ، وفيه جبر للحنث فى اليمين .

(٣) لم يذكر هذا المعنى أصله الكشاف ، وهذا عناية باللفظ وليس معنى لغوياً .

(٤) أما على أن سبب النزول قصة العسل كما رجحه النووى فى شرح مسلم ، فالحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم فى بعض الروايات « لكنى كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش ، فلن أعود وقد حلفت ، لا تخبرى بذلك أحدا » .

(فلما نبأت به) أفشته إلى عائشة رضى الله عنهما (وأظهره الله عليه) وأطلع النبى صلى الله عليه وسلم على إفشائها [1] الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عرف بعضه) أعلم ببعض الحديث [2] (وأعرض عن بعض) فلم يخبر به تكرما . قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام . عرَف بالتخفيف علىّ . أى جازى عليه . من قولك للمسىء لأعرفن لك ذلك . وقيل المُعرَّف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية [3] وروى أنه قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى . فرحاً بالكرامة التى خص الله بها أباها (فلما نبأها به) نبأ النبي حفصة بما أفشت من السر إلى عائشة (قالت) حفصة للنبى صلى الله عليه وسلم (من أنبأك هذا قال نبأنى العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر (إن تتوبا إلى الله) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات [4] ليكون أبلغ فى معاتبتهما [5] وجواب الشرط محذوف والتقدير إن تتوبا إلى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فقد صغت)

---

(١) قوله تعالى « وأظهره الله عليه » يعطى بظاهره أن الله تعالى أظهر الرسول على الحديث ، وليس هذا مقصوداً ، فالرسول هو الذى قال الحديث لحفصة ، فلا حاجة إلى إعلامه به . والذى حدث إنما هو إظهاره على إفشائها الحديث ، ففى الكلام مضاف حذف لظهوره : أى وأظهره على إفشائه ، أى إفشاء حفصة له ، فلذا أوضح المفسر المراد مختصراً .

(٢) أى أعلم حفصة به ، والمراد أنه قال لها لقد قلت ياحفصة لعائشة كذا وقد أمرتك بالكتمان .

(٣) وعلى رواية العسل . المعرف هو معنى قوله كنت شربت عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود والمعرض عنه حلفه على عدم العود ، وإنما أعرض عن البعض الآخر تكرماً حتى لا يعظم خجلها .

(٤) أى من الغيبة .

(٥) فإن المعاتب يصير من عاتبه أولا بعيداً عن ساحة الخطاب ، فإذا اشتد غضبه خاطبه تشديداً للوم وكون الخطاب لهما من رواية البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم عن ابن عباس .

مالت(١) (قلوبكما) عن الواجب(٢) فى مخالصة (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (وإن تظاهرا عليه) بالتخفيف كوفى وإن تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط فى الغيرة وإفشاء سره (فإن الله هو مولاه) وليه وناصره وزيادة هو إيذان بأنه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) أيضاً وليه (٤)(وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين أى كل من آمن وعمل صالحاً (٥) وقيل من برئ من النفاق (٦) وقيل الصحابة (٧) وقيل واحد أريد به الجمع ، كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس ،

---

(١) صغا يصغو ويصغَى صَغْوًا ، وصَغِى يصغى صَغًا وصُغِيًّا بمعنى مال يميل إلخ .

(٢) إن قيل فما يمنع من تفسيرها بمعنى مالت إلى الحق ، وتكون هى الجواب من غير احتياج إلى ما تقدم ، يجاب بأن قراءة ابن مسعود « فقد زاغت قلوبكما » تقتضى حمل القراءة الأخرى عليها ، ولأن شأن الجواب الاستقبال ولو معنى ، ومجيئه هنا ماضياً مقترناً بقد يقوى معنى المضى فيه ، فيضعف صلاحيته للجوابية لأن ميل قلوبهما إلى الحق يكون سابق الزمن على الشرط ، ومن الواجب تأخره عنه لأنه مرتب عليه ، ولم يقل قلباكما كراهة اجتماع تثنيتين .

(٣) أى مصافاته .

(٤) يقصد أن جبريل مبتدأ خبره محذوف تقدير وليه ، وعلى هذا فصالح المؤمنين مبتدأ والملائكة معطوف عليه ، وبعد ذلك متعلق بظهير خبره ، وهذا الرأى يجوز معه الوقف على جبريل — وجوز الوقف على مولاه ، فيكون جبريل مبتدأ ، وما بعده عطف عليه ، وظهير خبره وخبر ما عطف عليه — وسوغ الإخبار عن جمع بمفرد أنه على معنى فوج مظاهر .

(٥) اختلف فى المراد من صالح المؤمنين أعام هو أم خاص ، والراجح إرادة العموم منه فيكون معناه كل من آمن وعمل صالحاً كما ذكر .

(٦) لا فرق بينه وبين سابقه فى الماصدق ، فالمراد منه من آمن مخلصاً وعمل صالحاً أيضاً ليكون ناصراً للنبى صلى الله عليه وسلم .

(٧) وقيل على بن أبى طالب ، وقيل عمر بن الخطاب ، والوجوه الثلاثة على أن المراد به خاص ، وهو رأى مرجوح .

تريد الجنس[1] وقيل أصله صالحو[2] المؤمنين ، فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ (والملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وجبريل وصالحى المؤمنين (ظهير) فوج[3] مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه . ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله) يُبدِّله مدنى وأبو عمرو فالتشديد للكثرة (أزواجاً خيراً منكن) فإن قلت كيف تكون المبدلات خيراً منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين ، قلت إذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة ، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف خيراً منهن (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات[4] (قانتات)[5] مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله ، وطاعة الله فى طاعة رسوله (تائبات) من الذنوب أو راجعات إلى الله وإلى أمر رسوله (عابدات) لله (سائحات) مهاجرات[6] أو صائمات[7] وقيل

---

(١) جواب سؤال حاصله — كيف يكون مفرداً ويراد به كل من صلح من المؤمنين ، أو جماعة الصحابة ، أو نحو ذلك من الجموع ، وحاصل الجواب أنه مفرد مضاف أريد به الجنس الشمولى ، فإن الإضافة تأتى لما تأتى له لام التعريف .

(٢) فيكون على هذا جمعاً بالواو والنون حذفت نونه للإضافة .

(٣) قدر كلمة فوج ليصحح به الإخبار بالمفرد عن الجمع ، فإن فوجاً جمع فى المعنى ، والظهير المعين .

(٤) الإقرار تفسير للإسلام إذ هو استسلام بظاهر القول ، والإخلاص تفسير للإيمان بما يتم به .

(٥) القنوت فى اللغة الطاعة مطلقاً ، والدعاء ، والإمساك عن الكلام ، ويمكن أن يراد به هنا طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعريضاً بحفصة لما أفشت سراً استكتمها إياه . كما يمكن أن يراد به الإمساك عن الكلام الذى لا داعى إليه ، وهو مناسب لمقام التعريض أيضاً .

(٦) هذا رأى ابن زيد إذ قال ليس فى الإسلام سياحة إلا الهجرة .

(٧) هذا رأى ابن عباس وأبى هريرة والحسن وغيرهم .

للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه ، فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه ، فشبه به الصائم فى إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره (ثيبات وأبكارا) إنما وسط العاطف بين الثيبات والأبكار دون سائر الصفات لأنهما صفتان متنافيتان[1] بخلاف سائر الصفات (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعاً من النار لا تتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عليها) يلى أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعنى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) فى أجرامهم غلظة وشدة ، أو غلاظ الأقوال شداد الأفعال (لا يعصون الله) فى موضع الرفع على النعت (ما أمرهم)[2] فى محل النصب على البدل[3] أى لا يعصون ما أمر الله أى أمره ، كقوله أفعصيت أمرى ، أو لا يعصونه فيما[4] أمرهم (و يفعلون مايؤمرون) وليست الجملتان فى معنى واحد ، إذ معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره و يلتزمونها ، ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به ، ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه[5] (يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا أى يقال[6] لهم ذلك عند دخولهم النار ، لا تعتذروا لأنه لا عذر لكم ، أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار (يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) صادقة عن الأخفش رحمه الله . وقيل

---

(١) أى تنافى كلتاهما الأخرى فلا تجتمعان فى امرأة واحدة بخلاف الباقيات ، إذ يمكن اجتماعها فى واحدة ، وبينها شدة اتصال ، فلذا ترك العطف بينها .

(٢) فاعل أمر ضمير مستتر يعود على الله تعالى ، والضمير البارز مفعول به .

(٣) يقال فى مثله فى غير الله تعالى إنه بدل اشتمال .

(٤) ففى الكلام على هذا الوجه جار محذوف .

(٥) فالأولى لنفى العناد والثانية لنفى الكسل .

(٦) فجملة يأيها الذين كفروا إلخ . مقول لقول مقدر .

خالصة (١) يقال عسل ناصح إذا خلص من الشمع . وقيل نصوحا من نصاحة الثوب، أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خلك . ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس ، أى تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها (٢) فى صاحبها ، واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها . وبضم النون حماد ويحيى وهو مصدر (٣) أى ذات (٤) نصوح أو تنصح نصوحا (٥) وجاء مرفوعا أن التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب إلى أن يعود اللبن فى الضرع ، وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى الاستغفار باللسان والندم بالجنان والإقلاع بالأركان (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الإجابة بعسى ولعل ، ووقوع (٦) ذلك منهم موقع القطع والبت (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) ونصب (يوم) بيدخلكم (لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه) فيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر (نورهم) مبتدأ (يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) فى موضع الخبر (٧) (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) يقولون ذلك

---

(١) فهى اسم فاعل بهذا المعنى لكن على زنة المبالغة .

(٢) الواقع أن أثرها فى صاحبها هو الذى ينصح الناس ويدعوهم إلى مثلها لا هى ، فإسناد النصح إليها على هذا الوجه مجاز علاقته السببية والمسببية .

(٣) مثل الشُّكور كالشُّكْر .

(٤) فتكون بعد حذف هذا المضاف وهو ذات وصفاً للتوبة مكان المضاف المحذوف .

(٥) فتكون مفعولا مطلقاً لذلك الفعل المقدر — وقوله بعدُ — وجاء مرفوعا إلخ . أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال : قال معاذ بن جبل يارسول الله ما التوبة النصوح ؟ قال : « أن يندم العبد على الذنب الذى أصاب فيعتذر إلى الله تعالى ثم لايعود إليه كما لايعود اللبن إلى الضرع »

(٦) بالجر عطفاً على الإجابة ، أى ومن وقوع ذلك إلخ .

(٧) وجملة نورهم يسعى والتى بعدها حالان من الذين آمنوا إن عطف على ما قبله فإن كان مستأنفاً فهما الخبران الثانى والثالث عنه ، وأما الخبر الأول فهو كلمة (معه) .

إذا انطفأ نور المنافقين (واغفر لنا إنك على كل شىء قدير * يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ والوعد البليغ ، وقيل بإقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (ومأواهم جهنم و بئس المصير * ضرب الله مثلا [1] للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين) مثّل الله عز وجل حالَ الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم و بينهم من النسب والمصاهرة ، و إن كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبياً ، بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بإفشاء أسرارهما ، فلم يغن الرسولان عنهما أى عن المرأتين بحق ما بينهما و بينهما من الزواج إغناء ما من عذاب الله ، وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم و بين الأنبياء ، أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا [2] امرأت فرعون) هى آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالأوتاد الأربعة [3] (إذ [4] قالت) وهى تعذب (رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة) فكأنها أرادت [5] الدرجة العالية ،

---

(١) ضرب المثل فى مثل ما هنا إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مثلها فى الغرابة ، وضربَ مع المثل تتعدى إلى مفعولين . ثانيهما فى الآية « مثلاً » واللام فى للذين آمنوا متعلقة به . وأولها « امرأةَ نوح وامرأةَ لوط » وقد أخر عن الثانى ليتصل به ما هو تفسير لحاله . والمعنى جعل الله مثلاً لهؤلاء المشركين حالاً ومآلا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا زوجتى نبيين فخانتاهما بنفاقهما فى العقيدة فموقتا فى الدنيا والآخرة ، ولم تدفع صلتهما بالنبيين عنهما من عذاب الله شيئاً ، فكذلك أنتم أيها المؤمنون .

(٢) فى أن قرابتهم وصلتهم بالكافرين لا تضرهم .

(٣) أخرج أبو يعلى والبيهقى بسند صحيح عن أبى هريرة « أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد فى يديها ورجليها ، فكانت إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة عليهم السلام » .

(٤) « إذ » ظرف لمحذوف ، أى حالها إذ قالت . (٥) أى أرادت بقولها عندك .

لأنه تعالى منزه عن المكان (١) فعبرت عنها (٢) بقولها عندك (ونجني من فرعون وعمله) أي من عمل فرعون (٣) أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصاً من عمله (٤) وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجني من القوم الظالمين) من القبط كلهم ، وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة (٥) الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) من الرجال (٦) (فنفخنا) فنفخ جبريل بأمرنا (٧) (فيه) في الفرج (من روحنا) المخلوقة (٨) لنا

---

(١) أي المكان الذي تفيده كلمة عندك إن حملت على حقيقتها وهي الظرفية المكانية .

(٢) أي مجازا .

(٣) يريد أن قولها « ونجني من فرعون » على معنى ونجني من عمل فرعون ؛ ويكون عطف عمله على فرعون لبيان المراد منه ، كقولهم أعجبني زيد وعلمه .

(٤) فيكون عطف عمله على فرعون في هذا الوجه مشبهاً لعطف جبريل على الملائكة ، لكنه هنا عطف مشمول على ما اشتمل عليه ، فإن نفسه مشتملة على عمله ، لا عطف خاص على عام كعطف جبريل على الملائكة .

والغرض على هذا الوجه طلب النجاة منه في ذاته فلا تكون معه حتى لا تتأثر بسوء جواره ، ومن عمله على سبيل المبالغة ، فربما لحقها أثره وهي بعيدة عنه ، ولو اقتصرت فقالت ونجني من فرعون ، على معنى ونجني من نفسه الخبيثة ، فإن ذلك يشمل طلب نجاتها من عمله ، لكنها بالغت فنصت على عمله لأنه مَظْهر نفسه الخبيثة .

(٥) مصدر ميمي بمعنى سؤال .

(٦) أي مَنَعَتْه منهم في حرام وكذا في حلال إذ لم تتزوج .

(٧) فإسناد النفخ إلى الله تعالى مجاز لأنه الآمر — وهذا لتوجيه كلام المفسر ، وسيأتي في التعليق الآتي بيان المراد الذي نرتضيه .

(٨) يعني أن إضافة روح إلى ضمير المتكلم وهو الله تعالى من إضافة المخلوق للخالق ، والمملوك للمالك ، كما تقول أعطيته من كسبي ، ومنحته من مالي . وليست إضافة الروح للجسد حتى يلزم من ذلك مع كلمة (من) أنه جزء من الله على البنوة أو سواها فإن قائل هذا الكلام هو الله الذي قال في آية أخرى « لم يلد ولم يولد » وقال « ليس كمثله شيء » — وإنما أسند النفخ إليه تعالى وكذلك أضيف روح عيسى إليه سبحانه مع =

(وصدقت بكلمات ربها) أى بصحفه التى أنزلها على إدريس وغيره [١] (وكُتُبه) ~~بصرى وحفص~~ يعنى الكتب الأربعة [٢] (وكانت من القانتين) لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين [٣] غلب ذكوره على إناثه [٤] ومِنْ للتبعيض ، ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين [٥] لأنها من أعقاب هرون أخى موسى عليهما السلام * ومثل حال المؤمنين فى أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئاً من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله [٦] مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ، ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة [٧] والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا *

= أن كل روح من خلقه للإيذان بأنه مخلوق لله بلا توسط أب ولتشريفه — كما يقول الملك فى شخص عظيم كرّمه فكافأه بنفسه مكافأة عظيمة ، منحته مكافأتى ، ولم يأمر له بمكافأة ما حتى يقول أمرت له بمكافأة .

والأظهر أن قوله تعالى « فنفخنا فيه من روحنا » كناية عن أنه تعالى خلق فى داخلها إنساناً ذا روح عظيم كأنه لقوة روحانيته روح خالص ، لا أنه نفخ على الحقيقة ، فإن ذلك مع شهرته لم يرد نصاً قطعى الدلالة .

(١) وسميت كلمات لقصرها .

(٢) التوراة والزبور والإنجيل والقرآن .

(٣) وهما الذكور والإناث .

(٤) تجمع بالياء والنون فى القانتين .

(٥) فهم أصلها ومبدؤها .

(٦) أخذت منزلتها عند الله فى الآية من جعلها مثلاً للمؤمنين ومن ذكر فضائلها ، فضلاً عن أن ذكره تعالى كونها طلبت منه بيتاً فى الجنة فى معرض ضربه المثل بمحامدها يشير إلى أنها مجابة إليه ، وتلك منزلة يسعى إليها المؤمنون .

(٧) الكرامة الدنيوية والأخروية فى مريم أخذت من الآية استلزاماً من وصفها فى معرض ضرب المثل بها للمؤمنين بإحصان فرجها ، وتصديقها بكلمات ربها وكتبه ، وكونها من القانتين ، فإن من كانت هذه صفاته كرم على الناس وعلى الله ، فاقرأ إن شئت قوله تعالى « قد أفلح المؤمنون » إلى قوله « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

وفى طى هذين التمثيلين تعريض [١] بأمى المؤمنين المذكورتين فى أول السورة ومافرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه ، وتحذير لهما على أغلظ وجه ، وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا فى الإخلاص كهاتين المؤمنتين ، وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) المراد من التمثيلين التمثيل بامرأتى نوح ولوط أولا ، والتمثيل بامرأة فرعون ومريم آخراً ، وقوله إن فيهما تعريضاً بأمى المؤمنين تبع فيه أصله الزمخشرى ، ولم يذكر مثل ذلك طائفة من المفسرين ، ونِعْم ماصنعوا ، فأين أول السورة من آخرها ، وهل يليق أن تذكر قصة المنافقات الكافرات تعريضاً بأمهات المؤمنين ، وكيف يكون فى التمثيلين تعريض بهن وهما وثيقا الصلة بما قبلهما من أن الكافرين أهل النار وأنهم لاعذر لهم يحول دون تعذيبهم ، ومن أن المؤمنين أهل الجنة ، وأنهم يجب إقلاعهم عن المعاصى ليحرزوها .

ســـورة الملك

مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقى قارئها من عذاب القبر[١]
وجاء مرفوعاً من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) أى بتصرفه[٣] الملك والاستيلاء على كل موجود . وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء و ينزعه ممن يشاء[٤] (وهو على كل شىء) من المقدورات أو من الإنعام والانتقام[٥] (قدير) قادر على الكمال[٦] (الذى خلق الموت) خبر مبتدأ محذوف[٧] أو بدل من الذى قبله (والحيوة)

سـورة الملك

وجه مناسـبتها لما قبلها أن فيما قبلها وعداً للمؤمنين بالسعادة الأخروية ، ووعيـداً للكافرين بالشقاوة الأبدية ، وقد افتتحت هذه السورة بما يدل على إحاطة علمه وتصرفه فيما سواه ، ثم ذُكِر فيها وعيده للكافرين ووعده للمؤمنين .

(١) وردت تسميتها بالمانعة وبالمنجية فيما أخرجه الترمذى عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سـورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال رسـول الله ﷺ هى المانعة هى المنجية . وأما تسميتها بلفظ الواقية فلم أصادف فيه أثراً .

(٢) صححه الحاكم .

(٣) فاليد مجاز عن التصرف لأن الجارحة مستحيلة على الله « ليس كمثله شىء » وقوله الاستيلاء تفسير للملك بطريق العطف عليه .

(٤) وذلك من آثار كون المُلك أى الاستيلاء بيده .

(٥) قضية العموم فى كل شىء تمنع إرادة الإنعام والانتقام وحدهما، فالصواب ماقبله .

(٦) قوله على الكمال صفة لمصدر محذوف ، أى قادر قدرة على الكمال ، أى قدرة كاملة ، وأخذ هذا الكمال من صيغة المبالغة فى قدير .

(٧) أى هو الذى .

أى ما يصح بوجوده الإحساس ، والموت ضده [1] ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح [2] وإعدامه [3] والمعنى خلق موتكم [4] وحياتكم [5] أيها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت الذى يعم الأمير والأسير والحياة التى لا تنى [6] بعليل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (أيكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملا) أى أخلصه وأصوبه [7] فالخالص أن يكون لوجه الله ، والصواب أن يكون على السنة . والمراد أنه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل ، وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح ، فما وراءه إلا البعث والجزاء الذى لا بد منه . وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه . فقدم

---

(١) أى ما لا يصح بوجوده الإحساس ، فهو حالة وجودية عند بعض العلماء تقتضى عدم الإحساس ، وتتعلق بها القدرة إيجاداً وإعداماً .

(٢) أى إيجاد ذلك المصحح للإحساس كما سبق .

(٣) يفسر خلقه تعالى للموت بأنه إعدام لما يصحح الإحساس وهو الحياة ، ولكن هذا على طريقة من يقولون إن الموت عدم الحياة فلا يتعلق به الخلق ، فلذا يفسرون خلق الموت فى الآية بأنه تقديره أو إعدام الحياة التى هى مصحح الإحساس كما ذكره النسفى هنا ، وقد نسى الشيخ النسفى أنه قال إن الموت ضد ما يصح بوجوده الإحساس الذى عرف به الحياة فيكون تعريفه ما لا يصح بوجوده الإحساس ، وذلك يقتضى أنه وجودى يتعلق به الخلق ، فلا يصح على هذا تفسير خلقه بأنه إعدام مصحح الإحساس ، بل هو إيجاد نفس الموت ، نعم لو قال والموت نقيضه لما تناقض فى كلامه .

(٤) أى الطارىء على الحياة ، لا العدم السابق عليها ، وتقديمه على الحياة لأنه أدعى عند تذكره إلى إحسان العمل كما سيبينه .

(٥) السابقة للموت .

(٦) أى لا تطول ، ومنه مات فلان وأنت بوفاء ، أى بطول عمر ، تدعو له بذلك ، والمراد أن الحياة قصيرة ولو بذل الطبيب فى إطالتها طبه .

(٧) فالمراد الحسن القلبى والظاهرى .

لأنه فيما يرجع إلى المسـوق له الآية أهم [١] ولما قدم الموت الذى هو أثر صفة القهر ، على الحياة التى هى أثر اللطف ، قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وهو العزيز) أى الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) الستور الذى لا ييأس منه أهل الاساءة والزلل (الذى خلق سبع سموات طباقا) مطابَقة [٢] بعضها فوق بعض . من طابق النعل إذا خصفها [٣] طبقاً على طبق [٤] وهذا وصف بالمصدر [٥] أو على ذات طباق [٦] أو على طوبقت طبـاقاً [٧] وقيل جمع طبق كجمل وجمال [٨] والخطاب فى (ماترى فى خلق الرحمن) للرسول أو لكل مخاطب (من تفاوت) تفوُّت ومعنى البناءين واحد ، كالتعاهد والتعهد . أى من اختلاف واضطراب . وعن السدى من عيب . وحقيقة التفاوت عدم التناسب [٩] كأن بعض الشىء يفوت بعضا ولايلائمه.

---

(١) الآية مسوقة لحمل الناس على إحسان العمل ، والموت يحملهم على ذلك أكثر من الحياة فلذا قدم ، وما فى قوله . فيما يرجع . مصدرية ، أى لأنه فى رجوعه إلى ماسيقت له الآية أهم من الحياة .

(٢) يعنى أن طباقاً مصدر كمطابقة ، قال ابن مالك ٭ لفاعل الفعال والمفاعلة ٭

(٣) أى خرزها وخاطها .

(٤) أو هو مأخوذ من طابق بين قميصين إذا لبس أحدهما فوق الآخر ، و المـأخذ الأصيل لـكل الطبق ، وهو غطاء الشىء ، أو الطبقة وهى معروفة .

(٥) أى وصف لسبع ، ويصح أن يكون حالاً منه لتخصصه بالإضافة إلى سموات ، مؤولاً باسم المفعول أى مطابَقة .

(٦) يريد أنها وصف لسبع على تقدير مضاف هو كلمة ذات ، فتكون ذات هى الوصف لسبع فى الحقيقة ، ويجوز على هذا أن تكون حالا .

(٧) فتكون مفعولاً مطلقاً لذلك المقدر .

(٨) أو جمع طبقة كرحَبة ورحاب ، وعلى كونه جمعاً يكون وصفاً على تقدير مضاف أى ذات طباق لأنه اسم جامد لايوصَف به .

(٩) ليست هذه حقيقته ، بل هى فوت كل من الشيئين الآخر ، وأما عدم التناسب فهو معنى لازم تصح إرادته مجازاً هنا ، كما صحت إرادة الاضطراب أو العيب مجازاً ، وبه قال قتادة وغيره .

وهــذه الجملة صفة لطباقا [١] وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت ، فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن ، وتنبيهاً على سبب سلامتهن من التفاوت ، وهو أنها خلق الرحمن وأنه [٢] بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب [٣] (فارجع البصر) رده إلى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ، فلا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشــق (ثم ارجع البصر كرتين) كرر [٤] النظر مرتين أى كرتين مع الأولى ، وقيل سوى الأولى [٥] فتكون ثلاث مرات ، وقيــل لم يرد الاقتصــار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة [٦] أى كرر نظرك ودققه . هل ترى خللا أو عيبــاً . وجواب الأمر (ينقلب) يرجع (إليك البصر خاسئا) ذليلا أو بعيداً [٧] مما تريد . وهو حال من البصر (وهو حسير [٨])

---

(١) الذى فى الكشاف أنها صفة لسبع سموات ، لالطباقاً ، وهو الحق ، فإن طباقاً هى الأخرى صفة لها كما مر .

(٢) معطوف على سبب السابق،أى تنبيهاً على سبب سلامتهن وعلى أنه بباهر قدرته إلخ.

(٣) أى رحمة منه ، وقد ذكر هــذه التتمة أبو السعود ، فإن الذى فى الآية ليس وصف القدرة فيبين وجه ذكره ، بل الرحمة إلى جانب الخلق ، وعبارة أبى السعود . وضع خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم ، والإشعار بعـلة الحكم ، وبأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلاً اهـ ، وإنما ذكرا فى كلامهما القدرة ولا وجود لها فى الآية لأن الخلق لا يكون إلا بها .

(٤) تفسير لارجع .

(٥) وهــذا هو اللائق بمعنى الكرة ، فإن الكرة الرجعــة ، فإذا رجعت النظر رجعتين تكون قد نظرت إلى السماء ثلاث مرات مع الأولى .

(٦) كما قالوا فى لبيك وسعديك ، وهذا هو الذى يستدعيه المقام .

(٧) من خَسَأَ الكلبُ ، أى بَعُدَ كَيَسِيَ ، والخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد ، وتفسيره بذليلاً تفسير باللازم ، فإن الطريدَ البعيدَ ذَلِيلٌ .

(٨) فعيل من حَسَرَ البصر يحسِر حُسُوراً كلَّ وانقطع من طول ما نظر .

كليل مُعْيٍ[1] ولم ير فيها خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى أى السماء الدنيا منكم (بمصابيح) بكواكب مضيئة كإضاءة الصبح ، والمصابيح السُّرُج[2] فسميت بها الكواكب[3] والناس يزينون مساجدهم ودورهم بإيقاد المصابيح ، فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها[4] بمصابيح أى بأى مصابيح[5] لا توازيها مصابيحكم إضاءة[6] (وجعلناها رجوماً للشياطين) أى لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات . قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث ، زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رَجْم[7] وهو مصدر سمى به ما يرجم به . ومعنى كونها رجوماً للشياطين أن ينفصل عنها شهاب قَبس[8] يؤخذ من نار[9] فيقتل الجنى أو يخبله لأن الكواكب

---

(١) من أعيا الماشى ، كلّ . (٢) جمع . مفرده السراج

(٣) لأنها مثلها فى إذهاب الظلام .

(٤) وهى دار الدنيا ، أرضها اليابسة ، وسقفها السماء .

(٥) يقصد أن التنكير فى مصابيح للتفخيم .

(٦) معظم الكواكب موجود فيما عدا السماء الأولى ، ولكون السموات شفافة ترى الكواكب التى فى غير السماء الأولى كأنها فيها فاعتبرت زينة لها .

(٧) بسكون الجيم ، وأما بفتحها فهو البئر .

(٨) القَبَسُ شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمِقباس .

(٩) ينفصل عن الكواكب أجرام صغيرة تسمى رُجماً أوشهباً ، فإن كبرت شيئاً ما سميت نيازك ، وتبرد بعد انفصالها إن كان أصلها حاراً ، وتظل سابحة فى الفضاء بقوة الانجذاب إلى كواكب مختلفة ، ولأمر ما يريده الله تترك مكانها ، وتمر كالسهم فى المنطقة الهوائية التى حول الأرض ، ويكون لتفاعلها مع الهواء احتراق يحدث ذلك اللمعان الذى تراه ، وهى من الكثرة إلى درجة لاحصر لها ، ولاتأثير لانفصالها فى أحجام الكواكب فإن كوكبنا الأرض مع صغره تقطع من جباله الأحجار منذ عرفنا صناعة البناء ، ومازالت الأرض هى الأرض والجبال هى الجبال ، فكيف بالكواكب على كثرتها وكبر حجمها ، وبهذا يكون قول النسفى : « يؤخذ من نار » : فيه تسامح .

لا تزول عن أماكنها لأنها قارة فى الفلك على حالها (وأعتدنا لهم) للشياطين (عذاب السعير) فى الآخرة بعد الإحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع جهنم (إذا ألقوا فيها) طرحوا فى جهنم كما يطرح الحطب فى النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتاً منكراً كصوت الحمير شبه حسيسها [1] المنكر الفظيع بالشهيق [2] (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل [3] بما فيه (تكاد تميز) أى تتميز يعنى تتقطع وتتفرق (من الغيظ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم . استعارة لشدة غليانها بهم (كلما ألقى فيها فوج) جماعة من الكفار (سألهم خزنتها) مالك وأعوانه من الزبانية توبيخاً لهم (ألم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأنه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه (فكذبنا) أى فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شىء) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (إن أنتم إلا فى ضلال كبير) أى قال الكفار للمنذرين ما أنتم إلا فى خطإ عظيم [4] فالنذير [5] بمعنى الإنذار ثم وصف به منذروهم لغلوهم فى الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذارا. وجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على إرادة القول [6] ومرادهم [7] بالضلال

---

(١) حسيس النار صوتها فى تأججها .

(٢) يطلق الشهيق على نُهاق الحمير ، وهو المناسب للمقام كما اختاره النسفى وغيره ، وعلى تردد البكاء فى الصدر ، وليس مراداً هنا .

(٣) المِرْجل القدر من الحجارة أو النحاس : مذكر .

(٤) فهو من جملة مقول القول السابق ، أى قالوا لمنذريهم فى الدنيا مقالين هما : مانزل الله من شىء . و : إن أنتم إلا فى ضلال كبير .

(٥) أى فى قوله « ألم يأتكم نذير » وفيما بعده .

(٦) أى قال الخزنة للكفار إن أنتم إلخ .   (٧) أى ومراد الخزنة .

الهلاك . أو سموا جزاء الضلال باسمه كما سمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة فى علم البيان . أو كلام الرسل[1] لهم حكوه للخزنة أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (وقالوا لو كنا نسمع) الإنذار سماع طالب الحق (أو نعقل) أى نعقله عقل متأمل (ما كنا فى أصحاب السعير) فى جملة أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وأنهما حجتان ملزمتان[2] (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل[3] (فسحقاً لأصحاب السعير) وبضم الحاء يزيد وعلى . فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته . اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك لا ينفعهم ، وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء[4] (إن الذين يخشون ربهم بالغيب[5]) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) أى الجنة (وأسروا قولكم أو اجهروا به) ظاهره الأمر بأحد الأمرين الاسرار والاجهار[6] ومعناه ليستو عندكم[7] إسراركم وإجهاركم فى علم الله بهما . روى أن مشركى مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) معطوف على كلام الخزنة ، أى وجاز أن يكون كلام الرسل .

(٢) فإن الله يحكى عن أهل النار إقرارهم بأن سبب شقائهم مجانبتهم الأدلة السمعية والعقلية بعد ما استبان لهم ذلك .

(٣) فإن تكذيب الرسل كفر ، وليس بعد الكفر ذنب .

(٤) منصوب بفعل متعد من المزيد بحذف الزائد ، أى سحقهم الله سحقا ، بمعنى أسحقهم إسحاقاً أى أبعدهم من رحمته إبعاداً ، كما فى قعدك الله ، أى أقعدك ، ومنه قول الشاعر * وتسحقه ريح الصبا كل مسحق * أى تبعده كل إبعاد ، أو منصوب بفعل لازم مترتب على الرباعى المتعدى ، أى أسحقهم الله فسحقوا بكسر الحاء وضمها سحقاً أى أبعدهم فبعدوا بعدا .

(٥) الجار والمجرور حال من الواو ، على معنى يخشون ربهم غائبين عنه أى عن عذابه ، أو على معنى يخشون ربهم غائبين عن أعين الناس ، فهم ليسوا أهل رياء . ويجوز جعله حالاً من المفعول على تقدير مضاف ، أى يخشون عذاب ربهم غائباً عنهم .

(٦) أى وليس معنى الأمر مراداً ، بل هو لتسوية الأمرين فى علم الله .

(٧) أى فى اعتقادكم .

فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوه منه ، فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد، فنزلت ، ثم علله بقوله (إنه عليم بذات الصدور) أى بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها ، فكيف لايعلم ما تُكلِّمَ به[1] (ألا يعلم من خلق) من فى موضع رفع بأنه فاعل يعلم[2] (وهو اللطيف الخبير) . أنكر[3] أن لا يحيط علماً بالمضمر والمسر والمجهر من خلقها[4] وصفته[5] أنه اللطيف أى العالم بدقائق الأشياء الخبير العالم بحقائق الأشياء[6] وفيـه إثبات خلق الأقوال[7] فيكون دليلا على خلق أعمال العباد .
وقال أبو بكر بن الأصم وجعفر بن حرب[8] من[9] مفعول والفاعل مضمر وهو الله

---

(١) أى سراً أوجهراً .

(٢) أى ألا يعلم السرّ والجهر من أوجد جميع الأشياء ، وفى جملتها هم ، وسرهم ، وجهرهم .

(٣) أى أنكر بقوله ألا يعلم ، فإن الهمزة للاستفهام الإنكارى دخلت على لا النافية ، ففيه إنكار لنفى علمه بما ذكر .

(٤) لو قال من خلق جميع الأشياء لكان أنسب ، ويدخل ما ذكر ضمن هـذا العموم دخولا أولياً .

(٥) أى وحاله أنه اللطيف إلخ ، فجملة وهو اللطيف الخبـير حال من فاعل يعلم مؤكدة للإنكار ، واختار التعبير بالصفة مكان الحال لأن صفتى اللطف والخبرة لازمتان لله تعالى ، وذلك مخالف للمطرد فى الحال من الانتقال والتبدل .

(٦) يرى الغزالى أن اللطيف هو العالم بالخفايا ودقائقها الرفيق فى إيصال ما يصلحها إليها ، ويلزم ذلك العلم بالجلايا بالطريق الأولوى، وأما الخبير فهو العالم بالخفايا ودقائقها ، فلا يرامى فى معناه القيد الثانى .

(٧) لأن قوله ألا يعلم من خلق فى قوة قولك ألا يعـلم السر والجهر من خلقهما ، فإنها سيقت بعد التسوية بين السر والجهر فى علم الله فى قوله تعالى « وأسروا قولكم » الآية للتدليل بخلقها على علمهما . ومَنْ خلق الأقوال سرها وجهرها وهى من كسب العبد فهو خالق للأفعال من كسبه لأنها مثلها ، وهذا رأى أهل السنة .

(٨) من المعتزلة .   (٩) أى مَنْ فى قوله « من خلق » .

تعالى [١] فاحتالا بهذا لنفى خلق الأفعال (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا) لينة سهلة مذللة لا تمنع المشى فيها (فامشوا فى مناكبها) جوانبها [٢] استدلالا واسترزاقا أو جبالها [٣] أو طرقها [٤] (وكلوا من رزقه) أى من رزق الله فيها (وإليه النشور) أى وإليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (أأمنتم من فى السماء) أى من ملكوته [٥] فى السماء لأنها مسكن ملائكته ، ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه . فكأنه قال أأمنتم خالق السماء ومَلِكه . أو لأنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الأرض [٦] كما خسف بقارون (فإذا هى تمور) تضطرب وتتحرك (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً) حجارة [٧] أن يرسل بدلُ مَنْ بدَلَ الاشتمالِ [٨] وكذا أن

---

(١) فالمعنى عليه ألا يعلم الله من خلقه ، وهو الإنسان ، فلا تعرض فى الآية على هذا لخلق الأقوال ، ليستدل بها على خلق الأفعال . وهذا احتمال ، والدليل متى تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ، وهنا كذلك ، فلا يستدل به للوجه الأول .

(٢) فإن المناكب جمع منكب كمجلس ، ومن جملة معانيه ناحية كل شىء . كما أريدهنا .

(٣) مروى عن ابن عباس وقتادة وغيرهما ، أى امشوا حتى فى جبالها فإنها ميسرة لكم .

(٤) مروى عن الحسن ، واعلم أن أصل المنكب مجتمع ما بين العضد والكتف ، قال أبو السعود ، وهو مثل لفرط التذليل ، فإن منكب البعير أرق أعضائه وأنباها عن أن يطأه الراكب بقدمه ، فإذا جعلت الأرض فى الذل بحيث يتأتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شىء لم يذلل اهـ .

(٥) الملكوت العز والسلطان ، فقوله من فى السماء يفيد بظاهره أن السماء مكان لله تعالى ، وذلك محال ، فلذا قدر كلمة ملكوت .

(٦) أى يُخرّقها بكم ، تقول خسف الشىء خرّقه تخسّف ، أى تخرق ، فهو لازم متعد .

(٧) ويطلق الحاصب أيضاً على الريح فيها حصباء ، كأنها تقلع الحصباء لشدتها .

(٨) يقصد أن مَنْ فى السماء أبدل منه أن يرسل بدل اشتمال .

يخسف [1] (فستعلمون كيف نذير) أى إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذارى حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم إذ أهلكتهم [2] ثم نبه على قدرته على الخسف وإرسال الحاصب بقوله (أو لم يروا إلى الطير) جمع طائر [3] (فوقهم) فى الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانهن [4] (ويقبضن) ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن . ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى . أى يصففن ويقبضن أوصافات وقابضات . واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو صف الأجنحة . لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء ، والهواء للطائر ، كالماء للسابح ، والأصل فى السباحة مد الأطراف وبسطها ، وأما القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرك ، فجىء بما هو طارىء بلفظ الفعل [5] على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة ، كما يكون من السابح (ما يمسكهن) عن الوقوع عند القبض والبسط (إلا الرحمن) بقدرته [6] وإلا فالثقيل يتسفل طبعاً ولا يعلو . وكذا لو أمسك

---

(١) التى سبقت أن يرسل ، فهى بدل اشتمال مِنْ مَنْ فى السماء التى قبلها .

(٢) والاستفهام فى كيف للتهويل والتفخيم .

(٣) قال صاحب القاموس : وقد يقع على الواحد . والجمعُ طيور وأطيار .

(٤) فهن إذا بسطنها صففن قوادمها ، أى ماتقدم من ريشها صفا ، واستعمال الصف فى البسط مجاز من استعمال اسم المسبب فى السبب ، وإنما فسر بذلك لمقابلته بقوله ويقبضْنَ فالقبض يقابل البسط .

(٥) فإنه يفيد التجدد المناسب للقبض الطارىء على البسط المعتبر أصلاً يناسبه التعبير بالاسم .

(٦) وذلك أنه تعالى خلقهن ذوات ريش وأجنحة وذيل ، وأعطاهن خصائص تمكنهن من الطيران ، فذلك إمساك الله لهن ، ولوشاء لعطل الأجنحة أو الذيل ، أو فعل غير ذلك فيسقطن على الأرض ، فإن الثقيل يتسفل ولا يعلو ، كما قال الشيخ ، وعبر بالرحمن إيذاناً بأن إمساكهن رحمة منه .

حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الأفلاك . وما يمسكهن مستأنف ، وإن جعل حالا من الضمير في يقبضن يجوز (إنه بكل شيء بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (أمَّن) مبتدأ[1] خبره (هذا) ويبدل مِن هذا (الذى[2] هو جند لكم) ومحل (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ[3] والمعنى من المشار إليه بالنصر غير الله تعالى (إن الكافرون إلا فى غرور) أى ماهم إلا فى غرور (أمَّن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه) أم من يشار إليه ويقال هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه . وهذا على التقدير[4] ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان ، لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم ، فكأنهم الجند الناصر والرازق ، فلما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال (بل[5] لجوا) تمادوا (فى عتو) استكبار عن الحق (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه . ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أفمن يمشى مكباً على وجهه) أى ساقطاً على وجهه يعثر كل ساعة ويمشى معتسفاً . وخَبرُ مَنْ . (أهدى) أرشد . وأكَبَّ مطاوع كَبَّه ، يقال كبيته فأكب[6] (أمن

---

(١) المبتدأ هو « مَنْ » دخلت عليه أم ، فأدغمت ميمها فى ميم مَنْ ، وأم هذه منقطعة بمعنى بل ، للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فى أحوال الطير العجيبة المنبئة عن قدرته تعالى واستحقاقه لأن يعبد وحده إلى التبكيت بما ذكر .

(٢) فالذى هو جند بدلُ مِنْ هذا ، ويجوز كونه نعتاً له ، وقوله هو جند جملة من مبتدأ وخبر صلة الذى .

(٣) فلذا رجع الضمير فى ينصركم إليه بالإفراد ، وأتى باسم الإشارة للتحقير ، والمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم غير الله ذى الرحمة .

(٤) أى على تقدير وجود مشار إليه يدعى أنه يرزقهم .

(٥) بل للاضراب الانتقالى عن مقدر يستدعيه ماقبله ، وقد عطفت مابعدها عليه فكأنه قيل لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا إلخ .

(٦) كبَّ تستعمل متعدية ، وأما أكب فتستعمل لازمة تارة فتكون مطاوعاً لكب ، تقول كبّه ، أى صرعه على وجهه ، فأكب ، أى سقط . وتستعمل متعدية تارة أخرى ، تقول أكبه بمعنى كبه .

يمشى سويا) مستويا منتصباً سالماً من العثور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستو . وخبر مَنْ محذوف لدلالة أهدى عليه . وعن الكلبي عُنِي بالمكب أبو جهل ، وبالسوى النبي عليه السلام [1] (قل هو الذى أنشأكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) خصها لأنها آلات العلم [2] (قليلا ماتشكرون) هذه النعم لأنكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة ، والمعنى تشكرون شكراً قليلا ، وما زائدة [3] وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الأرض وإليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) أى الكافرون للمؤمنين استهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدوننا به يعنى العذاب [4] (إن كنتم صادقين) فى كونه [5] فأعلمونا زمانه (قل إنما العلم) أى علم وقت العذاب (عند الله وإنما أنا نذير) مخوف (مبين) أبين لكم الشرائع (فلما رأوه) أى الوعد ، يعنى العذاب الموعود [6] (زلفة) قريباً منهم ، وانتصابها على الحال [7] (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤيةُ الوعد وجوههم ، بأن علتها الكآبة والمساءة ، وغشيتها القترة [8] والسواد

---

(١) الراجح ما سبق من أنه مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحاً لتباين حاليهما ، والفاء فى قوله (أفمن) لترتيب ما بعدها على ما سبق من سوء مصير الكافرين الذى دل عليه قوله تعالى « وللذين كفروا بربهم » الآيات . وحسن مصير المؤمنين الذى دل عليه قوله تعالى « إن الذين يخشون ربهم بالغيب » الآية . وما تلا ذلك مما يفيد إصرار الكافرين على كفرهم المؤدى إلى سوء المصير .

(٢) أى خصها مع سبق دخول جعلها لهم فى جملة خلقهم ، لشرفها بأنها آلات العلم .

(٣) لتأكيد القلة .

(٤) فالوعد هنا بمعنى الموعود .

(٥) أى صادقين فى الإخبار بكونه ، أى الإخبار بحصوله ووجوده .

(٦) فالضمير يعود على الوعد بمعنى العذاب الموعود .

(٧) على أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل حال ، أى مزدلفاً أى قريباً ، أو على تقدير مضاف ، أى ذا زلفة .

(٨) أى الغبرة .

(وقيل هذا الذى) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء ، أى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا . أو هو من الدعوى ، أى كنتم بسببه [1] تدّعون أنكم لا تبعثون . وقرأ يعقوب تَدْعُون (قل أرأيتم إن أهلكنى الله) أى أماتنى الله كقوله إن امرؤ هلك (ومن معى) من أصحابى (أو رحمنا) أو أخر فى آجالنا (فمن يجير) ينجى (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم . كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ، فأمر بأن يقول لهم . نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسنيين ، إما أن نهلك كما تتمنون فنقلب إلى الجنة ، أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو فأنتم ما تصنعون ، مَن مجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه (قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم إليه الرحمن (آمنا به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا إليه أمورنا (فستعلمون) إذا نزل بكم العذاب ، وبالياء علىّ (من هو فى ضلال مبين) نحن أم أنتم (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا) غائراً ذاهباً فى الأرض لا تناله الدلاء ، وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل (فمن يأتيكم بماء معين) جار يصل إليه من أراده [2] وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول [3] والمَعَنْ [4] فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى ، وقيل أنه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة .

---

(١) بسبب ذكر الرسل له على سبيل الوعيد .

(٢) وهو فعيل مأخوذ من مَعَن الماء أساله ، أو مفعول من عين الماء أجراه فهو معين ومعيون ، ومنه العَيْن بمعنى جريان الماء كالعينان .

(٣) حديدة ينقر بها .

(٤) معناه كما فى الصحاح الشىء اليسير ، وعبارة الزمخشرى تجىء به الفؤوس والمعاول ، ومرد الأولى إليها ، فإن الشىء اليسير يتناول نحو الفأس .

سورة ن

مكية وهى اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(نٓ) الظاهر أن المراد به هذا الحرف[١] من حروف المعجم ، وأما قول الحسن إنه الدواة[٢] وقول ابن عباس إنه الحوت الذى عليه الأرض واسمه يهموت[٣]

سورة ن

هى من أوائل ما نزل بمكة من القرآن ، فقد نزلت « اقرأ باسم ربك » ثم ن ثم المزمل ثم المدثر كما روى عن ابن عباس ، ووجه مناسبتها لما قبلها كما قال أبو حيان أنه ذكر فى سورة الملك بعض أحوال السعداء والأشقياء ، وأنه قادر ، واسع العلم ، ولوشاء لخسف بهم الأرض ، أو لأرسل عليهم حاصباً ، وقد تلا الرسول عليهم القرآن الدال على ذلك فرموه مرة بالشعر وأخرى بالسحر ، وثالثة بالجنون ، فبرأه الله فى صدر هذه السورة مما نسبوه إليه ، وبين له فيها أنه عظيم الأجر لصبره على أذاهم ، وأثنى على خلقه اهـ بتصرف .

وعندى أن هذه السورة والتى قبلها يشتركان فى بيان قدرة الله وإحاطة علمه وإقامة الدليل على ذلك ، وفيهما وعد المؤمنين بالسعادة ووعيد المشركين بالشقاوة ، وحفز لهم على ترك شركهم بألوان شتى من التحذير والإغراء ، وما عدا ذلك فيهما فهو تابع لتلك المقاصد .

(١) ليس حرفاً ولكنه اسم أريد به هذا الحرف فى مثل نأخذ ونعطى ومن الناس ونحو ذلك ، وكان اسماً لأنه تدخل عليه مميزات الأسماء . تقول النون ونونٌ بالتنوين ، فترفعه بالضمة وتنصبه بالفتحة وتجره بالكسرة الظاهرة ورسم فى المصحف حرفاً واحداً تبعاً لمصحف عثمان ، ومن حق النطق به أن يكتب هكذا : نون .

(٢) أنكر الزمخشرى وروده بهذا المعنى فى لغة العرب .

(٣) جاء هذا فى أثر رواه الضياء فى المختار والحاكم وصححه ، وجمع عن ابن عباس خلق الله تعالى النون فبسطت الأرض عليه ، فاضطرب النون فمادت الأرض ، فأثبتت =

فمشكل ، لأنه لابد له من الاعراب سواء كان اسم جنس [١] أو اسم علم [٢] فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم [٣] (والقلم) أى ما كتب به اللوح ، أو قلم الملائكة ، أو الذى يكتب به الناس ، أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) أى مايسطره الحفظة [٤] أو ما يَكتُبُ به من الخير مَنْ كتب [٥] وما موصولة أو مصدرية [٦] وجواب القسم (ما أنت بنعمة ربك) أى بإنعامه [٧] عليك بالنبوة وغيرها . فأنت اسم ما وخبرها (بمجنون) و بنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر ، والباء فى بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ، ومحله النصب على الحال [٨] والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون منعماً عليك بذلك [٩] ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفى وهو جواب

= بالجبال ، ثم قرأ « ن . والقلم ومايسطرون » إلخ . واعلم أن تصحيح الحاكم لهذا الأثر فيه نظر ، فمثل ذلك لاينطق به ابن عباس ، وضبطوا يهموت بياء مثناة تحتية مفتوحة وهاء ساكنة .

(١) لكل دواة أو حوت . (٢) لدواة خاصة أو حوت خاص .

(٣) جيء به على نمط التعديد للتحدى ، فهو رمز إلى أن القرآن الكريم مؤلف من كلمات ذات حروف من جنس ماينظمون منه كلامهم ، فهلهم قادرون على الإتيان بمثله ، كلا فدون ذلك تحصيل المستحيل ، وسنعرض لتفصيل ذلك وتبيان وجوه أخرى فى مبحث خاص حينما نصل فى توضيح هذا الكتاب إلى أوله إن شاء الله تعالى .

(٤) يعنى أن ضمير « يسطرون » للحفظة على أنه قلم الملائكة .

(٥) يعنى أن ضمير يسطرون لكل من كتب إن أريد بالقلم ما يكتب به الناس ، والمرجع فى هذين الوجهين غير مذكور اكتفاء بدلالة القلم على الكاتبين به .

(٦) أى والذى يسطرونه ، أووسطرهم .

(٧) فنعمة مصدر أنعم بحذف الزائد ، ويجوز أن تكون النعمة مراداً منها النبوة لا الإنعام أى ماأنت ملتبساً بالنبوة .

(٨) من الضمير فى مجنون .

(٩) أو ملتبساً بنعمة ربك إن أريد بالنعمة النبوة لا الإنعام كما مر .

قولهم [1] وقالوا يـأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون (وإن لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لأجرا) لثواباً (غير ممنون) غير مقطوع [2] أو غير ممنون عليك به [3] (وإنك لعلى خلق عظيم) قيـل هو ما أمره الله تعـالى به فى قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وقالت عائشـة رضى الله عنها [4] كان خلقه القرآن ، أى ما فيه من مكارم الأخلاق . وإنما استعظم خلقه لأنه جاد بالـكونين [5] وتوكل على خالقهما (فستبصر ويبصرون) أى عن قريب [6] ترى ويرون ، وهذا وعد له ، ووعيد لهم ، (بأيكم المفتون) المجنون [7] لأنه فتن أى محن بالجنون ، والباء مزيدة [8] أو المفتون مصـدر كالمعقول . أى بأيكم الجنون . وقال الزجاج البـاء بمعنى فى ، تقول كنت ببلد كذا أى فى بلد كذا ، وتقديره فى أيكم المفتون أى فى أى الفريقين منكم المجنون ، فريق الإسلام أو فريق الـكفر [9] (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أى هو أعلم بالمجانين على الحقيقة ، وهم الذين ضلوا

---

(١) أى ردٌّ على هذا القول الذى حكته الآية التالية .

(٢) مِنْ مَنَّ الحبل قطعه .

(٣) أى من الناس فإنه عطاء الله تعالى بلا واسطة ، أو من الله فشيمة الـكرام عدم للمن خصوصاً على الأحباء . والمن على هذين الوجهين التحدث بالإنعام على المنعم عليه به .

(٤) أى فى حديث رواه مسلم وأبو داود وأحمد والدارمى وابن ماجه والنسائى عن سعد بن هشام قال . قلت لعائشة رضى الله تعالى عنها ، يا أم المؤمنين أنبئينى عن خُلُق رسـول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن ، قلت بلى ، قالت فإن خلق نبى الله كان القرآن .

(٥) أى زهد فيهما ، مع أنه لو أراد أعظم شىء فيهما لأناله الله تعالى إياه ، والمراد بالـكونين السماء والأرض .

(٦) أخذ القرب من السين فإنها للتقريب .

(٧) تفسيره بذلك رواه ابن جرير عن ابن عباس .

(٨) أى فى المبتدأ وجوز ذلك سيبويه .

(٩) وعلى أى وجه مما ذكر فبأيكم المفتون معمول لما قبله على سـبيل التنازع ، والمراد فستعلم ويعلمون ذلك يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل .

عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بالعقلاء ، وهم المهتدون [١] (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم [٢] على معاصاتهم . وقد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (ودوا لو تدهن) [٣] لو تلين لهم (فيدهنون) فيلينون لك ، ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمنى [٤] لأنه عدل به إلى طريق آخر ، وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف ، أى فهم يدهنون ، أى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى إدهانك [٥] (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل ، وكفى به مزجرة [٦] لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير فى الرأى والتمييز ، من المهانة وهى القلة والحقارة . أو كذاب لأنه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مغتاب [٧] (مشاء بنميم) نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم . والنميم والنميمة السعاية [٨] (مناع

---

(١) أى فيجازى كلا حسب حاله .

(٢) الذى قاله النسفى قاله غيره ، ولا أراه يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن الرسول معصوم على تلك المعاصاة ، فهو غير محتاج إلى هذا التهييج ، فينبغى أن يقال بدله ، هذا النهى لتقريره على ما هو عليه من معاصاتهم .

(٣) تعليل للنهى السابق . (٤) أى الذى فهم من ودوا .

(٥) أو المعنى فهم يدهنون بعد حصول إدهانك وملاينتك التى ودوها ، والفاء للسببية داخلة على جملة مسببة عما قبلها فى كلا الوجهين، والمعتبر فى جانبهم حقيقة الإدهان وهو الملاينة الصورية وتحتها الداء الدوى ، وأما فى جانبه فما ودوه منه فهو الملاينة ظاهراً وباطناً ، عبر عنها بالإدهان على سبيل المشاكلة .

(٦) أى وكفى بالنهى عن طاعة كل حلاف فى رأس النواهى الأخرى زاجراً .

(٧) وأصل الهمز الضرب طعناً باليد أو العصا ونحوها ، ثم استعير لنيل الناس باللسان أو العين أو الإشارة .

(٨) فهما مصدران بمعناها ، وقيل النميم جمع النميمة ، يراد به الجنس ، وال الجنسية تبطل معنى الجمعية ، والسعاية الحديث بين الصديقين للإفساد ، والمشاء من يجرى بين الناس بالإفساد ، ويراد به هنا مطلق من يجرى بين الناس ، بدون نظر للإفساد ، حتى لا يكون المعنى ولا تطع كل نمام بنميم فإنه فاسد .

للخير) بخيل . والخير المال . أو مناع أهله من الخير وهو الإسلام . والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور ، وكان يقول لبنيه العشرة من أسلم منكم منعته رِفدى[1] (معتد) مجاوز فى الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف[2] (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثالب (زنيم)[3] دَعِىٍّ وكان الوليد دَعِيًّا فى قريش ليس من سِنْخهم[4] ادعاه[5] أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده . وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية ، والنطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها . روى أنه دخل على أمه وقال إن محمداً وصفنى بعشر صفات وجدت تسعاً فىّ ، فأما الزنيم فلا علم لى به ، فإن أخبرتنى بحقيقته وإلا ضربت عنقك ، فقالت إن أباك عنين ، وخفت أن يموت فيصل ماله إلى غير ولده ، فدعوت راعيـاً إلى نفسى ، فأنت من ذلك الراعى[6] (أن كان ذا مال)[7] متعلق بقوله ولا تطع أى ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال ، أى ليساره وحظه من الدنيا ، ويجوز أن يتعلق بما بعده أى لأن كان ذا مال (وبنين)

---

(١) الرِّفد العطاء . (٢) من عَتَله إذا قاده بعنف وشدة .

(٣) بالجر صفة لحلاف ، وبعد ذلك متعلق به مقدم عليه ، وقد جىء بها لتدل على فظاعة صفة الزنيم بالنظر لما قبلها ، فهى كثم التى للتراخى الرتبى .

(٤) السِّنخ بكسر السين الأصل .

(٥) أى نسبه إلى نفسه ولم يكن يعرف بأنه ولده ، ولعله كان مولى له ، وهذا مقابل للقول الآتى إنه ولد زنى .

(٦) فالزنيم على هذا ولد الزنى ، وهذا تفسـير ابن عباس له . ويشهد لصحة هذا المعنى فى اللغة قول حسان :

زنيم تداعتـه الرجال زيادة   كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

وبه قال عكرمة وأنشد :

زنيم ليس يعرف من أبوه   بَغِىّ الأم ذو حسب لئيم

والزنيم على كل مأخوذ من الزنمة ، وهى الهنة من الجلد تتـدلى فى حلق الماعز ، والفلقة من أذنه تشق فتبقى متدلية .

(٧) على تقدير لام التعليل الجار ، وهو متعلق إلخ .

كَذَّبَ بآياتنا ، يدل عليه (إذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الأولين) ولا يعمل فيه قال لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله . أأن حمزة وأبو بكر . أى الأن كان ذا مال كَذَّب . أأن شامى ويزيد ويعقوب وسَهَّل[1] قالوا لما عاب الوليد النبى صلى الله عليه وسلم كاذباً باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة أسماء صادقاً ، فإن كان من عدله أن يجزى المسىء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة ، كان من فضله أن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا[2] (سنسمه) سنكويه[3] (على الخرطوم) على أنفه مهانة له ، وعلما يعرف به ، وتخصيص الأنف بالذكر لأن الوسم عليه أبشع ، وقيل خُطِم[4] بالسيف يوم بدر فبقيت سِمَة على خرطومه (إنا بلوناهم) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرم بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى

---

(١) فالفرق بين القراءتين تحقيق الهمز الثانى فى الأولى ، وتسهيله فى الثانية .

(٢) أى رحمه بأن أثابه بعشرة أمثال الجزاء اللائق بالصلاة .

(٣) هذا ليس معنى حقيقياً للوسم ولا كنائيا ، فالمعنى الحقيقى لقوله تعالى « سنسمه على الخرطوم » سنجعل له سمة أى علامة على أنفه ، والمعنى الكنائى وهو المراد سنذله . فالآية وعيد بإذلاله ، وذلك أن الأنف فى تعبيرات العرب يعبرون به عن مكانة صاحبه ، فإن قالوا فلان شامخ الأنف فقد أرادوا أنه عزيز ، وإن قالوا راغم الأنف أو مجدوعه أو موسومه فقد أرادوا أنه ذليل ، لأن السِّمة على الوجه شين ، فكيف بها على الأنف وهو مناط الجمال فيه ، قال الشاعر :

وحسن الفتى فى الأنفِ والأنفُ عاطل ... فكيف إذا ما الخال كان له حَلْيا

وقد عبر عن الأنف بالخرطوم الذى لا يستعمل إلا فى الفيل والخنزير استهانة بالوليد ، وترشيحاً لما دل عليه الوسم على الأنف من الإذلال .

وإذلاله بإدخال من كان يستهزئ بهم الجنة دونه ، وتعذيبه بالنار ، والتهكم به بأن يقال له ذق إنك أنت العزيز الكريم ونحو ذلك .

(٤) أى ضرب بالسيف على خَطْمه أى أنفه .

يوسف (كما بلونا أصحاب الجنة) هم قوم من أهل الصلات[١] كانت لأبيهم هذه[٢] الجنة بقرية يقال لها صَوْرَان ، وكانت على فرسخين من صنعاء ، وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى على الفقراء ، فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ، ونحن أولو عيال لحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السَّدَف[٣] خيفة من المساكين ، ولم يستثنوا فى يمينهم ، فأحرق الله جنتهم . وقال الحسن كانوا كفاراً[٤] والجمهور على الأول[٥] (إذ أقسموا) حلفوا (ليصرمنها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين فى الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل[٦] ليصرمنها (ولا يستثنون) ولا يقولون إن شاء الله . وسمى استثناء وإن كان شرطاً صورة لأنه يؤدى مؤدى الاستثناء ، من حيث إن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد[٧] (فطاف عليها طائف من ربك) نزل عليها

(١) أى العطايا جمع الصلة وهى العطية .

(٢) الإشارة للجنة التى فى الآية — واسم القرية صَوْرَان من أعمال اليمن ، وكانت فى النسخة المطبوعة ضروان وهذا خطأ .

(٣) السَّدَف والسُّدْفة الظلمة تميمية ، والضوء قيسية ، أو اختلاط الضوء والظلمة معاً كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار ، وهو المراد هنا لقوله تعالى « ليصرمنها مصبحين » أى داخلين فى الصبح .

(٤) الذى روى عن الحسن توقفه فى إيمانهم ، فقد قال لا أدرى أكان قولهم « إنا إلى الله راغبون » إيماناً أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة .

(٥) يقصد من الأول أنهم كانوا مؤمنين ، ولكن لم يرد فى كلامه ما يدل على هذا الأول إلا قوله من أهل الصَّلات بالتاء المفتوحة ، أى العطايا ، وذلك لا يدل على أنهم مؤمنون ، لأن العطايا قد تكون من الكافرين ، اللهم إلا أن يراد بها الزكوات وهى لا تكون إلا من مؤمنين .

(٦) وهو الواو المحذوفة تخلصاً من التقائها ساكنة مع نون التوكيد الثقيلة .

(٧) وقيل إن المعنى ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يصنع أبوهم ، وهذا رأى جيد .

بلاء [1] قيل أنزل الله تعالى عليها ناراً فأحرقتها [2] (وهم نائمون) أى فى حال نومهم (فأصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) كالليل المظلم [3] أى احترقت فاسودت ، أو كالصبح أى صارت أرضاً بيضاء بلاشجر [4] وقيل كالمصرومة أى كأنها صرمت لهلاك ثمرها (فتنادوا مصبحين) نادى بعضهم بعضاً عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حرثكم) ولم يقل إلى حرثكم لأن الغدوّ إليه ليصرموه كان غدوّاً عليه [5] أو ضمن الغدوّ معنى الإقبال ، أى فأقبلوا على حرثكم باكرين (إن كنتم صارمين) مريدين صرْمه (فانطلقوا) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارُّون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (أن لا يدخلنها) أى الجنة وأن مفسرة [6] وقرىء بطرحها بإضمار القول ، أى يتخافتون يقولون لايدخلنها (اليوم عليكم مسكين) والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمكين [7] أى لا تمكنوه من الدخول (وغدوا على حرد) على جِدٍّ فى

---

(١) أى بلاء محيط .

(٢) لم لايجوز أن يكون الله تعالى قد أصابها بمرض شديد سريع التأثير يشبه فى الإنسان الأمراض الوبائية القاتلة بسرعة ، فاسودت منه الأوراق وسقطت منه الثمار ، كما يحدث أحياناً فى البساتين لكن بحالة خفيفة ، ويسمى فى العرف المصرى «ندوة» .

(٣) قاله منذر والفراء وجماعة .

(٤) هذا قول الثورى ، واعلم أنه يسمى كل من الليل والنهار صريماً ، لانصرام كل عن صاحبه .

(٥) أى أن فيه معنى الاستعلاء أو الاستيلاء وكل يتعدى بعلى ، وهذا وما بعده على أن غدا تتعدى بإلى ، لكن أبا حيان قال : الذى فى حفظى أن غدا تتعدى بعلى اهـ والحرث البستان .

(٦) لما فى التخافت من معنى القول دون حروفه .

(٧) يعنى أن ظاهر الآية نهى المساكين عن الدخول ، وهذا الظاهر غير مراد ، لأنهم يخفون أمرهم عن المساكين ، ومنْ نهى غيره عن شىء فقد أعلمه به استلزاما ، وإنما المراد المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول .

المنع[1] (قادرين) عند أنفسهم على المنع . كذا عن نفطويه ، أو الحرد القصد والسرعة ، أى وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ، قادرين عند أنفسهم على صرمها[2] وَزَيِّ[3] منفعتها عن المساكين أو هو علم للجنة[4] أى غدوا على تلك الجنة قادرين على صَرْمها عند أنفسهم (فلما رأوها) أى جنتهم محترقة (قالوا) فى بديهة[5] وصولهم (إنا لضالون) أى ضللنا جنتنا وما هى بها ، لما رأوا من هلاكها ، فلما تأملوا وعرفوا أنها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أعدلهم[6] وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) هلا تستثنون[7] إذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما فى معنى التعظيم لله ، لأن الاستثناء تفويض إليه ، والتسبيح تنزيه له وكل واحد

---

(١) فمعنى الحرد الجِدّ أى الاجتهاد فى المنع ، وقوله على حرد متعلق بقادرين ، قدم عليه رعاية للفواصل وللحصر ، أى لحصر قدرتهم على المنع فى الواقع لاعند أنفسهم خلافاً لما نقله النسفى بعدُ عن نفطويه ، أى بكروا قادرين على منع المساكين ، دون أن تكون لهم قدرة فى الواقع على إعطائهم بعد أن تلفت جنتهم ، فإن فاقد الشىء لا قدرة له على إعطائه ، وإنما يقدر على المنع وحده .

قال أبو السعود : أرادوا أن ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم ، فغدوا بحال لايقدرون فيها إلا على النكد والحرمان، وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة اهـ واستعمال الحرد بمعنى المنع لغوى قاله أبو عبيد وغيره ، وهو رأى كثيرين فى الآية ، وهو خير الآراء .

(٢) أى قطع ثمرها ، وأما الصرام بفتح الصاد وكسرها مع المد فيها فهو أوان الإدراك . وقد كانت بالمد فى النسخ المطبوعة ، وهذا خطأ .

(٣) مصدر زَوَاه أى نَحَّاه . يريد تنحية منفعتها عن المساكين .

(٤) روى عن السدى ، وهو ضعيف .

(٥) أى فى أول وصولهم ، والبديهة أول كل شىء .

(٦) والوسط من كل شىء أعدله وخيره كما فى القاموس .

(٧) يراد من الاستثناء التعليق على المشيئة كما مر فى قوله تعالى « ولا يستثنون » وذلك بأن يقولوا إن شاء الله عندما حلفوا على حرمان المساكين .

* قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)

من التفويض والتنزيه تعظيم [1] أو لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم [2] كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين ، وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة ، فعصوه فعيرهم [3] ولهذا (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة [4] بما كان يدعوهم إلى التكلم به أولا ، وأقروا على أنفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء [5] ونزهوه عن أن يكون ظالماً (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضاً بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر [6] ثم اعترفوا جميعاً [7] بأنهم تجاوزوا الحد بقوله (قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا أن يُبْدِلنا) وبالتشديد مدنى وأبو عمرو (خيراً منها) من هذه الجنة (إنا إلى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه [8] عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيراً منها . وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا ، فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان

---

(١) واستعمال التسبيح بمعنى التعليق على مشيئة الله مجاز بمرتبتين بأن يراد منه أولا مطلق التعظيم ، ثم يراد منه تعظيم خاص ، وهو التفويض لمشيئة الله تعالى .

(٢) فيكون كسابقه مجازاً بمرتبتين ، بأن يراد أولا بالتسبيح مطلق ذكر الله ، ثم يراد ذكر خاص وهو ما كان مصحوباً بالتوبة .

(٣) هذا على أن التسبيح بمعنى التوبة ، أما على أنه بمعنى التعليق على مشيئة الله تعالى فيكون قد قال لهم حين عزموا على حرمان المساكين : قولوا إن شاء الله فعصوه ، فلما عوقبوا عيرهم .

(٤) مثل يضرب لفوات الأوان .

(٥) أى ترك التعليق على مشيئة الله ، وهذا على تفسير التسبيح بالاستثناء ، أما على تفسيره بالتوبة فيكونون قد أقروا بالظلم فى ترك التوبة .

(٦) فقد قيل إن منهم من أشار بذلك ، ومنهم من استصوبه ، ومنهم من سكت راضياً به ، ومنهم من أنكره .

(٧) ومنهم الساكت لأنه موافق بقلبه ، ولولا ذلك لأنكر .

(٨) وإلى لانتهاء الرغبة أو لتضمينها معنى الرجوع .

فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا [١] (كذلك العذاب [٢]) أى مثلُ ذلك العذابِ الذى ذكرناه عذابُ الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه (لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يفضى إلى هذا العذاب [٣] ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال (إن للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم) جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام إنكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقاً فنحن نعطى فى الآخرة خيراً مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا ، فقيل لهم أنحيف فى الحكم [٤] فنجعل المسلمين كالكافرين ، ثم قيل لهم على طريقة الالتفات [٥] (مالكم كيف تحكمون) [٦] هذا الحكم الأعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى ، كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرءون فى ذلك الكتاب (إن لكم فيه لما تخيرون) أى أن ما تختارونه وتشتهونه لكم [٧] والأصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح أن لأنه مدروس لوقوع الدرس

---

(١) لم يثبت هذا عن ابن مسعود .

(٢) كذلك متعلق بمحذوف خبر مقدم والعذاب مبتدأ مؤخر .

(٣) لجواب لو محذوف كما قدره النسفى .

(٤) قدر جملة نحيف فى الحكم بعد همزة الاستفهام فى أفنجعل إيذاناً بأن الفاء عطفت ما بعدها على تلك الجملة المقدرة .

(٥) من الغيبة إلى الخطاب ، فإن الاسم الظاهر فى قوله (كالمجرمين) فى قوة ضمير الغيبة ، والمراد منهم أهل مكة نظراً لسبب النزول ، وهم المخاطبون بقوله « مالكم كيف تحكمون » .

(٦) ما اسم استفهام إنكارى مبتدأ ، ولكم متعلق بمحذوف خبره ، يعنى أىّ دليل عقلى ثبت لكم حتى حكمتم هذا الحكم الأعوج إلخ . وقد تدرج بهم فانتقل إلى الدليل النقلى فقال أم لكم كتاب إلخ .

(٧) أصل تخير الشىء واختاره أخذ خيره ، وشاع فى أخذ ما يريد ويشتهى كما هنا .

عليه[1] وإنما كسرت لمجىء اللام[2] ويجوز أن يكون حكاية للمدروس[3] كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح . وتخيّر الشىء واختاره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) عهود مؤكدة بالأيمان[4] (بالغة) نعت أيمان ويتعلق (إلى يوم القيامة) ببالغة أى أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى إليه وافرة[5] لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم[6] أو بالمقـدر فى الظرف[7] أى هى ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها إلا يومئذ إذا حكّمناكم وأعطيناكم ما تحكمون[8] (إن لكم لما تحكمون) به لأنفسكم، وهو جواب القسم، لأن معنى أم لكم

(١) فأن وما دخلت عليه فى تأويل المصدر مفعول لتدرسون ، أى فيه تدرسون كون ما تختارونه لكم ، وقد قال ابن مالك . وهمز إن افتح لسد مصدر * مسدها .

(٢) فإن اللام المزحلقة لا تأتى إلا بعد المكسورة ، وبهذا يصبح قوله تعالى « إن لكم لما تخيرون » جملة ، بعد أن كان بفتح الهمزة فى قوة المفرد ، ومن هنا قيل لا بد من تضمين تدرسون معنى تعلمون ليصح عمله فى الجمل وتعليقه . قال ابن مالك :

وكسروا من بعد فعل علقا * باللام كاعلم إنه لذو تقى .

(٣) فيكون بعينه لفظ المكتوب فى الكتاب من غير تحويل من الفتح إلى الكسر فلا يحتاج تدرسون إلى تضمين معنى العلم ، ويبقى متعدياً إلى مفعول واحد هو « إن لكم فيه لما تخيرون » إذ هو مقصود لفظه حينئذ .

(٤) وإطلاق الأيمان على ذلك كله من إطلاق اسم الجزء على الكل .

(٥) أى كاملة . ومنه وفّره توفيراً ، أى أكمله .

(٦) أى من تحكيمهم فى الأمور ، لهم فيها ما يشتهون .

(٧) أى بالوصف الذى تعلق به الظرف وهو لكم فى قوله « أم لكم أيمان » أى بل أهى ثابتة لكم إلخ .

(٨) استبان من تعلق إلى يوم القيامة ببالغة أو بمتعلق لكم أن المعنى واحد فى كليهما حسب تفسير النسفى لبالغة، فإن البلوغ أى الانتهاء إلى يوم القيامة فى قوة الثبوت إلى هذا اليوم ، وقد فسر أبو السعود والآلوسى بالغة بأنها متناهية فى التوكيد واصـلة إلى أقصى مايمكن، فتكون إلى يوم القيامة عليه غاية لتوكيد الأيمان لا لأصل الأيمان ، وتكون مغايرة لجعل إلى يوم القيامة متعلقة بما تعلق به لكم ، فإن ثبوت مجرد الأيمان إلى يوم القيامة الذى أنكر يغاير توكيد الأيمان الذى أنكر .

× بعد أنه الخروج بانكار سند بعقل ونقل تدرج فى انكار ذلك بما هو خارج عنهما وهو العهود المؤكد المأخوذ على الله فى يوم القيامة . ففيه ترقى

أيمان[1] علينا، أم أقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد[2] (سلهم) أى المشركين (أيهم بذلك) الحكم[3] (زعيم) كفيل بأنه يكون ذلك (أم لهم شركاء) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) فى دعواهم ؛ يعنى أن أحداً لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه ، كما أنه لا كتاب لهم ينطق به ، ولا عهد لهم به عند الله ، ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا[4] (يوم يكشف عن ساق) ناصب الظرف فليأتوا أو اذكر مضمرا[5] والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة عن شدة الأمر وصعوبة الخطب[6] فمعنى يوم يكشف عن

---

(١) حقه أن يزيد كلمة بالغـــة لأنها هى التى تفسّر بقوله الآتى « مغلظة متناهية فى التوكيـد » .

(٢) تراه هنا يقول فى تفسير الآية : أم أقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد، فمن أين جاء بالتغليظ والتناهى فى التوكيد ، فى حين أنه فسر بالغة إلى يوم القيامة بأنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى إليه ، ولو أنه فسر بالغة بمتناهية فى التوكيد كما فعـل أبو السعود وغيره لوافق آخر كلامه أوله ، لكنه ذكر أول كلامه رأياً لمفسر ، وسها فذكر آخر كلامه رأياً لآخر ، فسبحان من لايجوز عليه الخطأ ولا السهو .

(٣) وهو أن لهم مايحكمون .

(٤) فأنت ترى فى هذا الحجاج التدرج مع الخصم من نفى أن يكون لهم دليل عقلى على دعواهم فى قوله تعالى « مالكم كيف تحكمون » إلى نفى أن يكون لهم دليل نقلى فى قوله « أم لكم كتاب » إلخ إلى نفى أن يكون لهم عهـــد من الله تعالى بذلك فى قوله « أم لكم أيمان » إلى نفى التقليد الذى هو أضعف مايتمسك به فى قوله « أم لهم شركاء » وقيل إن معنى أم لهم شركاء ، أم لهم آلهة يدّعون شركتها لله تجعلهم كالمسلمين فى الآخرة .

(٥) والظرف مفعول فيه على الأول ومفعول به على الثانى ، لأن زمان الذكر غـير زمان الكشف عن الساق ، فالأول فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، والثانى يوم القيامة .

(٦) ولذا تراها مستعملة حيث لاساق ، قال حاتم :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ... وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال الراجز :

فى سـنة قد كشفت عن ساقها ... حمراء تبرى اللحم عن عُراقها (أى عظمها)

ساق يوم يشتد الأمر ويصعب، ولا كشف ثمّة ولاساق، ولكن كنى به عن الشدة لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق[1] وهذا كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولايدَ ثمّة ولا غُل، وإنما هو كناية عن البخل[2] وأما من شبّه[3] فلضيق عَطَنه وقلة نظره في علم البيان، ولو كان الأمر كما زعم المشبه لكان من حق الساق أن تعرف، لأنها ساق معهودة عنده[4] (ويدعون) أي الكفار ثمة (إلى السجود) لاتكليفاً ولكن توبيخاً على تركهم السجود في الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لأن ظهورهم تصير كصياصي[5] البقر لا تنثني عند الخفض والرفع (خاشعة) ذليلة حال من الضمير في يدعون

---

(١) أي عند الهرب منها، وعبارة الآلوسي أوفى في تصوير الشدة فقد قال: وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب، فإنهن لايفعلن ذلك إلا إذا عظم الخطب واشتد الأمر فيذهلن عن الستر بذيل الصيانة.

(٢) وقد ذهب إلى هذا المعنى الكنائيّ مجاهد وجماعة — وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهما عن عكرمة أن ابن عباس سئل عن ذلك فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، ثم ذكر شعراً فيه:

وقامت الحرب بنا على ساق

(٣) أي قال بمذهب المشبهة، وهو مذهب معروف في علم الكلام، وذلك بأن جعل مافي الآية ساق الله تعالى. وقوله بعدُ لضيق عطنه كناية عن ضيق عقله، وأصل العطن مبرك الإبل، ويكنى بسعته وضيقه عن أمور كثيرة.

(٤) وهي ساق الله تعالى، ولعل هذا المشبه عزز فهمه في الآية بما أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وابن المنذر وابن مردويه عن أبي سعيد قال «سمعت النبي ﷺ يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً» وفهمه غير سديد في الحديث كفهمه في الآية، فإن سعيد بن جبير كما أخرجه ابن حميد وابن المنذر عنه سئل عن الآية فغضب غضباً شديداً وقال: إن أقواماً يزعمون أن الله سبحانه يكشف عن ساقه، وإنما يكشف عن الأمر الشديد: وما في الحديث يحمل على الأمر الشديد أيضاً، وإضافة الساق فيه إليه تعالى لتهويل الأمر وأنه لا يقدر عليه سواه عز وجل.

(٥) أي قرونها جمع صيصيّة.

(أبصارهم) أى يدعون فى حال خشوع أبصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صَغَار (وقد كانوا يدعون) على ألسن الرسل (إلى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) أى وهم أصحاء فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثَمَّ (فذرنى)[1] يقال ذرنى وإياه أى كِلْه[2] إلىّ فإنى أكفيكه (ومن يكذب) معطوف على المفعول أو مفعول معه (بهذا الحديث) بالقرآن والمراد كِلْ أمره إلىّ ، وخَلِّ بينى و بينه فإنى عالم بما ينبغى أن يُفعل به مطيق له ، فلا تشغل قلبك بشأنه ، وتوكل علىّ فى الانتقام منه ، تسلية[3] لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين (سنستدرجهم)[4] سنُدنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه إلى كذا أى استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه ، واستدراج الله تعالى العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة ، فيجعلون رزق الله ذريعة إلى ازدياد المعاصى[5] (من حيث لا يعلمون) من الجهة التى لا يشعرون أنه استدراج ، قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها ، قال عليه السلام إذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج وتلا الآية (وأملى لهم) وأمهلهم (إن كيدى متين) قوىّ شديد ، فسمى إحسانه وتمكينه كيداً كما سماه استدراجاً لكونه فى صورة الكيد ، حيث كان سبباً للهلاك[6] والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن[7] ولا يجوز أن يسمى الله كائداً وماكراً ومستدرجاً[8] (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجراً فهم

---

(١) جواب شرط محذوف ، أى إذا كان حالهم كذلك فذرنى .

(٢) أى اتركه .   (٣) خبر لمحذوف أى وهو تسلية .

(٤) مسوق لبيان كيفية العذاب المفهوم إجمالا من الأمر السابق .

(٥) فيدنون من العذاب درجة فدرجة بتجدد المعصية تبعاً لتجدد النعمة .

(٦) ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه فى التسبب للهلاك .

(٧) أى بضرب من الحيلة وتبييت نية الإضرار .

(٨) أى لا يجوز إطلاق هذه الصفات عليه تعالى . فإن حقيقتها التى بينها المفسر قبل هذا الكلام مباشرة وأعمناها فى التعليق نمرة ٧ مستحيلة على الله تعالى ، وإنما هى =

من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون ، استفهام [1] بمعنى النفى ، أى لست تطلب أجراً على تبليغ الوحى فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ [2] عند الجمهور (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (فاصبر لحكم ربك) وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم لأنهم و إن أُمهلوا لم يُهمَلوا [3] (ولا تكن كصاحب الحوت) كيونس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه .
والوقف على الحوت لأن إذ [4] ليس بظرف لما تقدمه ، إذ النداء طاعة [5] فلا ينهى عنه ، بل مفعول محذوف أى اذكر [6] (إذ نادى) دعا ربه فى بطن الحوت بلا إله

= مستعملة مجازاً فى إحسانه تعالى الذى انتهى بهم عدم شكره إلى الإهلاك — والحاصل أن الله تعالى ما أحسن إليهم إلا ليشكروا نعمته وتستقيم عقائدهم ويسعدوا بذلك فى دنياهم وأخراهم ، ولم يكن حيلة على إهلاكهم فلا يستقيم وصف ذلك الإحسان بالكيد وأخواته على الحقيقة لفقدان معنى الاحتيال على الإضرار اللازم فى الوصف بتلك الصفات ، وأما وصفه تعالى بها مجازاً فلكونه موهماً يمتنع ، ويقتصر على التعبيرات التى وردت منه فى القرآن والسنة .

(١) الاستفهام فى (أم) جاء من أنها بمعنى بل وهمزة الاستفهام ، فكأنه قيل بل أتسألهم إلخ .

(٢) إطلاق الغيب على اللوح مجازى ، وذلك لأنه محل كتابة المغيبات ، وأطلقه غير الجمهور على المغيبات نفسها .

(٣) روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أن يدعو على ثقيف لما آذوه حين عرض نفسه على القبائل بمكة فنزلت .

(٤) فى قوله « إذ نادى » .

(٥) فلو جعل إذ فى قوله « إذ نادى » ظرفاً لما تقدمه وهو قوله « لا تطع » لكانت الآية نهياً للرسول عن أن يكون كحال يونس وقت ندائه بلا إله إلا أنت سبحانك ، مع أنه كان فى طاعة وقتئذ فكيف ينهى عن أن يكون مثله فى طاعته هذه .

(٦) ويكون الغرض من تذكيره صلى الله عليه وسلم بذلك أن لا يغضب من قومه مثلما غضب يونس حتى لا يبتلى ببلائه ، فيصبح فى مثل همه ، فيلجأ إلى مثل ما لجأ إليه من الضراعة والاعتراف بالذنب لينجو مما هو فيه .

إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظاً [١] من كَظَم السِّقاء إذا ملأه (لولا أن تداركه نعمة) رحمة (من ربه) أى لولا أن الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقبول عذره (لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء (وهو مذموم) معاتب بزلته ، لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) اصطفاه [٢] لدعائه وعَذَرَه [٣] (فجعله من الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة [٤] وقيل من الأنبياء ، وقيل من المرسلين ، والوجه هو الأول ، لأنه كان مرسلا ونبياً قبله ، لقوله تعالى : (وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون) الآيات [٥] (وإن يكاد

---

(١) أى من قومه إذ لم يؤمنوا حين دعاهم إلى الإيمان ، قال ذلك كثير من المفسرين ولكنه غير مناسب فإن يونس لم يبتل بحبسه فى بطن الحوت إلا لغيظه من قومه الذى أدي به إلى تركهم ، ومن الحق على الرسل الصبر فى قومهم حتى يؤمنوا بتركه ، وقد أدرك ذلك لما ابتلى بسبب تركه ، فلا يعقل أن يبق فى قلبه غيظ منهم بعد ما ترتب عليه ، والصواب أن مكظوم بمعنى مهموم ، تقول رجل كظيم ومكظوم أى مكروب كما فى القاموس .

وخلاصة قصة يونس أنه لما بلغ أشده أرسله الله إلى قومه فلم يؤمنوا فاستعجل العذاب فيهم وتوعدهم أن يأتيهم بعد ثلاثة أيام . فلما كان اليوم الثالث خرج يونس قبل أن يأذن الله له ، فتفقده قومه فلم يجدوه ، فخرجوا بالكبير والصغير والدواب ، وفرقوا بين كل والدة وولدها ، فشارف نزول العذاب بهم فعجوا إلى الله تعالى وتابوا إليه ، واستقالوا فأقالهم الله تعالى وصرف عنهم العذاب ببركة إيمانهم ، فلما لم ير يونس العذاب استحى أن يرجع إليهم ، وقال لا أرجع إليهم كذاباً أبداً ، ومضى على وجهه فأتى سفينة فركبها ، فلما وصلت إلى اللجة وقفت فلم تسر ، فقال صاحبها ما يمنعها أن تسير إلا أن فيكم رجلا مشئوماً فاقترعوا ليلقوا من وقعت عليه القرعة فى الماء . فوقعت على يونس وهكذا إلى ثالث مرة ، فلما رأى ذلك رمى بنفسه فى الماء فالتقمه الحوت ثم أخرجه الله تعالى بعد توبته ودعائه كما سيأتى بيانه .

(٢) بأن رد عليه الوحى وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون .

(٣) معطوف على اصطفاه ؛ أى قبل عذره .

(٤) زلته من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

(٥) سمى لجوءه إلى السفينة المملوءة إباقاً أى هرباً مبالغة لكونه بغير إذن ربه

الذين كفروا ليُزلقونك بأبصارهم) وبفتح الياء [١] مدنى ، إنْ مخففة من الثقيلة ، واللام علمها [٢] زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه ، أى قارب الكفار من شدة نظرهم إليك شزْراً [٣] بعيون العداوة أن يزيلوك بأبصارهم عن مكانك [٤] أو يهلكوك لشدة حَنَقِهم [٥] عليك . وكانت العين فى بنى أسد ، فكان الرجل منهم يتَجَوَّع [٦] ثلاثة أيام فلا يمر به شىء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله إلا هلك فأريد بعض العيَّانين على أن يقول فى رسول الله مثل ذلك [٧] فقال لم أر كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك * وفى الحديث العين حق وإن العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر . وعن الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسداً على ما أوتيت من النبوة (إنه لمجنون) إن محمداً لمجنون حيرة فى أمره وتنفيراً عنه (وما هو) أى القرآن (إلا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والإنس يعنى أنهم جَنَّنوه لأجل القرآن وما القرآن إلا موعظة للعالمين ، فكيف يجنن من جاء بمثله . وقيل لما سمعوا الذكر أى ذكره عليه السلام ، وما هو أى محمد عليه السلام إلا ذكرٌ شرفٌ للعالمين ، فكيف ينسب إليه الجنون والله أعلم .

---

(١) فى يَزلقونك من زَلَقه بمعنى أزلقه .

(٢) اللام فى ليزلقونك علامة على كون إن مخففة من الثقيلة ، وليست بنافية ، إذ اللام لا تأتى بعدها وتسمى اللام الفارقة .

(٣) النظر الشَّزْر له معان : منها نظر الغضبان بمؤخر العين ، وهو المراد هنا .

(٤) فهو على حد قول الشاعر .

يتقارضون إذا التقوا فى موطن   نظراً يزل مواطىء الأقدام

(٥) أى غيظهم . وأهلاكُهم له بتسليط بعض العيانين عليه كما يذكره بعد .

(٦) أى يتكلف الجوع .

(٧) روى أنه قال له — قدكان قومك يحسبونك سيداً * وإخال أنك سيد معيون والعيَّانون الذين يصيبون بالعين ، جمع عيَّان صيغة مبالغة من عانه يَعِينه أصابه بعينه .

ســـورة الحاقة

إحدى وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء[1] التي هي آتية لا ريب فيها من حق يحِق بالكسر أي وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر[2] وهما خبر الحاقة ،

ســورة الحاقة

لما أجمل الله في سورة (ن) الحديث عن أهوال القيامة بقوله تعالى « يوم يكشف عن ساق » الآيتين ناسب أن يتبعها بسورة الحاقة لأنها شرحت ما أجمل من نبأ تلك الأهوال فيما قبلها .

وقد ذكر النسفي أن السورة مكية ، ويدل لمكيتها ما أخرجه الإمام أحمد عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فوقفت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تأليف القرآن * هذا والله شاعر ، فقال وما هو بقول شاعر . قليلا ما تؤمنون ، قلت كاهن ، فقال ولا بقول كاهن . قليلا ماتذكرون . تنزيل ، إلى آخر الســورة فوقع الإسلام في قلبي كل موقع .

(١) فالحاقة في الأصل صفة لموصوف محذوف ، والتقدير . الساعة الحاقة أي الواجبة الثابتة ، فحذف الموصوف ، وأجريت الصفة مجرى الأسماء ، فعبر بها عن موصوفها لقوة اتصافه بها وظهوره ، وقيل إنها من أسماء القيامة كما روى عن ابن عباس ، فتكون علماً منقولا عن صفة ، وحينئذ لا تكون صفة لمحذوف ، بل تصبح اسماً جامداً لأنه لا يعمل ما تعمله الصفات ، ولا تكون له أحكامها .

(٢) على أن الاستفهام مبتدأ والحاقة خبره ، وهذا هو المشهور أو بالعكس وهو أرجح ، لأن المقصود التحدث عن الحاقة والإخبار عنها بأنها شيء هائل فظيع ، وذلك لا يفهم إلا من الوجه الثاني ، بخلاف الأول فإنه يفيد الإخبار عن شيء هائل بأنه الحاقة ، وذلك غير مراد ، وعلى كل فالجملة خبر الحاقة الأولى ، والرابط إعادة المبتدأ بلفظه .

والأصل الحاقة ما هى ، أى أىّ شىء هى ، تفخيا لشأنها وتعظيا لهولها [١] أى حقهـا أن يستفهم عنها [٢] لعظمها فوضع الظاهر [٣] موضع الضمير [٤] لزيادة التهويل (وما أدراك) وأى شىء أعلمك (ما الحـاقة) يعنى أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها ، لأنه من العِظَم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين ، وما رفعٌ بالابتداء ، وأدراك الخبر ، والجملة بعده فى موضع نصب [٥] لأنها مفعول ثان لأدرى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالحاقة ، فوضعت القارعة موضعها ، لأنها من أسماء القيامة ، وسميت بها لأنها تقرع الناس بالأفزاع والأهوال [٦] ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكرَ ذلك ذِكْرَ [٧] من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب ، تذكيراً لأهـل مكة وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة [٨] واختلف فيها فقيل الرجفة [٩] وقيل الصيحة [١٠] وقيل الطاغية مصدر

---

(١) فليس المقصـــود الاستفهام على الحقيقة ، لأنه تعالى خالقها فهو عالم بهـا ، بل المراد التهويل .

(٢) أى أن يستفهم عنها الناس لا أن يستفهم عنها الله فهو بكل خلقه عليم .

(٣) وهو الحاقة فى قوله (ما الحاقة) .

(٤) بأن يقول (ما هى) .

(٥) على إسقاط الجار ، لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثانى بالباء ، فقد قال تعالى (ولا أدراكم به) فلما وقعت الجملة الاسـتفهامية معلقة له كانت فى موضع المفعول الثانى الذى حقه أن يجر بالباء .

(٦) فهى على هذا علم منقول عن وصف .

(٧) مفعول ثان لأتبع .

(٨) فالطاغية أى المجاوزة للحد فى الشدة صفة للواقعة ، فموصوفها محذوف ، وليست علمـاً ، فهى اسم فاعل من طَغَوْتُ وطغَيْتُ طُغْوَاناً وطُغْيَاناً والطُّغْوان والطُّغْيان مجاوزة الحد ، والباء فى (بالطاغية) للآلة على هذا الوجه .

(٩) لقوله فى سورة الأعراف (فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة .

(١٠) لقوله تعالى فى سـورة هود فى تعذيب ثمود (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) — وقد ورد إطلاق الصاعقة على ما أصابهم فى سورة (حم السجدة) — ولا تعارض فإن جبريل صاح عليهم فأصابتهم الرجفة أى الزلزلة فصعقوا .

كالعافية [1] أى بطغيانهم [2] ولكن هذا لا يطابق قوله [3] (وأما عاد فأهلكوا بريح) أى بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم (نصرت بالصبا [4] وأهلكت عاد بالدبور) (صرصر) شديدة الصوت . من الصَّرة أى الصيحة ، أو باردة . من الصِّر [5] كأنها التى كرر فيها البرد [6] وكثر فهى تحرق [7] بشدة بردها (عاتية) شديد العصف أو عتت [8] على خزانها فلم يضبطوها بإذن الله ، غضباً على أعداء الله (سخرها) [9] سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) وكان ابتداء العذاب يوم الأربعاء آخر الشهر [10]

---

(١) مصدر عافاك الله كالمعافاة والعِفاء .   (٢) فالباء على هذا للسببية .

(٣) لا يطابقه لأن قوله تعالى « وأما عاد فأهلكوا بريح » ذكر فيه أداة إهلاك عاد وهى الريح وجعلُ الطاغية مصدراً يفيد بيان السبب الذى ترتب عليه إهلاكهم ، وهو الطغيان ، مع أن المقام لبيان ما كان به الإهلاك كما فى عاد لغرض التهويل . فالأولى جعل الطاغية صفة لمحذوف هو أداة إهلاك ثمود ، أى بالصيحة الطاغية ، وذلك ليحصل التوافق والتطابق بين القصتين .

(٤) ريح تهب من الشرق وتقابلها الدبور .

(٥) الصّرة بكسر الصاد شدة الصياح كما قال ، وكذا تطلق على شدة البرد وعلى البرد نفسه ، والصّر بكسر الصاد مع التذكير البرد أو شدته ويطلق أيضاً على شدة الصوت ، والصَّرة بفتح الصاد ليست معنا لأنها كما فى القاموس الشدة من الكرب أو الحرب أو الحر إلى غير ذلك من معانيها البعيدة عن المقام .

(٦) أخذ التكرار من تكرار صِرّ بمعنى برد مرتين فى صرْصَر الذى هو وصفها ويراد بهما الكثرة لا مجرد التثنية ، وكان يتم هذا ويكون نكتة لطيفة لو كانت الصاد مفتوحة ، فى صِرّ بمعنى برد ولكنها مكسورة .

(٧) أى تلذع كلذع النار .

(٨) عبارة غيره أو كأنها لشدتها عتت على خزانها ، وهى أفضل من عبارته لأنه لم يثبت أنها تمردت حقيقة على خزانها بإذن ربها ، فحمل الكلام على التشبيه أولى .

(٩) استئناف لبيان كيفية إهلاكهم بالريح ، أو صفة أخرى لريح .

(١٠) أى من صبحه لثمان بقين من شوال إلى غروب الأربعاء الأخرى ، وأيامها تسمى أيام العجوز لأنها عجز الشتاء .

إلى الأربعاء الأخرى (حسوما) أى متتابعة لا تنقطع . جمع حاسم ، كشهود ، تمثيلا لتتابعها [1] بتتابع فعل الحاسم فى إعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم [2] وجاز أن يكون مصدراً ، أى تحسم حسوماً بمعنى تستأصل استئصالا [3] (فترى) أيها المخاطب (القوم فيها) فى مهابها [4] أو فى الليالى والأيام (صرعى) حال جميع صريع (كأنهم) حال أخرى (أعجاز) [5] أصول (نخل) جمع نخلة [6] (خاوية) ساقطة [7] أو بالية [8] (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية [9] أو من بقاء . كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قَبْله) ومن تقدمه من الأمم ومن قِبَله بصرى وعلى . أى ومن عنده من أتباعه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط [10] فهى ائتفكت أى انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعلة أو بالأفعال ذات الخطأ

---

(١) أى وهى تستأصلهم .

(٢) أى حتى يزول ، والانحسام مطاوع الحسم بمعنى إزالة الأثر .

(٣) ويجوز أن يكون نصبه لا على المفعول المطلق بل على الحال ، على أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل ، أى حاسمة ، أى مستأصلة لهم .

(٤) لما كانت إعادة الضمير فى (فيها) على الريح تجعلها ظرفاً لرؤية قوم عاد صرعى ، والريح لا تصلح ظرفاً لذلك فلذا قدر مضافاً فقال فى مهابها — ومهابها أماكن هبوبها التى صرعوا فيها ، وخير من هذا جعل فى سببية على حد قول الرسول ﷺ (دخلت امرأة النار فى هرة) أى بسببها .

(٥) جمع عجز بإسكان الجيم وضمها وكسرها ، مؤخر الشىء . والمراد هنا سيقان النخل المعروفة بالجذوع .

(٦) بل هو اسم جنس جمعى واحده نخلة .

(٧) من خوت الدار تهدمت .

(٨) من الخوى والخواء وكلاهما خلو الجوف ، أى كأنهم أصول نخل خالية الجوف بلى وفسادا .

(٩) فباقية صفة لنفس محذوفة ، ويجوز جعلها مصدراً بمعنى بقاء كما قال الشيخ .

(١٠) والمراد أهلها مجازاً بإطلاق المحل على الحال .

العظيم[1] (فعصوا) أى قوم لوط[2] (رسول ربهم) لوطاً (فأخذهم أخذة رابية)[3] شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح (إنا لما طغى الماء) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل فى الدنيا خمسة عشر ذراعاً (حملناكم) أى آباءكم[4] (فى الجارية)[5] فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) أى الفعلة[6] وهى إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) وتحفظها (أذن) بضم الذال غير نافع (واعية) حافظة لما تسمع. قال قتادة وهى أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت (فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى النفخة الأولى ويموت

(١) يعنى أن الخاطئة إما مصدر على زنة فاعلة بمعنى الخطأ كالعافية والطاغية أو صفة مؤنثة للفعلة أو للأفعال، ولما كان الخطأ لاصحابها كان وصف الفعلة أو الأفعال بها مجازاً وإيذاناً بعظمها وشناعتها إذ تعدى الوصف بالخطأ أصحابها إليها، ولذا قال ذات الخطأ العظيم.

(٢) الأولى عود الضمير على المذكورين من فرعون وقومه ومن قبله وقوم لوط أصحاب القرى المؤتفكات، ويكون المراد فعصى كل أمة ممن ذكر رسول ربهم بعد أن نهاهم عما كانوا فيه من كفر ومعاص، والرسول على هذا التوجيه مفرد معنى، وقال بعضهم إنه لما كان الرسول فى الأصل مصدراً، يجوز استعماله فى الجماعة والواحد بلفظ المفرد، وعلى هذا لا تأويل فى قوله فعصوا. فكأنه قيل فعصوا رُسُل ربهم، فهو من تقابل الجمع بالجمع المقتضى للانقسام إلى آحاد، وقيل غير ذلك، وعلى كل فهو بيان للمجىء بالخاطئة مشوب بالجزاء الشديد.

(٣) اسم فاعل من ربا الشىء يربو رُبُوًّا ورباء إذا زاد.

(٤) لا مانع من إرادة الذرية إلى يوم القيامة لأنهم محمولون بحمل أصولهم مجازاً. ويكون هذا رمزاً إلى عظمة الله حيث حمل هذا الجنس البشرى كله فى سفينة واحدة ولو شاء لأغرقها فينقرض ذلك الجنس، وبذلك تعظم التذكرة.

(٥) الجارية فى الأصل وصف للسفينة ثم حذف الموصوف وكثر استعمال الوصف دونه فجرى مجرى الأسماء، فأصبح بمعنى السفينة، وعليه قول القائل * تسعون جارية فى بطن جارية * وقوله حملناكم مضمن معنى حفظناكم ولذا تعدى بفى. وهذا الفعل الضمنى هو المدار الأهم لجعل قصة نوح تذكرة.

(٦) ويجوز رجع الضمير على السفينة فإنها ذات قصة عجيبة هى مدار التذكرة.

عندها الناس . والثانية يبعثون عندها (وحملت الأرض والجبال) رفعتا عن موضعهما (فدكتا دكة واحدة) دقتا وكسرتا أى ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيباً مهيلا وهباء منبثاً [1] (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة وهى القيامة . وجواب «إذا» وقعت [2] ويومئذ بدل من إذا (وانشقت السماء) فتحت أبوابها (فهى يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة [3] (والملك) للجنس بمعنى الجمع وهو أعم من الملائكة [4] (على أرجائها) جوانبها أحدها رجا [5] مقصوراً لأنها إذا انشقت وهى مسكن الملائكة فيلجؤن إلى أطرافها [6] (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملك الذين على أرجائها (يومئذ ثمانية) منهم واليوم تحمله أربعة وزيدت أربعة

---

(١) الكثيب التل من الرمل ، والمهيل المُنصَب ، والهباء الغبار ، ويجوز أن يكون المعنى فبسطتا بسطة واحدة ، وسويتا تسوية واحدة فلا ترى فيها عوجا ولا أمتاً كما جاء فى آية أخرى ، أى ارتفاعا وانخفاضاً ، ومنه أرض دكاء المستوية المتسعة .

(٢) جواب مبتدأ ، وإذا مقصود لفظه مضاف إليه ، ووقعت مقصود لفظه خبر عن جواب ، يريد أن وقعت جواب للشرط الذى هو إذا .

(٣) من وَهَى الشىء ضعف وتداعى للسقوط .

(٤) هذا رأى الزمخشرى وجماعة لأن الملك يتناول جنسه فى مفرد أو جمع بخلاف الملائكة فإنه لا يتناول إلا الجنس الجمعى ، ومنه قيل استغراق المفرد أشمل ، وخالفهم أبو حيان ، فليراجع شرح التلخيص وحواشيه .

(٥) كرَحاً وتثنيته رَجَوان ، والرجا الناحية والجانب .

(٦) لحظة ثم يموتون كما قال الإمام ، أوهم الذين استثناهم الله بقوله (إلا من شاء الله) أو لعل هذا الانشقاق بعد النفخة الأولى التى يموت عندها الملائكة والخلائق ، ثم يحيا الملائكة قبل غيرهم فتنشق السماء بعد ذلك ، ويكونون على أطرافها عندئذ ، ثم تكون النفخة الثانية التى يحيا بها غيرهم ، وبذلك كله يجاب عما يقال إن الملائكة يموتون عند النفخة الأولى لقوله تعالى « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض » فكيف يكونون على أطرافها وقتئذ .

أخرى يوم القيامة[1] وعن الضحاك ثمانية صفوف[2] وقيل ثمانية أصناف[3] (يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال. شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله[4] (لا تخفى منكم خافية) سريرةٌ وحالٌ كانت تخفى فى الدنيا، وبالياء[5] كوفى غير عاصم. وفى الحديث[6] يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات[7] فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعندها تطير الصحف، فيأخذ الفائز كتابه بيمينه، والهالك كتابه بشماله (فأما) تفصيل للعرض (من أوتى كتابه بيمينه فيقول)

---

(١) أخرج عبد بن حميد عن ابن زيد عن النبى ﷺ أنه قال (يحمله اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية).

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن الضحاك، وأخرجه ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس.

(٣) قال الحسن فى ذلك: الله تعالى أعلم كم هم، أثمانية أصناف أم ثمانية أشخاص. اهـ وجوز أن يكون ذلك تمثيلا لعظمته عز وجل بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام، فالمراد تجليه سبحانه بصفة العظمة.

(٤) لما مثلت عظمة الله تعالى وجلاله بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء واستعير التعبير الدال على الممثل به للمثل، فقيل (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) رشح هذا التمثيل بتمثيل ملائم، حيث شبه حساب الله الناس وهم مستسلمون لحكمه، ممتثلون لأمره، مجتمعون فى كثرة هائلة لتعريفهم ما كان منهم وما ينتظرهم، بعرض السلطان العسكر المحشود لتعرف أحواله، واستعير التركيب الدال على الثانى للأول، والمراد يومئذ تحاسبون جميعاً، ولا عرض فى الحقيقة لاقتضائه ما جرت به عادة الملوك من الجلوس أو المرور والناس يعرضون، وذلك محال، لاقتضائه الجسمية والتحيز وغير ذلك مما نفاه الله تعالى بقوله (ليس كمثله شىء).

(٥) أى لا يخفى.

(٦) أخرجه أحمد والترمذى وعبد بن حميد وغيرهم عن أبى موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٧) العرض فى الحديث كله مجاز عن الحساب.

سروراً به ، لما يرى فيه من الخيرات . خطاباً لجماعته (هاؤم) اسم للفعل[1] أى خذوا (اقرءوا كتابيه) تقديره هاؤم كتابى . اقرءوا كتابيــه ، فحذف الأول لدلالة الثانى عليه ، والعامل فى كتابيه اقرءوا عند البصريين ، لأنهم يعملون الأقرب ، والهاء فى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت ، وحقها أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصــل ، وقد استحب إيثار الوقف[2] إيثاراً لثباتها[3] لثبوتها[4] فى المصحف (إنى ظننت) علمت[5] وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والأحكام ، ولأن ما يدرك بالاجتهاد قلّما يخلو عن الوسواس والخواطر وهى تفضى إلى الظنون ، فجاز إطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه[6] (أنى ملاقٍ حسابيه) معاين حسابى (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا[7] يرضى بها صاحبها ،

---

(١) اسم الفعل هو ها ، والهمزة مكان كاف الخطاب ، وهى حرف ، والميم علامة جمع الذكور ، وتقول هاءَ للمفرد ، وهاءِ للمفردة ، وهاؤما للمثنى مطلقاً ، وهاؤن لجماعة الإناث .

(٢) أى استحب تفضيل حال الوقف عند الوصل بإثبات هاء السكت معه .

(٣) أى تفضيلا لبقائها فى الوصــل على حذفها .

(٤) تعليل لإيثار ثباتها فى الوصل .

(٥) فسر الظن بالعلم لأن الإيمان لا يتم إلا بتيقن أحوال الآخرة اليقينية كالحساب والجنة والنار وغير ذلك ، أى علمت ذلك وعملت له .

(٦) لا داعى لكل ما ذكر ، فإن العرب تستعمل الظن قليلا بمعنى العلم ، وهنا كذلك ، على أن ملاقاة الحساب يقينية منصوصة ، فلا مجال للاجتهاد فيها حتى تجعل فى ضمن ما لا يخلو عن وسواس وخواطر تفضى إلى الظن ، نعم لو أريد من الحساب الحساب اليسير لا مطلق الحساب ، فتكون الإضافة للعهد ، لكان الظن بمعناه لا بمعنى العلم ، أى توقعت بسبب ماقدمت من عمل أنى ملاق هذا الحساب اليسير ، حسنَ ظن ، ورجاء قبول .

(٧) والرضا التى هى ذاته وصاحبه هو رضا صاحبها ، ولذا قال يرضى بها صاحبها ، ومعنى صحبتها للرضا نسبتها إليه نسبة السبب للمسبب ، وهذا من باب النسب بالصيغة دون الياء كلابن وتامر .

كلاً بنٍ (فى جنة عالية) رفيعة المكان [١] أو رفيعة الدرجات [٢] أو رفيعة المبانى والقصور ، وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) ثمارها قريبة من مريدها ، ينالها القائم والقاعد والمتكىء ، يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئاً) أكلا وشرباً هنيئاً [٣] لا مكروه فيهما ولا أذى . أو هنئتم هنيئاً على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) الماضية من أيام الدنيا ، وعن ابن عباس هى فى الصائمين [٤] أى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) لما يرى فيه من الفضائح (ولم أدر ماحسابيه) أى ياليتنى لم أعلم ما حسابى (ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) أى القاطعة لأمرى فلم أبعث بعدها ، ولم ألق ما ألقى (ما أغنى عنى ماليه) أى لم ينفعنى ما جمعته فى الدنيا ، فما نفى ، والمفعول محذوف ، أى شيئاً [٥] (هلك عنى سلطانيه) مِلْكى وتسلطى على الناس ، وبقيت فقيراً ذليلا . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى ، أى بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا ، فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) [٦] أى اجمعوا يديه إلى عنقه (ثم الجحيم صلوه) [٧] أى

---

(١) فعُلوّها حقيق لأنها فى جهة السماء .

(٢) إذا كان الارتفاع يرجع إلى القيمة أى أن درجاتها عظيمة فهو هنا معنوى وإلا فحقيقى .

(٣) فيكون هنيئاً مفعولا مطلقاً لكونه صفة لمصدر محذوف .

(٤) عمومها للصالحين أولى من خصوصها بالصائمين ، لأن الكلام فيمن أوتى كتابه بيمينه .

(٥) وما فى (ماليه) اسم موصول فاعل أغنى ، ولى جار ومجرور صلته ، والهاء للسكت ، أى ما أغنى عنى الذى لى ، ويجوز أن يكون (مال) مضافاً إلى ياء المتكلم ، والأول أظهر لشموله الخدم والأتباع — ويجوز جعل ما فى (ما أغنى) استفهامية إنكارية .

(٦) الغُلّ للعنق والقيد للرجل .

(٧) تقول صلاَ فلان النار دخلها ، وصلاّه غيرُه . أدخله فيها .

أدخلوه يعنى ثم لا تصلوه إلا الجحيم[١] وهى النار العظمى ، أو نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه[٢] (ثم فى سلسلة ذرعها) طولها (سبعون ذراعاً) بذراع الملك عن ابن جريج[٣] وقيل لا يعرف قدرها إلا الله (فاسلكوه) فأدخلوه[٤] والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية[٥] (إنه) تعليل . كأنه قيل . ماله[٦] يعذب هذا العذاب الشديد ، فأجيب بأنه (كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين[٧] وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث[٨]

---

(١) أخذ القصر من تقديم المفعول على الفعل . (٢) وحينئذ فلا قصر ولعل سبب هذا الوجه أنه قد يدخل غير النار وهو الزمهرير فلا وجه للقصر ، وقد يغنى عن تقدير الفعل أن يجعل مفعولا لصلوه هذه ويكون تقديم المفعول رعاية للفواصل لا للقصر

(٣) وقيل بالذراع المعروفة عند العرب وقتئذ ، وأرى أن العدد غير مراد كما فى قوله تعالى (إن تستغفر لهم سبعين مرة) الآية ، بل المقصود أنها طويلة ترهقه .

(٤) سلكه فى السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلفه فيكون فى أثنائها مرهقاً مضيَّقاً .

(٥) يعنى أنه من باب القصر أى لا تسلكوه إلا فيها ، والفاء فيه جزائية كما هى فى قوله تعالى (وربك فكبر) والتقدير مهما يكن من شىء فاسلكوه فى سلسلة إلخ ، فقدم الظرف وما معه عوضاً عن المحذوف ولتتوسط الفاء كما هو حقها ، وليدل على التخصيص أى القصر ، وقوله فى سلسلة متعلق باسلكوه ، قالوا ولا تمنع هنا فاء الجزاء العمل فيما قبلها لكونها على توهم الشرط ، وليست فى جواب شرط محقق ، فهى فى الحقيقة زائدة فلا تمنع تقديم معمول ما بعدها عليها

(٦) هذا الاستفهام المقدر يقتضى أن تكون جملة (إنه كان) الآية جواباً عنه فلا يناسب قوله سابقاً إنها تعليل ، ويمكن حمل هذا على أنه حلّ معنى .

(٧) قدر كلمة بذل لأن طعام اسم عين ، والحض إنما يكون على فعل ، ويجوز أن يكون الطعام بمعنى الإطعام ، فيكون مصدر أطعم بحذف الزائد كالعطاء بمعنى الإعطاء ، وحينئذ لا يقدر مضاف .

(٨) لا حاجة إلى ذلك ولا إلى دليله الآتى ، لأن الكلام فيمن لا يؤمن بالله العظيم ومن لا يؤمن به تعالى فهو غير مؤمن بالبعث إليه . وحقه أن يقول — وعدم الحض كناية عن أنه لا يطعم ، وإنما ذكر فى تعليل تعذيب من أوتى كتابه بشماله عدم إطعامه المسكين إلى جانب عدم إيمانه للايذان بأنه يعذب مع الكفر على عدم إطعام المسكين الإطعام الواجب ، ويدل ذلك على أن الكافر مسئول عن فروع الشريعة ، وأن عدم =

لأن الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وإنما يطعمونهم لوجه الله، ورجاء الثواب فى الآخرة ، فإذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على إطعامهم . أى إنه مع كفره لا يحرض غيره على إطعام المحتاجين . وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لأنه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه [1] وقرينة له ، ولأنه ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض إذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق . وعن أبى الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين ، ويقول خلعنا نصف السلسلة [2] بالإيمان فلنخلع نصفها بهذا . وهذه الآيات ناطقة على أن المؤمنين يُرحمون جميعاً [3] والكافرين لا يرحمون ، لأنه قسم الخلق صِنفين ، فجعل صنفاً منهم أهل اليمين ، ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ، وصنفاً منهم أهل الشمال ، ووصفهم بالكفر بقوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم [4] وجاز أن الذى يعاقب من المؤمنين إنما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه [5] (فليس له اليوم ههنا حميم)

= الإطعام من خواص الكافر ولوازمه ، لا يكاد ينفك عنه بحكم عدم إيمانه بالجزاء ، فى ذلك رمز إلى أن الإطعام من لوازم الإيمان .

وقد يقال : مِن الكافرين مَن يطعم ، ومن المؤمنين من لا يطعم ، والجواب أن كُلاً شذوذ فى قاعدته وما يليق بحاله .

فلو كان النسفى قال ذلك بدل ما قاله لم يوجه إليه الاعتراض السابق ، ولأفاد فى هذا المقام فوائد مختلفة .

(١) من دلالة اللازم على الملزوم بحسب الشأن كما بينا قبله .

(٢) يقصد السلسلة فى قوله تعالى « ثم فى سلسلة » الآية .

(٣) أى ولو كانوا فاسقين .

(٤) نقول فى الجواب إن القصتين ذكرتا فى المؤمنين الكملة وفى الكافرين ، أما الأولون فلأنهم قيل فيهم إنهم يعرضون كتبهم فرحين وما ذلك إلا لأنها ملئت بالأعمال الصالحة المجزية بالجزاء السار، ويدل لذلك قول قائلهم (إنى ظننت أنى ملاق حسابيه) فإنه ليس المقصود مجرد العلم بيوم الحساب بل العمل له مع ذلك ، أى علمته وعملت له خوفا من الحساب ،وأما الآخرون فلأنه قد صرح فى الآية بأنهم لا يؤمنون بالله العظيم وعلى هذا فالمؤمنون الفساق لا يدخلون فى أحدهما ، فيرجع أمرهم إلى ما جاء فى أدلة أخرى .

(٥) هذا جواب آخر غير ما قلنا .

قريب يدفع عنه ويحترق له قلبه (ولا طعام إلا من غسلين) غسالة أهل النار [١]
فعلين من الغسل ، والنون زائدة وأريد به هنا ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم
(لا يأكله إلا الخاطئون) الكافرون أصحاب الخطايا وخَطِئَ الرجل إذا تعمد
الذنب [٢] (فلا [٣] أقسم بما تبصرون) من الأجسام والأرض والسماء (وما لا تبصرون)
من الملائكة والأرواح ، فالحاصل أنه أقسم بجميع الأشياء (إنه) أى إن القرآن
(لقول رسول كريم) أى محمد صلى الله عليه وسلم أو جبريل عليه السلام ، أى يقوله
ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله [٤] (وما هو بقول شاعر) كما تدعون (قليلا
ما تؤمنون * ولا بقول كاهن) كما تقولون (قليلا ما تذكرون) وبالياء فيهما [٥] مكى
وشامى ويعقوب وسهل . وبتخفيف الذال كوفى غير أبى بكر . والقلة فى معنى العدم
يقال هذه أرض قلما تنبت أى لا تنبت أصلا . والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة
(تنزيل) هو تنزيل . بياناً [٦] لأنه قول رسول [٧] نزل عليه (من رب العالمين

---

(١) الغسلين فى اللغة ما يجرى من الجراح إذا غسلت ، ولا جراح فى النار ولا غسل ، وإنما فيها صديد وماء دموى يسيلان من أجساد أهل النار ، وذلك يشبه الغسلين ، فلذا أطلق عليه ، ولذا قال ابن عباس فى رواية ابن أبى حاتم وغيره من طريق عكرمة عنه . إنه الدم والماء الذى يسيل من لحوم أهل النار .

(٢) فهو خاطئ أى صاحب خطيئة ، من الخطأ المقابل للصواب ، لا المقابل للعمد وذكر الكافرين فى تفسير (الخاطئون) لأن الكلام فيمن لا يؤمن بالله العظيم .

(٣) لا — صلة لتوكيد القسم .

(٤) لما كان قوله تعالى (إنه لقول رسول كريم) موهما أنه من كلام الرسول دفع النسفى ذلك بقوله ، أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله ، ويدل له التعبير عن النبى فى هذا المقام بقوله (رسول) أى مبلغ رسالة ، ويدل له أيضاً قوله تعالى فيما يأتى (تنزيل من رب العالمين) .

(٥) أى يؤمنون ويذكرون .

(٦) نصب (بياناً) على أنه مفعول لأجله ، وفعله محذوف ، يعنى أنه تعالى ذكر قوله (تنزيل من رب العالمين) إلخ بياناً لقوله سابقاً (إنه لقول رسول كريم) فقد أفاد أنه منزل من عند الله تعالى ، فيدل ذلك على أن المراد من كونه قول رسول أنه مبلغه وناقله بعد أن نزل عليه ، لا منشئه .

(٧) لعل هنا سقطا ، وأصل الكلام أى نُزِّل عليه إلخ .

ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل) (١) ولو ادعى علينا شيئاً لم نقله (لأخذنا منه باليمين) لقتلناه صبراً (٢) كما يفعل الملوك بمن يتكذَّب عليهم (٣) معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته (٤) ليكون أهول ، وهو أن يؤخذ بيده (٥) وتضرب رقبته وخص اليمين لأن القتَّال إذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه (٦) أخذ بيساره ، وإذا أراد أن يوقعه فى جيده (٧) وأن يكفحه (٨) بالسيف — وهو أشد على المصبور (٩) لنظره (١٠) إلى السيف — أخذ (١١) بيمينه ، ومعنى لأخذنا منه باليمين لأخذنا بيمينه (١٢) وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه ، وهو نياط (١٣) القلب إذا قطع مات صاحبه (فما منكم) الخطاب للناس أو للمسلمين (من أحد) من زائدة (عنه) عن قتل محمد

---

(١) التقول الافتراء ، والأقاويل الأقوال المفتراة . جمع قول على غير قياس ، أو جمع أقوال فهى جمع الجمع ، كأناعيم جمع أنعام ، وأبابيت جمع أبيات .

(٢) أى حبساً ، تقول صبره عنه يصبره ، حبسه عنه ، وصبرُ الإنسان وغيره على القتل أن يحبس ويرمى حتى يموت ، والمراد به هنا أن يمنع من النجاة ويرمى بأى سبب من أسباب الموت .

(٣) أى مثل قتل الملوك لمن يتكلف الكذب عليهم ، والمثلية فى الشدة وهوان المقتول وذلته ، وعدم القدرة على الفكاك ، وصورة قتل الملوك المشبه بها فيها إمساك باليمين وقطع للوتين إلخ ، وأما المشبه فهو القتل صبراً وحبساً ، فليس فيه شىء من ذلك ، ووجه الشبه بينهما ما ذكرناه ، والمراد لأهلكناه فى شدة وذلة وهوان دون قدرته على فكاك .

(٤) أى بصورة ما يفعله الملوك . (٥) أى بيد من يتكذب عليهم .

(٦) أى فى قفا المقتول الذى يتكذب .

(٧) الجيد بكسر الجيم العنق أو مقدمه . (٨) بفتح الفاء أى يواجهه .

(٩) جملة معترضة بين إذا الشرطية وجوابها .

(١٠) تعليل لكونه أشد على المصبور . (١١) جواب لإذا الشرطية .

(١٢) وعن ابن عباس أن اليمين بمعنى القوة ، والمراد أخذه بشدة وعنف ، ومن زائدة على هذا الرأى ، إذ التقدير لأخذناه بالقوة .

(١٣) هو عرق غليظ نيط به القلب وعلق به واصل إلى الجيد ، إذا قطع مات صاحبه ، وتصادفه شفرة الذابح .

وجمع (حاجزين) وإن كان وصف أحدٍ لأنه [1] فى معنى الجماعة ، ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله [2] (وإنه) وإن القرآن (لتذكرة) لعظة (للمتقين * وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وإنه) وإن القرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدقين به (وإنه) وإن القرآن (لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم [3] وهو قوله سبحان الله [4]

---

(١) أى لأن أحداً فى معنى الجماعة لوقوعه بعد النفى فيصلح للجماعة كما هنا ، كما يصلح للواحد فى غير هذا المقام ، وهو فى كليهما للمذكر والمؤنث ، ومنه لا نفرق بين أحد من رسله ، ولستن كأحد من النساء ، فأحد مبتدأ ، ومن حرف جر زائد ، والخبر منكم ، وحاجزين صفة أحد بحسب اللفظ ، لا بحسب المحل ، وهذا رأى الحوفى وغيره ، وضعف من جهة المعنى ، والراجح جعل أحد اسم ما الحجازية ، ومن فى (من أحد) زائدة ، وحاجزين خبرها ، لأنه محط الفائدة ، ومنكم فى موضع الحال من أحد ، ولو تأخر لكان صفة ، وقيل للبيان ، وقيل متعلق بحاجزين .

(٢) إذ هو فى معنى لا نفرق بين جماعة رسله ، كما تقتضيه كلة (بين) المقتضية للتعدد ، وكذا كلة لا نفرق .

(٣) أى مع التسبيح .

(٤) تنزيهاً له عن رضاه بالتقول عليه ، وشكراً له على وضوح الحق فى شأنك .

سورة المعارج

مكية وهى أربع وأربعون آيه

بسم الله الرحمن الرحيم

(سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال : إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم — أو هو النبى صلى الله عليه وسلم ، دعا بنزول العذاب عليهم ، ولما ضمن[1] سأل معنى دعا عُدِّى تعديته ، كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه ، ومنه قوله تعالى « يدعون فيها بكل فاكهة » . وسال بغير همز مدنى وشامى ، وهو من السؤال أيضاً إلا أنه خفف بالتليين[2] وسائل مهموز إجماعاً (للكافرين) صفة لعذاب ، أى بعذاب واقع كائن للكافرين (ليس له) لذلك العذاب (دافع) رادٌّ (من الله) متصل بواقع[3] أى

سورة المعارج

نزلت عقب سورة الحاقة ، كما ورد عن ابن عباس ، وهى كالتتمة لها ، فتها تكملة وصف القيامة .

(١) قد يستعمل السؤال بمعنى الدعاء لغة ، وليس من التضمين فى شىء كما قال الآلوسى ، فلذا يتعدى بالباء مثله .

(٢) ومنه قول حسان .

سالت هذيلُ رسولَ الله فاحشة ضلّت هذيل بما قالت ولم تصب

(٣) أى متعلق به ، لكن على شرط أن (للكافرين) و (ليس له دافع) صفتان أخريان لعذاب ، حتى لا يفصل بين المتعلق وما تعلق به بما ليس من تتمته ، أما على ماقاله الحسن وقتادة من أن أهل مكة لما خوفهم النبى صلى الله عليه وسلم بعذاب واقع سألوا فقالوا . لمن هذا العذاب فنزلت للكافرين الآية ، فلا يصح تعلقه بواقع للفصل بينهما بأجنبى .

واقع من عنده ، أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى إذا جاء وقته [1]
(ذى المعارج) أى مصاعد السماء للملائكة جمع مَعْرَج [2] وهو موضع العروج ، ثم
وصف المصاعد وبُعدَ مداها فى العلو والارتفاع فقال (تعرج) تصعد ، وبالياء على
(الملائكة والروح) أى جبريل عليه السلام ، خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه ،
أو خلق هم حفظة على الملائكة ، كما أن الملائكة حفظة علينا ، أو أرواح [3] المؤمنين
عند الموت (إليه) إلى عرشه [4] ومهبط أمره (فى يوم) من صلة تعرج [5] (كان

---

(١) أى أن الله تعالى لا يدفعه عنهم إذا جاء وقته ، لتعلق إرادته به جزاء كفرهم .

(٢) بفتح الميم والراء ، أى مَصعَد ، وفعله عرَج يعرُج عروجاً ، أى ارتقى ، والمراد بالمعارج هنا على ما قاله ابن عباس . السموات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء ، وقيل هى معارج يعلم حقيقتها الله ، وقيل هى مراتب السلوك ، يترقى فيها السالكون المؤمنون إلى غير ذلك .

(٣) جَمعَ فقال أرواح وهو يفسر الروح المفرد يريد أن ال فيه للاستغراق .

(٤) إنما قال إلى عرشه لأنه تعالى لامكان له تعرج إليه فيه الملائكة ، وإنما يصعدون إلى عرش الله لأنه تصدر عنه أحكام الكون وقضاياه التى يكلف الملائكة تنفيذها .

(٥) قوله (فى يوم) مقصود لفظه ، مبتدأ ، و(من صلة) متعلق بمحذوف خبره ، وتعرج مضاف إليه ، لأنه قصد لفظه ، أى مما يتعلق بتعرج ، وعلى تعلقه به كما قال يجوز أن يكون هذا اليوم فى الدنيا كما جنح إليه بعضهم ، ويكون المراد أن الملائكة تعرج إلى عرش الله فى يوم من أيامكم كان مقدار المسافة التى يقطعها فيه الملائكة والروح يقطعها الناس بوسائل أسفارهم فى خمسين ألف سنة لو فرض سلوكهم هذا السبيل ، وروى هذا عن مجاهد ومنذر بن سعيد وابن اسحاق ، وكذا عن ابن عباس فى رواية عنه — ومن الممكن أن يراد من اليوم على هذا الوجه مطلق الزمن ، فقد صعد جبريل مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريب من ذلك وعاد فى بعض ليلة المعراج .

ويجوز مع تعلقه بتعرج أن يكون فى الآخرة ، والمراد به الوقت ، وهو مقدار مقام الناس لرب العالمين إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار من اليوم الآخر الذى لا نهاية له .

مقداره خمسين ألف سنة) من سنى الدنيا لو صعد فيه غير الملك ، أو من صلة «واقع»[1]
أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم ، وهو يوم القيامة ، فإما
أن يكون استطالة له ، لشدته على الكفار[2] أو لأنه على الحقيقة كذلك ، فقد قيل ، فيه
خمسون موطناً ، لكل موطن ألف سنة ، وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر
والعصر (فاصبر) متعلق بسأل سائل ، لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على
وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحى ، وكان ذلك مما
يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بالصبر عليه (صبراً جميلا) بلا جزع
ولا شكوى (إنهم) إن الكفار (يرونه) أى العذاب أو يوم القيامة (بعيداً)
مستحيلا (ونراه قريباً) كائناً لامحالة ، فالمراد بالبعيد البعيدُ من الإمكان ، وبالقريب
القريبُ منه ، نُصب (يوم تكون السماء) بقريباً ، أى يمكن[3] فى ذلك اليوم ،
أو هو بدل عن فى يوم ، فيمن علقه بواقع[4] (كالمُهل) كدُرْدِىء[5] الزيت ،

(١) يريد أن (فى يوم) يجوز تعلقه ووصله بواقع ، وقوله . من صلة واقع .
معطوف . بأو . على قوله سابقاً . من صلة تعرج .

(٢) ويكون على عادة العرب من استطالة يوم الشدة والفراق قال الشاعر :

يجود بالطُّول ليلى كلما بخلت   بالطَّول ليلَى وإن جادت به بخلا

وقد أخرج أحمد وغيره عن أبى سعيد الخدرى قال (سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . ما أطول هذا اليوم ، فقال عليه الصلاة
والسلام ، والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة
المكتوبة يصليها فى الدنيا) ففى هذا الحديث الكريم دليل على هذا الوجه .

(٣) إنما قال . أى يمكن . لأن القرب معناه هنا الإمكان كما ذكره من قبل .

(٤) أى فى رأى من علقه بواقع أما على تعلقه بتعرج فلا يجوز إبداله منه على جعل
اليوم فى الدنيا ، فإن أريد به يوم القيامة فيمكن إبداله منه على هذا الوجه ، ويجوز تعلقه
بفعل مقدر آخر لقصد التهويل ، أى يوم تكون السماء كالمهل إلخ يكون من الأهوال
مالا يحيط به المقال .

(٥) وهو ما يبقى أسفله .

أو كالفضة المذابة فى تلوّنها (١) (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألواناً ، لأن الجبال جُدَد (٢) بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، فإذا بُسّت وطيرت فى الجو أشبهت العِهْن المنفوش إذا طيرته الريح (ولا يَسأل حميم (٣) حميا) لا يَسْأل قريب عن قريب (٤) لاشتغاله بنفسه ، وعن البزى والبرجمى بضم الياء ، أى لا يُسأل قريب عن قريب ، أى لا يطالب به ولا يؤاخذ بذنبه (٥) (يُبَصَّرونهم) (٦) صفة ، أى حميا مُبصَّرين مُعَرَّفين إياهم ، أو مستأنف ، كأنه لما قال ولا يَسْأل حميم حميا قيل لعله لا يبصره ، فقيل يُبَصَّرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم (٧) والواو ضمير الحميم الأول ، وهم ضمير الحميم الثانى ، أى يُبَصَّر الأحِمَّاء الأحِمَّاء فلا يَخفَوْن عليهم، وإنما جُمع الضميران وهما للحميمَين لأن فعيلا يقع موقع الجمع (٨) (يود المجرم) يتمنى المشرك (٩) وهو مستأنف أوحال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم

---

(١) حيث تتجه بالإذابة إلى لون قاتم ، ومن معانى المهل أيضاً الجمر وما ذاب من حديد وصفر ، وكل تصح إرادته هنا .

(٢) أى طرائق ، جمع جُدة ، أى طريقة ، يريد أن الجبال بعضها أبيض وبعضها أحمر ، والحمرة ذات زيادة أو نقصان أو توسط ، وكذا البياض، فيختلف بذلك ألوانها ، وبعض الجبال سود غرابيب ، والغرابيب جمع غربيب ، وهو الأسود الحالك السواد ، وسود عطف بيان عليه أو توكيد لفظى له .

(٣) الحميم القريب المشفق .

(٤) أى عن حال قريب ، وهذا التقدير يعطى أن حميماً منصوب بنزع الخافض ، وهو رأى ، وقيل إنه مفعول يسأل الأول والثانى محذوف والتقدير عن حاله .

(٥) أو المعنى لا يُسأل عن حاله لأنه مهموم بأمر نفسه لا يدرى من أمر غيره شيئاً .

(٦) أى يجعلهم الله بحيث يرونهم ويعرفونهم ولكنهم لا يهتمون بهم .

(٧) أى من سؤال بعضهم بعضا ، وقيل هو تعليل لانتفاء السؤال بأنهم مرئيون لهم يعرفون سعادتهم ببياض الوجوه ، وشقاوتهم بزرقتها ، فلا داعى لسؤالهم عنهم .

(٨) أى قد يقع كما هنا ، وقد يقع موقع المفرد فإنه يجوز إطلاق الحميم على المفرد ، أو يقال إنهما نكرتان عامتان لوقوع كل منهما فى سياق النفى .

(٩) أو كل كافر أو كل مذنب .

(لو [١] يفتدى من عذاب يومئذ) وبالفتح [٢] مبنى على البناء ، للاضافة إلى غير متمكن [٣] (ببنيه * وصاحبته) وزوجته (وأخيه * وفصيلته) وعشيرته [٤] الادنين (التى تؤويه) تضمه انتماء إليها ، و بغير همز (ومن فى الأرض جميعاً) من الناس (ثم ينجيه) الافتداء ، عطف على يفتدى [٥] (كلا) ردع للمجرم عن الودادة ، وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب (إنها) إن النار ، ودل ذكر العـذاب عليها ، أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر ، أو ضمير القصة [٦] (لظى) علم للنار [٧] (نزاعةً) حفص والمفضل ، على الحال المؤكدة [٨] أو على الاختصاص للتهويل ، وغيرهما بالرفع ، خبر بعد خبر لإن ، أو على هى نزاعة (للشوى) لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين [٩] أو جمع شـواة وهى جلدة الرأس [١٠] تنزعها نزعاً فتفرقها ثم

---

(١) حكاية لودادتهم ، ولو فى معنى التمنى ، وقيل هى بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب ، وحينئذ لا تكون حكاية لوداتهم وينسبك منها ومما بعدها مصدر هو مفعول يود ، أى يود افتداءه . وجملة يود المجرم استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يود الافتداء بأقرب الناس إليه ، فكيف يهتم بحاله .

(٢) أى بفتح الميم فى يومئذ . (٣) وهو (إذ) فإنها مبنية .

(٤) أى أقاربه ، وقيل الفصيلة أقرب آبائك إليك .

(٥) داخل معه فى حيز الودادة ، أى يود لو يفتدى ثم ينجيه الافتداء ، وثم لاستبعاد الإنجاء .

(٦) وتكون لظى خبر مبتـدأ محذوف ، أى هى لظى ، وذلك لأن مفسر ضمير القصة يجب كونه جملة .

(٧) ممنوع من الصرف للعلمية والعدل عن اللظى ، أو للعلمية والتأنيث .

(٨) وفى صاحبها وعاملها خلاف ، وأقرب ما قيل إنهما محذوفان ، والتقدير أحقها نزاعة كما فى قوله * أنا ابن دارة معروفاً بها نسبى * أى أحقه معروفاً .

(٩) أخرجه ابن المنذر وابن حميد عن مجاهد .

(١٠) ومنه قول الشاعر .

قالت قُتيـــلة ماله   قد جللت شيباً شواته

أى جلدة رأسه .

تعود إلى ما كانت (تدعو) بأسمائهم يا كافر يا منافق إلىّ إلىّ ، أو تهلك من قولهم دعاك الله أى أهلكك [1] أو لما كان مصيره إليها جعلت كأنها دعته (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع) المال (فأوعى) فجعله فى وعاء ولم يؤد حق الله منه (إن الإنسان) أريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خلق هلوعاً) عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده (إذا مسه الشر جزوعاً * وإذا مسه الخير منوعاً) والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير ، وسأل محمد بن عبد الله ابن طاهر ثعلباً عن الهَلَع فقال قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسيرٌ أبينُ من تفسيره ، وهو الذى إذا ناله شر أظهر شدة الجزع ، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس . وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه [2] والشر الضر والفقر ، والخير السعة والغنى ، أو المرض والصحة [3] (إلا المصلين [4] * الذين هم على صلاتهم) أى صلواتهم الخمس (دائمون) أى يحافظون عليها فى مواقيتها ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه (والذين فى أموالهم حق معلوم) يعنى الزكاة لأنها مقدرة معلومة ، أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه

---

(١) حكاه الخليل عن العرب .

(٢) يريد أنه مأمور بتنظيم طبعه وفق شرعه ، وقد جعل الله الطبائع بحيث يمكن الميل بها نحو الخير الذى أمر به فى شرائعه ، فلا يستعمل جبلته فى الهلع مثلا فى كل شىء ، بل فيما يوافق الشرع ، فلا يشتد جزعه إلا عند تقصيره فى طاعة ، لكيلا يعود إلى هذا التقصير ، ولا يشتد فى منعه الخير عند ما يقتضيه من الواجبات أو المروءات ، بل يبذل بحيث لا يغالى فيضر نفسه أو ذريته ويذرهم فقراء ، وإنما يبخل فيما يعصى به الله تعالى ، فيكون بخله نوعاً من الطاعة ، ويسمى حكمة حينئذ .

(٣) تفسير آخر للشر والخير ، والتفسير الذى قبله هو المناسب لقوله تعالى (وجمع فأوعى) واعلم أن (إذا) الأولى ظرف لجزوعاً ، والثانية ظرف لمنوعاً ، وجزوعاً ومنوعاً مجموعهما صفة كاشفة لهلوعاً .

(٤) استثناء متصل من الضمير فى خلق العائد على الإنسان مقيداً بهلوعاً ، مع التوسع فى معنى خلق ، أى يدوم على خلقه هلوعاً إلا المصلين الموصوفين بالصفات الآتية ، فإنهم يخضعون جبلتهم لمقتضيات الشريعة .

يؤديها في أوقات معلومة [١] (للسائل) الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنياً فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أي يوم الجزاء [٢] والحساب وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون ، واعترض بقوله (إن عذاب ربهم غير مأمون) بالهمز سوى أبي عمرو ، أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه ، وينبغي أن يكون مترجحاً بين الخوف والرجاء [٣] (والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم) نسائهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي إمائهم (فإنهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فمن ابتغى) طلب منكحاً (وراء ذلك) أي غير الزوجات والمملوكات (فأولئك هم العادون) المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام ، وهذه الآية تدل على حرمة المتعة [٤] ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (والذين هم لأماناتهم) لأماناتهم مكي ، وهي تتناول أمانات الشرع [٥] وأمانات العباد (وعهدهم) أي عهودهم [٦] ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان (راعون)

---

(١) هذا أرجح فإن الزكاة فرضت بالمدينة ، والسورة مكية ، فالمراد أنهم يجعلون قدراً من أموالهم معلوماً لهم يفرضونه على أنفسهم يدفعونه في وقت معين للسائل والمحروم.

(٢) من دِنته ، أي جازيته ، والديان المجازي الذي لا يضيع عملا من خير أو شر .

(٣) فقد يكون في عمله ما يمنع القبول كالرياء ، وقوله (إن عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض بين المعطوفين معلل لإشفاقهم .

(٤) لأن المنكوحة متعة ليست زوجة له ولا أمة فوجب أن لا تحل ، أما أنها ليست زوجة فلأنهما لا يتوارثان إجماعاً ، ولو كانت زوجة لحصل التوارث لقوله تعالى (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) وأما أنها ليست أمة فظاهر ، وأما وجوب عدم حلها فلقوله تعالى إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، هكذا نقل عن القاسم بن محمد ، وللعلماء كابن عباس وغيره كلام طويل في هذا الموضوع فارجع إليه .

(٥) وهي التكاليف كالصلاة والحج والزكاة ، ورعاية حقوق الجار ، والكف عن المحارم .

(٦) فسر العهد بالعهود لأن الإضافة تأتي لما تأتي له (ال) ومما تجيء له الاستغراق كما هنا.

حافظون غير خائنين ولا ناقضين ، وقيل الأمانات ما تدل عليه العقول [١] والعهد ما أتى به الرسول (والذين هم بشهاداتهم) سَهل ، وبالألف حفص ويعقوب (قائمون) يقيمونها عند الحكام ، بلا ميل إلى قريب وشريف وترجيح للقوى على الضعيف ، إظهاراً للصلابة فى الدين ، ورغبة فى إحياء حقوق المسلمين (والذين هم على صلاتهم يحافظون) كرر ذكر الصلاة لبيان أنها أهم ، أو لأن إحداهما للفرائض ، والأخرى للنوافل ، وقيل . الدوام عليها الاستكثار منها ، والمحافظة عليها أن لا تضيع عن مواقيتها ، أو الدوام عليها أداؤها فى أوقاتها ، والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها [٢] (أولئك) أصحاب هذه الصفات (فى جنات مكرمون) هما خبران (فمال) كتب مفصولا اتباعاً لمصحف عثمان رضى الله عنه [٣] (الذين كفروا قِبَلَكَ) نحوك ، معمول (مهطعين) [٤] مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزين) حال [٥] أى فرقا شتى ، جمع عِزَة ، وأصلها عِزْوة ، كأن كل فرقة تعتزى [٦] إلى غير من تعتزى إليه الأخرى ،

(١) لعله يقصد به ما عرف بالاستنباط ، وبالذى بعده ما أخذ من النص ، وأفرد العهد ولم يجمعه كالأمانة لأنه مصدر فى الأصل كما قيل .

(٢) فالدوام يرجع إلى نفس الأوقات ، والمحافظة ترجع إلى أحوالها ، فلا تكرار على هذا القول ، وهو خير الأقوال وتكرير الموصول مع أن الموصوفين طائفة واحدة لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات ، فساغ العطف الذى يقتضى التغاير على حد قول الشاعر :

إلى الملك القَرْم وابن الهما   م وليث الكتيبة فى المزدحم

(٣) أى لام الجر فى (للذين كفروا) فصلت عن الذين رعاية لرسم المصحف ، وما اسم استفهام إنكارى بمعنى أى سبب مبتدأ ، وللذين كفروا متعلق بمحذوف تقديره ثابت ، وهو خبر عن اسم الاستفهام ، أى فأى سبب ثابت للذين كفروا .

(٤) أى قوله قِبلك معمول مهطعين على أنه مفعول فيه له ، أى مسرعين جهتك .

(٥) أى من الذين كفروا ، أو من الضمير فى مهطعين على التداخل ، وعن اليمين إما متعلق بعزين ، أو بمهطعين ، أو هو حال .

(٦) أى تنتسب .

فهم مفترقون . كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حِلَقاً حِلَقاً[1] وفِرَقاً فِرَقاً ، يستمعون ويستهزئون بكلامه ، ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم ، فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل) بضم الياء وفتح الخاء ~~سوى المفضل~~ (جنة نعيم) كالمؤمنين (كلا) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنـة (إنا خلقناهم مما يعلمون) أى من النطفة المذرة ، ولذلك أبهم إشـعاراً بأنه مَنصِب[2] يستحيا من ذكره ، فمن أين يتشرفون ويدّعون التقـدم[3] ويقولون لندخلن الجنة قبلهم ، أو معناه . إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ، ومن حُكمنا أن لا يدخل أحد الجنة إلا بالإيمان ، فلِمَ يطمع أن يدخلها من لا إيمان له[4] ×(فلا[5] أقسم برب المشارق) مطالع الشمس[6] (والمغارب) ومغاربها (إنا لقادرون * على أن نبدل[7] خيراً منهم) على أن نهلكهم ونأتى بخلق أمثل[8] منهم ، وأطوع لله

(١) بفتح الحاء المهملة وكسرها ، جمع حَلْقة ، وهى ما تكون للباب ، أى يشبهون الحلقة فى التفافهم حوله .

(٢) أى أصل ، قال صاحب القاموس النِّصاب الأصل والمرجع ، كالمنصِب .

(٣) وهم مثل غيرهم فى أصـــل الخلقة ، فلا مجال لادعائهم أحقيتهم على المؤمنين بدخول الجنة طالما أن الأصل واحد ، وهذا الرأى لم ينظر فيه للعمل الصالح الذى يجىء فى الرأى التالى ، وبذا كانا رأيين .

(٤) أو المعنى . كلا إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون فى القرآن مقروءا على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو أن يعبدوا الله لإحراز جنته ، كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) فلا مجال لادعائهم إحراز جنته دون أن يعملوا ما خلقهم لأجله .

(٥) لا . صلة لتوكيد القسم .

(٦) ينبغى أن تراد المشارق عامة وكذا المغارب ، فلا تُقصر على الشمس ، إذ ما من كوكب سيار إلا له مشارق ومغارب ، وتختلف المشـارق وكذا المغارب باختلاف الفصول الأربعة ، فكل كوكب تتعدد مشارقه ومغاربه تبعاً لتلك الفصـول ، وإنما أقسم الله تعالى بها لدلالتها على عظيم قدرته .

(٧) المبدل منه مقدر والتقدير على أن نبدل منهم خيراً منهم .

(٨) أى أفضل ، والجمع أماثل ، والمَثَالة الفضل .

× الوجه الثاني أنه تكون على حقيقتها في النفي أي أن هذا الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج لقسم
- الثالث أنه النفي منصب على ما قبله أي فلا يدخلون جنة نعيم والكلام بعدها مستأنف
- الرابع أنه الألف للإشباع واللام للتوكيد لا ابتدائية والأصل فلأنا أقسم فحذفت أنا للتخفيف . ويؤيد ذلك أن الحسن قرأ بها فقال فلأقسم .

(وما نحن بمسبوقين) بعاجزين (فذرهم) فدع المكذبين (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب (يوم) بدل من يومهم (يَخرجون) بفتح الياء وضم الراء سوى الأعشى (من الأجداث) القبور[1] (سراعاً) جمع سريع ، حال ، أى إلى الداعى (كأنهم) حال (إلى نُصُب) شامى وحفص وسهل ، نَصَب ، المفضل ، نَصْبٍ ، غيرهم ، وهو[2] كل ما نصب وعُبِد من دون الله ، (يوفضون) يسرعون (خاشعة) حال من ضمير يخرجون ، أى ذليلة (أبصارهم) يعنى لا يرفعونها لذلتهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا وهم يكذبون به . وخاتمة السورة رجوع إلى أولها وبيان لوعد الرسول إياهم بالعذاب الذى استعجلوه أول السورة بقوله سأل سائل بعذاب واقع .

هذه أحوال أربعة لبعث الكافرين

---

(1) مفرده الجَدَث . (2) أى النصب على القراءات كلها .

× الفاء للفصيحة أى إنا قادرون على ذلك ولكن حكمتنا اقتضت استمهالهم وتركهم واستدراجهم كما قال تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) فإذا كان ذلك

سـورة نوح عليه السلام

مكية وهى ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنا أرسلنا نوحاً) قيل معناه بالسريانية الساكن[1] (إلى قومه[2] أن أنذر) خوّف ، أصله بأن أنذر[3] فحذف الجار ، وأوصل الفعل ، ومحله عند الخليل جر ،

سـورة نوح

ذكرت بعد سورة المعارج لأنها مثلها فى تهديد مشركى مكة بأن يصيبهم مثل ما أصاب الكافرين الأولين من العذاب الدنيوى ، فقد ذكر فيها ما أصاب قوم نوح من الهلكة بسبب كفرهم ، ولأنها كالدليل على ماجاء فى السورة السابقة من قدرته على أن يبدل خيراً من الكافرين بعد إهلاكهم ، فقد جاء فيها أن الله لم يترك من قوم نوح ديّارا على الأرض ، ولا ريب أنه تعالى أنشأ من بعدهم خيراً منهم ، كما أنها اشتملت مثلها على الوعيد بالعذاب الأخروى للكافرين كما جاء فى مطلعى السورتين .

(١) هذا يفيد أنه وصف بالسريانية ، لكنه فى نوح النبى علم قبل أن تكون اللغة السريانية ، وهو اسم أعجمى معرّب كما قال الجواليقى ، وعند غيره ، لايزال على عجمته ، وصرف لعدم زيادته على الثلاثة مع سكون وسطه .

وفى المستدرك عن ابن عباس مرفوعاً « بعث الله تعالى نوحاً لأربعين سنة ، فلبث فى قومه ألف سنة إلاخمسين عاماًيدعوهم،وعاش بعدالطوفان ستين‌سنة حتى كثرالناس وفشوا.

واختلف فى مكان قبره ، فقيل بالمكان الذى فيه مسجد الكوفة ، وقيل بالجبل الأحمر ، وقيل بذيل جبل لبنان بمدينة الكرك .

(٢) قيل إنهم كانوا يسكنون الجزيرة التى يسكنها العرب الآن ، وتسمى من أجلهم جزيرة العرب ، واشتهر أنه كان يسكن أرض الكوفة وهناك أرسل .

(٣) ذكر ابن هشام فى المغنى أن أبا حيان يمنع وصل أن المصدرية بالأمر ، وجعلها فى مثل ما هنا تفسيرية كالقول الآتى ، وقد دلل على ذلك بأن المصدر المنسبك منهما =

وعند غيره نصب[١] أو أن مفسرة بمعنى أى ، لأن فى الإرسال معنى القول[٢] (قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) عذاب الآخرة ، أو الطوفان (قال يا قوم) أضافهم إلى نفسه[٣] إظهاراً للشفقة (إنى لكم نذير) مخوّف[٤] (مبين) أُبينُ لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (أن اعبدوا الله) وحّدوه ، وأنْ هذه نحو أن أنذر فى الوجهين (واتقوه) واحذروا عصيانه (وأطيعون) فيما آمركم به وأنهاكم عنه ، وإنما أضافه إلى نفسه لأن الطاعة قد تكون لغير الله تعالى ، بخلاف العبادة (يغفر لكم) جواب الأمر (من ذنوبكم) للبيان[٥] كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، أو للتبعيض لأن ما يكون بينه و بين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالقصاص وغيره ، كذا فى شرح

= يفوت به معنى الأمرية ، وأنه لم يقع فى كلام العرب نحو أعجبنى أن قم ، ولا كرهت أن قم ، بأن يأتى المصدر المنسبك من أن وفعل الأمر فاعلا أو مفعولا .

وأجيب عن الأول بأن فوات الأمرية لا يعول عليه ، كما لا يعول على فوات معنى المضى والحال والاستقبال عند وصل أن بالماضى أو المضارع وعن الثانى بأنه إنما امتنع نحو المثالين المذكورين لأنه لا معنى لتعلق الإعجاب والكراهية بالإنشاء ، لا لعدم وقوع المصدر فاعلا أو مفعولا ، على أنه لو سلم ذلك هنا، لزم أن لا يقول بمصدرية كى ومدخولها ، لأن المصدر المنسبك منهما لا يقع فاعلا ولا مفعولا ، بل مجروراً بلام التعليل .

(١) أى بنزع الخافض .

(٢) لأنّ (أن) تكون بمعنى أى التفسيرية إن سبقت بما فيه معنى القول دون حروفه.

(٣) فإن أصله ياقومى بياء المتكلم ، فحذفت تخفيفاً ، وأبقيت الكسرة على آخر المضاف دليلا عليها ، وقوله (قال ياقوم) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية إرساله ﷺ بالوجه المذكور ، كأنه قيل ، فماذا فعل معهم بعد ما أُمِر بإنذارهم ، فقيل قال ياقوم إلخ .

(٤) فنذير بمعنى منذر ، والمنذر المخوّف أى أنه مخوفهم من عذاب الله الذى يكون لغير المؤمنين .

(٥) يريد أن (مِن) فى قوله (من ذنوبكم) للبيان ، فقوله (للبيان) خبر لمبتدأ مقدر ، والأصل . مِنْ للبيان ، والمبيَّن مقدر قبلها يفسر بمدخولها ، أى يغفر لكم أفعالكم التى هى ذنوبكم .

التأويلات[١] (ويؤخركم إلى أجل مسمى) وهو وقت موتكم (إن أجل الله) أى الموت (إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) أى لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم . قيل إن الله تعالى قضى مثلا أن قوم نوح إن آمنوا عَمَّرهم ألف سنة ، و إن لم يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعمائة ، فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى ، أى تبلغوا ألف سنة ، ثم أخبر أن الألف إذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت[٢] وقيل أنهم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بإيمانهم و إجابتهم لنوح عليه السلام ، فكأنه عليه السلام آمنهم من ذلك ، ووعدهم أنهم بإيمانهم يبقون إلى الأجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا أى أنكم إن أسلمتم بقيتم إلى أجل مسمى آمنين من عدوكم (قال[٣] رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا) دائباً

---

(١) وقيل زائدة للتأكيد ، على رأى الأخفش الذى يجوز زيادتها فى الإثبات كالنفى .

(٢) الصواب أن الأجل المراد من قوله تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) هو الأجل الأول الذى يموتون عنده لو بقوا على كفرهم ، وهو التسعمائة لا الألف ، وإلى هذا جنح أبو السعود وغيره ، أى إن الأجل الذى قدره الله لكم إن بقيتم على كفركم ، إذا جاء وأنتم كافرون لا يؤخر إلى الأجل الثانى ، لأن شرط تأخيره إليه وهو الإيمان والطاعة منكم لم يتحقق قبل مجيئه .

وحجة هذا الرأى أن تأخيرهم إلى أجل مسمى قد علق على إيمانهم وطاعتهم ، فيدل ذلك على أنه جزاء للإيمان والطاعة ، وعلى أنهما شرط له ، وذلك يقتضى أنهم لا يبلغون هذا الأجل المسمى إن لم يتحقق شرطه ، فيقتضى هذا أن يكون قوله (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) تحذيراً من التراخى فى تحصيل الشرط الذى هو الإيمان والطاعة حتى يأتى أجل الله الذى حدد لهم وهم باقون على كفرهم ، فلا يستأهلون التأخير للأجل المسمى الذى جعل لمن آمن قبله ، على أنه لا فائدة من التنصيص على أن الأجل الثانى إذا جاء لا يؤخر ، كما ذهب إليه النسفى لأنهم لم يؤمنوا بعد ، ولم يطمعوا فى المزيد عليه حتى يقال لهم ذلك .

(٣) أى قال شاكياً لربه ، وهو بحاله عليم ، بعد ما أنفق فى الدعوة قرابة ألف سنة ، فلم يؤمنوا وضاقت عليه الحيل .

بلا فتور (فلم يزدهم دعائى إلا فراراً) عن طاعتك ونسب ذلك إلى دعائه لحصوله عنده ، وإن لم يكن الدعاء سبباً للفرار فى الحقيقة [1] وهو كقوله وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم ، والقرآن لا يكون سبباً لزيادة الرجس [2] وكان الرجل يذهب بابنه إلى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرنك فإن أبى قد وصانى به (وإنى كلما دعوتهم) إلى الإيمان بك (لتغفر لهم) أى ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب [3] (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم [4] لئلا يسمعوا كلامى (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصرونى كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم فى دين الله (وأصروا) وأقاموا على كفرهم [5] (واستكبروا استكبارا) وتعظموا عن إجابتى ؛ وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثم إنى دعوتهم جهاراً) مصدر فى موضع الحال ، أى مجاهراً ، أو مصدر دعوتهم ، كقعد

(١) يقصد أن دعاءه سبب مجازى فى زيادة فرارهم عن طاعة الله وعنادهم نحوها ، وليس سبباً حقيقياً ، وقد صرح بالسببية أبو السعود والآلوسى .

وإنما لم يكن سبباً حقيقياً لأن دعاءه إلى توحيد الله وطاعته مدعم بالأدلة التى من شأنها أن تصرفهم إلى الإيمان والطاعة ، فلذا تكون سببيته لازدياد كفرهم بجعلهم وبسوء اختيارهم وفساد رأيهم .

(٢) أى لا يكون سبباً عقلياً ، ولكنه سبب عندهم بجعلهم المبنى على فساد رأيهم .

(٣) وهو الغفران ، فإنه مسبب عن الإيمان ، وهذا من باب الكناية .

(٤) على الحقيقة ، أو أن ذلك كناية عن إعراضهم عن استماع الحق ، ويجوز فيما بعده ما جاز هنا .

(٥) وأصله من أصرّ الحمار على أتانه ، إذا رفع أذنيه وجعلهما قائمتين ، وأقبل عليها يعضها ويثب عليها ، وفى ذلك غاية الذم لهم .

قال جار الله ، لو لم يكن فى ارتكاب المعاصى إلا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة ، كيف لا والتشبيه به فى أسوأ أحواله ، وهو حال الكدْم (العض) والسِّفاد (الوثب عليها) .

هذا وقد قيل إن ذلك أصل معناه فى اللغة، ثم صار حقيقة عرفية فى الملازمة والانهماك.

القرفصاء ، لأن الجهار أحد نوعى الدعاء[1] يعنى أظهرت لهم الدعوة فى المحافل (ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) أى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر ، فالحاصل أنه دعاهم ليلا ونهاراً فى السر ، ثم دعاهم جهارا ، ثم دعاهم فى السر والعلن ، وهكذا يفعل الآمر بالمعروف ، يبتدىء بالأهون ، ثم بالأشد فالأشد ، فافتتح بالمناصحة فى السر ، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة ، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان ، وثم تدل على تباعد الأحوال ، لأن الجهار أغلظ من الإسرار ، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما ، (فقلت استغفروا ربكم) من الشرك ، لأن الاستغفار طلب المغفرة ، فإن كان المستغفر كافراً فهو من الكفر ، وإن كان عاصياً مؤمناً فهو من الذنوب (إنه كان غفاراً) لم يزل غفاراً لذنوب[2] من ينيب إليه (يرسل السماء) المطر[3] (عليكم مدراراً) كثيرة الدرور ، مفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث[4] (ويمددكم بأموال وبنين) يزدكم أموالا وبنين (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم أنهاراً) جارية لمزارعكم وبساتينكم ، وكانوا يحبون الأموال والأولاد ، فحركوا بهذا على الإيمان ،

(١) والنوع الثانى الإسرار ، أو هو صفة لمصدر محذوف ، أى دعاء جهارا .

(٢) فلفظ (كان) لإفادة اتصافه بالغفران أزلا ، كأنهم تعللوا ، وقالوا إن كنا على الحق فكيف نتركه ، وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا الله بعد ما عكفنا عليه دهراً طويلا ، فأمرهم بما يفيد أنهم على الباطل ، فقد أمرهم بالاستغفار الذى لا يكون إلا عن ذنب ، وأفهمهم أن الغفران صفة لله منذ الأزل ، ووعدهم أنهم إن فعلوا كوفئوا فى دنياهم بالمطر والأنهار والجنان ، والأموال والأولاد ، فإن قلوبهم عامرة بحب العاجلة فوعدهم بخيراتها ، واستدعاهم إلى الآخرة من تلك الطريق التى يحبونها .

(٣) ومن إطلاقها على المطر وكذا النبات قوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً

والإطلاق مجازى علاقته السببية والمسببية فى الثانى والحالية والمحلية فى الأول .

(٤) فهو من صيغ المبالغة ، وصيغ المبالغة كما قال سيبويه يشترك فيها المذكر والمؤنث ، وفى البحر أن مفعالا لا تلحقه التاء إلا نادراً . اهـ ومعنى مدرار كثيرة سيلان المطر ، مفعال من درت السماء بالمطر أى سالت به .

وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر ، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة أو سبعين ، فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ، ورفع عنهم ما كانوا فيه . وعن عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى ، فما زاد على الاستغفار ، فقيل له ما رأيناك استسقيت ، فقال لقد استسقيت بمجاديح[1] السماء التى يستنزل بها المطر ، شبه عمر الاستغفار بالأنواء[2] الصادقة التى لا تخطىء ، وقرأ الآيات . وعن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب[3] فقال استغفر الله ، وشكا إليه آخر الفقر ، وآخر قلة النسل ، وآخر قلة ريع أرضه ، فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبواباً فأمرتهم كلهم بالاستغفار ، فتلا الآيات (ما لكم لا ترجون لله وقاراً)[4] لا تخافون لله عظمة ، عن الأخفش ، قال والرجاء هنا الخوف[5] لأن مع الرجاء طرفاً من الخوف ومن اليأس[6] والوقار العظمة ، أو لا تأملون له توقيراً

---

(١) مجاديح السماء أنواؤها ، جمع مِجْدح وهو النَّوْء .

(٢) جمع نَوْء وهو النجم يميل إلى الغروب فيستدل به على المطر بأمارات خاصة وفى نجوم خاصة ، وقد شبه بها عمر الاستغفار لأنه يستتبع المطر عند صدق النية كما تستتبعه الأنواء الصادقة .

(٣) معناه احتباس المطر .

(٤) ما اسم استفهام إنكارى مبتدأ ، ولكم متعلق بمحذوف خبره ، وجملة لا ترجون الخ حال من ضمير المخاطبين فى لكم ، والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم ، يعنى أى سبب ثبت لكم صرفكم عن توقير الله حال كونكم لا ترجون لله وقاراً ، ولله متعلق بمحذوف حال من وقاراً مقدم عليه ولو أخر لكان صفة كما هو شأن النكرة .

(٥) وهذا رأى ابن عباس وقد أخرجه الطستى عنه مجيباً به سؤال نافع بن الأزرق منشداً قول أبى ذؤيب .

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها   وحالفها فى بيت نوب عواسل

(٦) الرجاء والرَّجاوة والترجى والارتجاء توقع الحصول مع تجوز عدمه ولهذا يلابسه الخوف من أن لا يتحقق المرجُوُّ وقد يستعمل مجازاً فى الخوف الملابس كما هنا ، وقد أشار الشيخ النسفى عابراً إلى ذلك .

أى تعظيما ، والمعنى ما لكم لا تكونون على حال[1] تأملون فيها تعظيم الله إياكم فى دار الثواب (وقد خلقكم أطواراً) فى موضع الحال[2] أى ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه ، وهى حال موجبة للإيمان به ، لأنه خلقكم أطواراً[3] أى تارات وكرات[4] ، خلقكم أولا نطفاً ، ثم خلقكم علقا ، ثم خلقكم مضغا ، ثم خلقكم عظاماً ولحما ، نبههم أولا على النظر فى أنفسهم لأنها أقرب ، ثم على النظر فى العالم وماسوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا)[5] بعضها على بعض (وجعل القمر فيهن نوراً) أى فى السموات — وهو فى السماء الدنيا — لأن بين السموات ملابسة[6] من حيث إنها طباق ، فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن فى جميعهن ، كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها[7] وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم أن الشمس والقمر وجوههما مما يلى السموات وظهورهما مما يلى الأرض[8] فيكون نور القمر محيطاً بجميع السموات

---

(١) وهى حال الطاعة .

(٢) أى مِن فاعل لا ترجون مقررة للإنكار .

(٣) الأطوار الأحوال المختلفة ، وأنشدوا لذلك .

فإن أفاق فقد طارت عَمايته والمرء يخلق طَوْراً بعد أطوار

(٤) التارة الحين والمرة ، وهى مرادفة للكرة ، وتفسير الأطوار بالمرات قريب فى المآل من تفسيرها بالأحوال .

(٥) مصدر طابق ، أو جمع طبق — راجع المادة فى سورة تبارك .

(٦) الملابسة الاختلاط والمشابهة ، ولعله يقصد ارتباطا يشبه الاختلاط الذى يجعل المتعدد كالشىء الواحد .

(٧) عبارة أبى السعود أوضح ، فإنه قال ونسبته إلى الكل مع أنه فى السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات ، فما فيها يكون فى الكل ، أو لأن كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها ، فيرى الكل كأنه سماء واحدة ، ومن ضرورة ذلك أن يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل .

(٨) لا يصح هذا عن ابن عباس .

لأنها لطيفة لا تحجب نوره (وجعل الشمس سراجا) مصباحا يبصر أهل الدنيا في ضوئها ، كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره ، وضوء الشمس أقوى من نور القمر[1] وأجمعوا على أن الشمس في السماء الرابعة (والله أنبتكم من الأرض) أنشأكم . استعير الإنبات للإنشاء[2] (نباتاً) فنبتم نباتاً[3] (ثم يعيدكم فيها) بعد الموت[4] . (ويخرجكم) يوم القيامة (إخراجا) أكد بالمصدر ، أي أيّ إخراج[5] (والله جعل لكم الأرض بساطا) مبسوطة[6] (لتسلكوا منها[7]) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة أو مختلفة[8]

---

(١) ولذا جُعل نوراً في الجملة ، أما الشمس فجعلت كسراج البيت الذي يبدد ظلمته وتحقق فيه الأشياء ، قال الآلوسيّ . ولعل في تشبيهها بالسراج القائم ضياؤه لا بطريق الانعكاس رمزاً إلى أن ضياءها ليس منعكساً إليها من كوكب آخر ، كما أن نور القمر منعكس عليه من الشمس .

(٢) لكونه أدل على التكون والحدوث من الأرض ، لكونه مشاهداً لهم ، ففي الكلام استعارة تبعية مصرحة . وهم — وإن لم ينكروا إنشاء الله لهم منها — جعلوا لإنكارهم البعث كمن أنكره .

(٣) نباتاً كما قال أبو حيان وجماعة مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزائد ، ويسمى اسم مصدر ، والأصل إنباتاً ، ويجوز أن يكون مصدراً لفعل مترتب عليه ويسمى مطاوعه ، أي فنبتم نباتاً ، وهذا ما اختاره النسفي .

(٤) بدفنكم فيها .

(٥) يقصد بقوله أيّ إخراج أن التنوين في (إخراجاً) للتعظيم ، وعطف يعيدكم بثم على (أنبتكم) لتراخي زمان الإعادة في الأرض « أي الإماتة » عن زمان الإنبات أي الإنشاء ، وعطف يخرجكم بالواو مع تراخي الإخراج والبعث عن الإماتة لأن أحوال البرزخ والآخرة في حكم ما في زمان واحد .

(٦) أي في رأي العين ، فلا ينافي كونها في الواقع كالكرة وإن لم يظهر ذلك للعين .

(٧) (منها) متعلق بتسلكوا لتضمنه معنى تتخذوا ، وإلا فهو يتعدى بفي ، أو هو متعلق بمحذوف حال من سبلا مقدم عليه .

(٨) جمع فَج ، وهو صفة مشبهة نعت لسبلا ، وقيل اسم للطريق الواسع ، فيكون بدلا أو عطف بيان على ما قبله .

(قال نوح[١] رب إنهم عصونى) فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار (واتبعوا) أى السفلة[٢] والفقراء (من لم يزده ماله وولده) أى الرؤساء وأصحابَ الأموال والأولاد . ووُلْدُه مكى وعراقى غير عاصم ، وهو جمع وَلَد كأُسْد وأَسَد[٣] (إلا خسارا) فى الآخرة (ومكروا) معطوف على لم يزده ، وجمع الضمير وهو راجع إلى مَنْ ، لأنه فى معنى الجمع ، والماكرون هم الرؤساء ، ومكرهم احتيالهم فى الدين ، وكيدهم لنوح ، وتحريش الناس على أذاه ، وصدهم عن الميل إليه (مكراً كُبَّارا) أى عظيما ، وهو أكبر من الكُبَار — وقرىء به — وهو[٤] أكبر من الكبير (وقالوا) أى الرؤساء لسفلتهم (لا تذرن آلهتكم) على العموم أى عبادتها (ولا تذرن وَدًّا) بفتح الواو وضمها ، وهو[٥] قراءة نافع ، لغتان ، صنم على صورة رجل (ولا سواعا) هو على صورة امرأة (ولا يغوث) هو على صورة أسد (ويعوق) هو على صورة فرس ، وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا عربيين ، وللتعريف والعجمة إن كانا أعجميين ، (ونسرا) هو على صورة نسر ، أى هذه الأصنام الخمسة على الخصوص ، وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم ، وقد انتقلت هذه

---

(١) أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بمبدأ حكاية مناجاته لربه ، أى قال مناجياً ربه شاكياً إليه تعالى .

(٢) السِّفلة كالفتية أو كالفَرِحة أسافل الناس وغوغاؤهم .

(٣) وقيل مفرد كوَلد ، كالحَزَن والحُزْن وقيل كلاهما يستعمل مع المفرد ومع الجمع .

(٤) أى الكُبار بتخفيف الباء أكبر من الكبير ، واعلم أن الكُبَّار من صيغ المبالغة السماعية الفصيحة ، فقد سمع بعض الأعراب رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية فقال : ما أفصح ربك يامحمد ، قال عيسى بن عمرو هى لغة يمانية وعليها قول الشاعر :

بيضاء تصطاد القلوب وتستبى   بالحسن قلب المسلم القُرّاء

وقوله :   والمرء يُلحقه بفتيان الندى   خلق الكريم وليس بالوُضّاء

والكبار بتخفيف الباء من صيغ المبالغة السماعية أيضاً ، لكنه دون مشددها ، ومثل كبار فى ذلك حُسَان وطُوَال وعُجَاب وجُمَال وألفاظ كثيرة .

(٥) أى ضم الواو .

الأصنام عن قوم نوح إلى العرب[1] فكان ود لكلب ، وسواع لهمدان ، ويغوث لمذحج ، ويعوق لمراد ، ونسر لحمير ، وقيل هي أسماء لرجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح ، فلما ماتوا صوّروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة[2] فلما طال الزمان قال لهم إبليس إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم (وقد أضلوا) أي الأصنام[3] كقوله : إنهن أضللن[4] (كثيراً) من الناس ، أو الرؤساء[5] (ولا تزد الظالمين) عطف على رب إنهم عصوني ، على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه[6] ومعناه قال رب إنهم عصوني ، وقال لا تزد

(١) فإن قلت كيف انتقلت أسماؤها إلى العرب ، قلت لعل هذه الأصنام كان يذكرها من نجا في السفينه لأولادهم ، يذكرونهم بأن عبادتها كانت سببا في إغراق قوم نوح ، فظلت الأجيال تتناقل هذا الحادث مقترنا بذكر أسمائها ، حتى وصلت تلك الأسماء إلى العرب مقترنة بشيء من الأكاذيب والمبالغات ، وتناسى الراوون تسببها في إغراق قوم نوح عابديها فأطلقوها على أصنام لهم وعبدوها دون الله تعالى ، وإنك لتجد القصة الواحدة في جيلنا تنتقل من شخص إلى آخر وهكذا ، وفي النهاية تجدها قصة جديدة تخالف أصلها أو إلا في قليل ، فما ظنك بقصة تنتقل من جيل إلى جيل إلى آلاف السنين .

(٢) أي إلى أن يعبدوا الله تعالى حين يرون تماثيل الصالحين من قومهم ترمز إلى الصلاح والاستقامة .

(٣) وضمير العقلاء لتنزيلها منزلتهم مجاراة لزعمهم .

(٤) يريد أن نسبة الإضلال إلى الأصنام هنا بعود الضمير إليها يماثل نسبته إليها في قوله « إنهن أضللن » الآية ، فإن ضميرها عائد إلى الأصنام دون ريب .

(٥) معطوف على الأصنام ، يعني أن ضمير أضلوا إما عائد إلى الأصنام أو إلى الرؤساء والأخير أولى ، إذ الكلام في الرؤساء وإضلالهم السفلة في قوله « قال نوح رب إنهم عصوني » الآيات .

(٦) أي في قوله (ولا تزد) الآية فإن الواو هنا للعطف على محكي بالقول سابقاً وهو (رب إنهم عصوني) على أنها نائبة عن القول مغنية عن إعادته ، وعلى هذا تكون الواو من كلام الله تعالى ومن الحكاية ، ويكون كل من المعطوف والمعطوف عليه قصد لفظه ، ففات بحكاية لفظه تفاوته إنشاء وخبراً ، إذ أصبح في حكم المفرد ، ولا يصح جعلها من كلام نوح فتكون من المحكي إذ يلزم عليه عطفه الإنشاء على الخبر ، وهذا ممنوع ، نعم أجازه أبو حيان وجماعة .

الظالمين ، أى قال هذين القولين ، وهما فى محل النصب لأنهما مفعولا قال (إلا ضلالا) هلاكا[1] كقوله ولا تزد الظالمين إلا تبارا (مما خطيئاتهم) خطاياهم أبو عمرو ، أى ذنوبهم (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا ناراً) عظيمة ، وتقديم مما خطيئاتهم[2] لبيان أن[3] لم يكن إغراقهم بالطوفان و إدخالهم فى النيران إلا من أجل خطيئاتهم[4] وأكد هذا المعنى بزيادة ما ، وكفى بها مزجرة[5] لمرتكب الخطايا ، فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم ، وإن كانت كبراهن[6] والفاء فى (فأدخلوا) للإيذان بأنهم عذبوا بالإحراق عقيب الإغراق ، فيكون دليلا على إثبات عذاب القبر[7] (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله

---

(١) استعمال الضلال بمعنى الهلاك مجاز ، من استعمال اسم الملزوم فى اللازم ، فإن من ضل الطريق هلك ، وإنما لم يحمل على الضلال فى الدين لأن الأنبياء لا يدعون إلا بالهداية ، أو بالعذاب على الضلال غضباً لله تعالى ، وقيل إنه على حقيقته ، ولعله دعا به بعد ما أوحى الله إليه « إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » ومآله الدعاء عليهم بزيادة عذابهم .

(٢) أى تقديمه على العامل وهو أغرقوا مع أن حقه التأخير عن عامله .

(٣) أن مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن .

(٤) يريد أن تقدم (مما خطيئاتهم) — وهو معمول — على أغرقوا — وهو عامله وحقه التقديم — لإفادة القصر فكأنه قال ما أغرقوا وأدخلوا ناراً إلا لأجل خطيئاتهم لا بظلم من الله ولا بأى سبب آخر ، ومن تعليلية ، وما زائدة .

(٥) مزجرة مصدر ميمى ، وهو تمييز محول عن مفعول بوساطة الحرف ، أى وكفى بزجر هذه الآية عن الخطأ ، حيث نصت على أن الخطايا تمحضت سبباً لإغراق قوم نوح وإدخالهم النار ، فليحذر الناس أن يقارفوها حتى لا يحل بهم ما حل بقوم نوح.

(٦) جواب لمن يقول إن إهلاك قوم نوح لكفرهم ، وحاصله أن الآية صريحة فى أن خطاياهم هى السبب فى إهلاكهم ، وما كفرهم إلا واحدة من تلك الخطايا وإن كانت كبراهن .

(٧) ويصلاه المقبور ومن فى حكمه ممن أكلته السباع أو ابتلعته الحيتان أو نحو ذلك ، وقيل إنها نار الآخرة ، والتعقيب فيه لأن ما بين إغراقهم وتعذيبهم جعل فى حكم العدم ، لأنه إما موت أو مقدمة عذاب النار ، وهو الوقوف للحساب والنقاش فيه ، وإنه لشديد.

(وقال [١] نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) أى أحداً يدور فى الأرض ، وهو فيعال من الدّور [٢] وهو من الأسماء المستعملة فى النفى العام (إنك إن تذرهم) ولا تهلكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم إلى الضلال (ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا) إلا من إذا بلغ فجر وكفر [٣] و إنما قال ذلك لأن الله تعالى أخبره بقوله (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) [٤] (رب اغفرلى ولوالدى) وكانا مسلمين ، واسم أبيه لمك [٥] واسم أمه شمخاء [٦] وقيل هما آدم وحواء ، وقرئ ولولدىّ ، يريد ساما وحاما (ولمن دخل بيتى) منزلى أو مسجدى أو سفينتى (مؤمناً) لأنه علم أن من دخل بيته مؤمناً لا يعود إلى الكفر (وللمؤمنين والمؤمنات) إلى يوم القيامة ، خص أولا من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ، ثم عم المؤمنين والمؤمنات (ولا تزد الظالمين) أى الكافرين (إلا تبارا) هلاكا ، فأهلكوا ، قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا نوح عليه السلام بدعوتين ، إحداهما للمؤمنين بالمغفرة ، وأخرى على الكافرين بالتبار ، وقد أجيبت دعوته فى حق الكفار بالتبار ، فاستحال [٧] أن لا تستجاب دعوته فى حق المؤمنين ، واختلف فى صبيانهم حين أغرقوا ، فقيل أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبى حين أغرقوا ، وقيل علم الله براءتهم فأهلكوا بغير عذاب والله أعلم .

(١) عطف على نظيره السابق .

(٢) فأصله ديوار ، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها بالسكون ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء ، وليس بفعّال ، وإلا لقيل دَوّار ، إذ لا داعى للقلب حينئذ .

(٣) إنما قال من إذا بلغ فجر وكفر فى تفسير (فاجراً كفاراً) لأن المولود لا يتصف بهما وقت ولادته ، فإن الحكم بالفجور والكفر لا يكون إلا بعد البلوغ حيث يكون التكليف ، على أن يكون حينئذ عاقلا فإن بلغ غير عاقل فلا ، ففيهما مجاز مرسل باعتبار ما يؤول إليه كقوله (إنى أرانى أعصر خمراً) .

(٤) أو يكون مقاله هذا بسبب تجربته فيهم قرابة ألف سنة .

(٥) بفتح اللام وإسكان الميم ، وقيل بفتحهما ، واسم جده مَتُوشَلَخ ، وقيل مُتَوَشَلِخ .

(٦) قال الآلوسى إنها شمخى بالقصر بوزن سكرى .

(٧) لعل الاستحالة لأن الله وعد المؤمنين المغفرة ، ووعده لا يخلف .

سورة الجن
مكية وهى ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل) يا محمد لأمتك (أوحى[1] إلىّ أنه) أن الأمر والشأن[2] أجمعوا على فتح أنه ، لأنه فاعل[3] أوحى ، وأن لو استقاموا ، وأن المساجد ، للعطف[4] على أنه استمع ، فأن مخففة من الثقيلة ، وأن قد أبلغوا ، لتعدى يعلم إليها ، وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء[5]

سورة الجن

وجه اتصالها بما قبلها أنها سيقت مثلها لبعث مشركى مكة على الإيمان ، فسورة نوح فيها تهديد لهم بأن يصيبهم لكفرهم ما أصاب قوم نوح ، وسورة الجن فيها بعث لهم على الإيمان ببيان أن القرآن اهتدى به الجن فكيف لا يهتدون هم به ، وقد جاء فى ختامها الوعيد على الكفر فى قوله تعالى (قل إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمداً) فضلا عن أنها مثلها فى كونها من السور القصار المكية ذات الآيات القصار .

(١) للوحى فى اللغة معان منها الإعلام فى خفاء وهو المراد هنا .

(٢) فالهاء فى أنه للحال والشأن ولا مرجع لها .

(٣) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل أوحى ، وقد أطلق الشيخ عليه فاعلا لأنه أعطى أحكام الفاعل من الرفع وعدم التقدم على الفعل وغير ذلك .

(٤) ظاهره أنهم أجمعوا لأجل العطف وليس كذلك ، فإن القراءة توقيفية ، والواقع أنهم أجمعوا لأن الوحى لم يرد إلا بذلك ، على أن الكسر فيهما غير سائغ من حيث المعنى ، فإنهما مما أوحى إلى الرسول وليسا مما قاله الجن حتى يعطفا بالكسر على مقولهم ، فلذا كان فتح همزتيهما عطفاً على أنه استمع لأنهما مما أوحى كما قلنا .

(٥) لعله يقصد إجماع القراء السبعة ، وإلا فقد فتحها طلحة ، على أن التقدير كما قاله ابن الأنبارى وغيره فجزاؤه أن له إلخ ،وقد نص النحاة على جواز الفتح والكسر بعد فاء الشرط ، وكلام النسفى يوافق قول ابن مجاهد (ما قرأ به أحد) والصواب خلافه كما قلنا .

وبعد القول نحو فإن له نار جهنم [1] وقالوا إنا سمعنا [2] لأنه مبتدأ محكى بعد القول [3] واختلفوا فى فتح الهمزة وكسرها من أنه تعالى جد ربنا إلى وأنا منا المسلمون [4] ففتحها شامى وكوفى غير أبى بكر عطفاً على أنه استمع ، أو على محل الجار والمجرور فى آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا [5] أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا إلى آخرها [6] وكسرها غيرهم عطفاً على إنا سمعنا ، وهم يقفون على آخر الآيات (استمع نفر) جماعة من الثلاثة إلى العشرة [7] (من

---

(١) مثال لما بعد فاء الجزاء .

(٢) مثال لما بعد القول .

(٣) يعنى أنه مبتدأ فى جملته المحكية بالقول ، يقصد أن القول لم يُفقده حكم الابتداء الذى يقتضى الكسر لأنه لمجرد حكاية الشىء على ما هو عليه ، وإنما وجب الكسر ابتداء لأن الفتح يطلبه عامل ولا عامل . واعلم أن النحاة يجعلون الابتداء سبباً للكسر والحكاية بالقول سبباً آخر له .

(٤) وجملتها اثنا عشر موضعاً .

(٥) هذا حل معنى ، فإنه يمكن العطف من جهة قواعد النحو على محل المجرور إذ محله النصب فإنه فى موضع المفعول .

(٦) سواء أكان العطف على أنه استمع أم على محل المجرور فى آمنَّا به فإنه لا يخلو عن تكلف فى طائفة منها ، ولو جربت لتبينت هذا التكلف ، والأحسن فى النصب أن يكون على المفعولية لفعل محذوف مفهوم من القول فى قوله (فقالوا إنا سمعنا) والتقدير وذكروا أنه تعالى جد ربنا ، وما بعده يكون نصبه بالعطف عليه ، وهذا خير مما ذكروه فى هذا المقام .

وقد فات النَّسفىَّ قوله تعالى (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) فقد اختلفوا فيه فتحاً بالعطف على أنه استمع ، وكسراً بالعطف على إنا سمعنا .

(٧) وقد يطلق فى الفصيح على ما فوق العشرة كما ذكره غير واحد من أئمة اللغة ، وفى كلام الشعبى حدثنى بضعة عشر نفراً ، بل ولا يختص بالرجال ولا بالناس ، فقد أطلق هنا على الجن ، وقال فى المجمل الرهط والنفر يستعملان إلى الأربعين ، والفرق بينهما أن الرهط يرجعون إلى أب واحد بخلاف النفر ، وقد يطلق على القوم ، ومنه قوله تعالى (وأعز نفراً) وقال الكرمانى للنفر معنى آخر فى العرف وهو الرجل ، وقد أراد عرف اللغة .

الجن)[1] جن نصيبين[2] (فقالوا) لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبي ﷺ فى صلاة الفجر (إنا سمعنا قرآناً عجباً) عجيباً بديعاً مبايناً لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه، والعجب ما يكون خارجاً عن العادة، وهو مصدر وضع موضع

---

(١) اسم جنس جمعى واحده جنى كروم ورومىّ ، وهم أجسام عاقلة يغلب على طبعها النارية ، ولها قدرة على مالا يقدر عليه الإنسان ، قال تعالى فى عرش ملكة اليمن بلقيس (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) وقد قاله العفريت لسليمان بالشام ، وهؤلاء النفر من الجن هم الذين عناهم ابن عباس (كما جاء فى الصحيحين) بقوله ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم ، وإنما انطلق بطائفة من الصحابة لسوق عكاظ ، وقد حيل بين الجن والسماء بالشهب ، فقالوا ما ذاك إلا لشىء حدث ، فاضربوا فى مشارق الأرض ومغاربها ، فمر من ذهب لتهامة منهم به عليه الصلاة والسلام ، وهو يصلى الفجر بأصحابه بنخلة ، فلما استمعوا له قالوا هذا الذى حال بيننا وبين السماء ، ورجعوا إلى قومهم ، وقالوا يا قومنا الخ ، فأنزل الله تعالى (قل أوحى) الخ . وفى مرة أخرى صرف الله إليه نفراً من الجن وأسمعهم واستمع منهم ، وهى التى عناها الله بقوله (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) ولعلها هى التى جاءت فيما رواه أبو داود عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أتانى داعى الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن ، قال وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم الخ .

وفى شرح البيهقى عن ابن مسعود من طرق شتى أن النبى ﷺ صلى العشاء ثم انصرف فأخذ بيدى حتى أتينا مكان كذا فأجلسنى وخط على خطاً ثم قال لا تبرحن خطك ، فبينما أنا جالس إذ أتانى رجال منهم كأنهم الزط ، فذكر حديثاً طويلا وفيه أنه ﷺ ماجاءه إلا السحر ، قال وجعلت أسمع الأصوات ، ثم جاء عليه الصلاة والسلام فقلت أين كنت يارسول الله فقال أرسلت إلى الجن ، فقلت ما هذه الأصوات التى سمعت قال هى أصواتهم حين ودعونى وسلموا علىّ ، قال الآلوسى وقد دلت الأحاديث على أن وفادة الجن كانت ست مرات .

(٢) ويقال فيها نصيبون ، مدينة قاعدة لديار ربيعة والنسبة إليها نصيبى ونصيبينى .

العجيب[1] (يهدى إلى الرشد)[2] يدعو إلى الصواب أو إلى التوحيد والإيمان (فآمنا به) بالقرآن ، ولما كان الإيمان به إيماناً بالله و بوحدانيته و براءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا أحداً) من خلقه ، وجاز أن يكون الضمير فى به لله تعالى[3] لأن قوله بربنا يفسره (وأنه تعالى جَدُّ ربنا) عظمته ، يقال جد فلان فى عينى أى عظم ، ومنه قول عمر أو أنس[4] كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا ، أى عظم فى عيوننا (ما اتخذ صاحبة) زوجة (ولا ولدا) كما يقول كفار الجن والإنس (وأنه كان يقول سفيهنا) جاهلنا ، أو إبليس ، إذ ليس فوقه سفيه (على الله شططاً) كفراً لبعده عن الصواب ، من شطَّت الدار أى بعدت ، أو قولا يجوزفيه[5] عن الحق ، وهو نسبة الصاحبة والولد إليه ، والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً) قولا كذباً أى مكذوباً فيه ، أو نصب على المصدر إذ الكذب نوع من القول ، أى كان فى ظننا أن أحداً لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد إليه ، فكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه ، حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم[6] كان الرجل من العرب إذا نزل بمخوف من الأرض قال أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه ، يريد كبير الجن فقال (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم)

---

(١) الذى هو وصف .

(٢) الرشد الاستقامة على طريق الحق فى كل شىء ، فيدخل فيه العقائد والعبادات والمعاملات ، فلا ينبغى قصره على ما فسره به النسق تبعاً لأصله .

(٣) هذا وجه آخر غير ما سبق من رجْعه إلى القرآن .

(٤) هو عن عمر فقط ، وأما أنس فقد روى عنه تفسيره للجَد بالغنى ، وقد اقتصر الكشاف على عمر ولم يذكر أنسا ، وفسر أبو عبيد والأخفش الجدّ بالملك والسلطان ، قال صاحب الكشاف استعارة من الجَد الذى هو الدولة والبخت ، لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون ، والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته أو سلطانه وملكوته أو لغناه .

(٥) أى يبعد .

(٦) وهذا اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم .

أى زاد الإنسُ الجنَّ[1] باستعاذتهم بهم (رهقاً) طغياناً وسفهاً وكبراً ، بأن قالوا سدنا الجن والإنس ، أو فزاد الجنُّ الإنسَ[2] رهقاً إثماً ، لاستعاذتهم بهم ، وأصل الرهق غشيان المحظور (وأنهم) وأن الجن (ظنوا كما ظننتم) يا أهـــل مكة (أن لن يبعث الله أحداً) بعد الموت ، أى أن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم ، ثم بسماع القرآن اهتـــدوا وأقروا بالبعث ، فهلا أقررتم كما أقروا (وأنا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء ، واستماع كلام أهلها ، واللمس المس ، فاستعير للطلب[3] لأن الماسَّ طالب متعرف (فوجدناها ملئت[4] حرساً شديداً) جمعاً أقوياء من الملائكة يحرسون، جمع حارس[5] ونصب على التمييز ، وقيل الحرس اسم مطرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ، ولذا وصف بشديد ، ولو نظر إلى معناه لقيل شداداً (وشهباً) جمع شهاب أى كواكب مضيئة[6] (وأنا كنا نقعد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء ، يعنى كنا نجد بعض السماء خالياً من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع (الآن) بعد المبعث (يجد له) لنفسه (شهاباً رصداً) صفة لشهاباً ، بمعنى الراصد[7] أى يجد شهاباً راصداً له ولأجله ، أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب

---

(١) فضمير الرفع فى (فزادوهم) لرجال الإنس وضمير النصب فيـــه لرجال الجن ، وهو قول مجاهد والنخعى وجماعة .

(٢) فالضميران على العكس مما سبق .

(٣) أى استعارة لغوية لا اصطلاحية ، إذ هو مجاز مرسل لاستعماله فى لازم معناه .

(٤) جملة (ملئت) حال من ضمير السماء إن كانت وجد بمعنى صادف أو نحوها مما يتعدى لواحد ، فإن كانت من أفعال القلوب فهى مفعولها الثانى .

(٥) هذا رأى ضعيف ، والأصح أنه اسم جمع لأنه على وزن يغلب فى المفرد كبصر وقمر ، ولذا نسب إليـــه فقيل حرسى ، ولو كان جمعاً لنسب إلى المفرد فقيل حارسى ، وقد وصف بالمفرد رعاية للفظه ، ولو كان جمعاً لقيل فى وصفه شداداً .

(٦) مر الكلام فيها فى سورة الملك بصحيفة رقم ٤٥

(٧) فيكون مفرداً معنى كما هو مفرد لفظاً .

راصدين بالرجم ، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ، ويمنعونهم من الاستماع [1] والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم [2] وقيل كان الرجم فى الجاهلية ، ولكن الشياطين كانت تسترق السمع فى بعض الأوقات ، فمنعوا من الاستراق أصلا بعد مبعث النبى ﷺ (وأنا لا ندرى أشر) عذاب (أريد بمن فى الأرض) بعدم استراق السمع (أم أراد بهم ربهم رشداً) خيراً ورحمة (وأنا منا الصالحون) [3] الأبرار المتقون (ومنا) قوم (دون ذلك) فحذف الموصوف [4] وهم

---

(١) ويجوز كونه وصفاً لشهابا ، وصح وصفه وهو مفرد باسم الجمع لكونه لشدته بمنزلة الجمع ، كما وصفت المِعا وهى مفرد — بالجمع لطولها فى قول القتامى :

كأن قيود رجلى حين ضمت حوالب غُرَّزاً وَمِعاً جياعا

(٢) هذا رأى ضعيف ، ونسبته إلى الجمهور فيها نظر ، ودليل ضعفه من القرآن نفسه ، فإن قوله تعالى (ملئت حرساً) يدل كما قال الحافظ على أن الحادث هو المَلْء والكثرة ، وكذا قوله تعالى (كنا نقعد منها مقاعد للسمع) فإنه يفيد على ما فى الكشاف أنا كنا نجد فيها بعض المقاعد الخالية من الحرس والشهب ، والآن ملئت المقاعد كلها ، فمن يستمع الآن الخ ، ويدل على وجود الشهب قبل البعثة قول بشر بن أبى حازم الشاعر الجاهلى :

والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وروى الزهرى عن على بن الحسين رضى الله عنهما عن ابن عباس ، بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الأنصار إذ رمى بنجم فاستنار ، فقال ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية قالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم .

وجوز أن تكون الشهب قبل البعثة لحوادث كونية لا لمنع الشياطين أصلا والحادث بعد البعثة رمى الشياطين بها ، لكن على معنى أنهم إن صعدوا لاستراق السمع رموا بها ، وليس بلازم أن كل شهاب ينزل بعد البعثة لرمى الشياطين ، بل يجوز أن يكون لأسباب كونية يعلمها الله ، ألا ترى أن الشهب تنزل فى رمضان مع أن مردة الشياطين تصفد فيه .

(٣) المراد من الصالحين الموصوفون بصلاح الحال فى أنفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم تبعاً لفطرتهم السليمة ، وليس المراد صلاح إيمان وتقوى .

(٤) ويطرد حذف الموصوف إذا كان بعض اسم مجرور بِمِنْ مقدم عليه ، والصفة ظرف كما هنا ، أو جملة كما فى قوله . مِنَّا ظعن ومِنَّا أقام .

الله الذي رد على احتباس الغيب وامر السماء لمعه اهل الارض خير لهم أم شر ؟

المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه ، أو أرادوا غير الصالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة ، أى كنا ذوى مذاهب متفرقة ، أو أديان مختلفة[1] والقدد جمع قِدّة وهى القطعة ، من قددت السير أى قطعته (وأنا ظننا) أى أيقنا[2] (أن لن نعجز الله) لن نفوته (فى الأرض) حال ، أى لن نعجزه كائنين فى الأرض أينما كنا فيها (ولن نعجزه هرباً) مصدر فى موضع الحال ، أى ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء ، وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به) بالقرآن أو بالله (فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف[3] مبتدأ وخبر (بخساً) نقصاً من ثوابه (ولا رهقاً) أى ولا ترهقه ذلة ، من قوله . وترهقهم ذلة . وقوله . ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة[4] وفيه دليل على أن العمل ليس من الإيمان[5] (وأنا منا المسلمون) المؤمنون (ومنا القاسطون) الكافرون[6] الجائرون

---

(١) أى قبل سماعهم القرآن ، وأما بعد سماعه فسيحكى حالهم فيه بقوله تعالى (وأنا لما سمعنا الهدى) إلى قوله (وأنا منا المسلمون) .

(٢) أى الآن بعد سماع القرآن .

(٣) إنما قدر هو ، وجعل الجزاء من قبيل المبتدأ والخبر ، لأن المضارع المنفى بلا إن وقع جواب شرط فالأفصح كما فى شرح التسهيل عدم اقترانه بفاء الجزاء وإنما يقترن الجواب وجوباً بها إن كان واحداً مما ذكره الناظم فى قوله :

اسمية طلبية وبجامد   وبما وقد وبلن وبالتنفيس

ولكى تفهم الآية على الأفصح قدر ضميراً على أنه مبتدأ لتكون الجملة خبره ، وليصبح الجزاء من قبيل الجملة الاسمية التى يجب قرنها بالفاء .

(٤) وأصله مطلق الغشيان ، وقال الراغب . رهقه أى غشيه بقهر ، وفى الأساس رهقه دنا منه ، ومنه صبى مراهق أى مدانٍ للحلم ، وليس المعنى على أن غير المؤمن يبخس حقه بل المراد تأكيد ماثبت للمؤمن من صالح الجزاء كاملا ، وأما غيره فلا نصيب له .

(٥) لا تظهر الدلالة فى الآية على ماقاله ، وهذا الذى قاله النسفى تفرد به عن أصله ، ولم أطلع على مثله لسواه ، ولو تركه لكان أولى .

(٦) فسروا بالكافرين مع أن القسط الجور مطلقاً بكفر أو غيره لوقوعهم فى مقابلة المسلمين .

عن طريق الحق ، قَسَط جار . وأقسط عدل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً) طلبوا هدى ، والتحرى طلب الأحرى أى الأولى (وأما القاسطون فكانوا) فى علم الله (لجهنم حطباً) وقودا ، وفيه دليل على أن الجنى الكافر يعذب فى النار ، ويتوقف فى كيفية ثوابهم[1] (وأن) مخففة من الثقيلة ، يعنى وأنه ، وهى من جملة الموحى ، أى أوحى إلىّ أن الشأن (لو استقاموا) أى القاسطون[2] (على الطريقة) طريقة الإسلام (لأسقيناهم ماء غدقاً) كثيراً ، والمعنى لوسَّعنا عليهم الرزق[3] وذكر الماء الغدق لأنه سبب سعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خُوِّلوا منه (ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن أو التوحيد أو العبادة (يسلكه) بالياء عراقى غير أبى بكر يدخله[4] (عذاباً صعداً) شاقاً[5] مصدر صَعِد يقال صَعِد صَعَدا وصُعُودا ، فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ، ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تَصَعَّدنى شىء ما تصعدتنى[6] خُطبة النكاح ، أى ما شق علىّ (وأن المساجد لله) من جملة الموحى أى أوحى إلى أن المساجد أى البيوت المبنية للصلاة

---

(١) بل يتوقف فى أصل إثابتهم كما قال أصله الكشاف ، والراجح أنهم يثابون ، فإن الله قال « فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً » ، فالظاهر أن قوله تعالى (فمن أسلم) الخ وقوله (وأما القاسطون) ليس من كلام الجن ، بل من كلام الله تعالى استدعاها المقام ، فالآيتان تقتضى أولاهما إثابة مطيع الجن وثانيتهما تعذيب عاصيهم ، والله أعدل من أن يعاقب قاسطهم ولا يثيب مطيعهم .

(٢) أى من الإنس والجن .

(٣) فإسقاء الماء الكثير كناية عن توسيع الرزق ، وأسقاه وسقّاه مثل سقاه فى المعنى أو سقاه وسقّاه بالشفة ، وأسقاه دله على الماء .

(٤) هذا معنى تضمينى ليسلكه ولذا تعدى بنفسه ، ولولا هذا التضمين لتعدى بفى ، ويجوز أن يكون من باب الحذف والإيصال .

(٥) مقتضى قوله بعدُ إنه مصدر أن يفسره بمشقة ، ومنه فلان فى صعد من أمره ، أى فى مشقة ، ولعله فسره بما يؤول إليه أمر المعنى .

(٦) ما مصدريه .

فيها لله ؛ وقيل معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا ، على أن اللام متعلقة بلا تدعوا[1] أى (فلا تدعوا مع الله أحداً) فى المساجد لأنها خالصة لله ولعبادته ، وقيل المساجد أعضاء السجود وهى الجبهة واليدان والركبتان والقدمان (وأنه لما قام عبد الله) محمد عليه السلام إلى الصلاة ، وتقديره وأوحى إلى أنه لما قام عبد الله (يدعوه) يعبده ويقرأ القرآن ، ولم يقل نبى الله أو رسول الله لأنه من أحب الأسماء إلى النبى ﷺ، ولأنه لما كان واقعاً فى كلامه[2] ﷺ عن نفسه ، جىء به على ما يقتضيه التواضع أو لأن[3] عبادة عبد الله لله ليست بمستبعدة حتى يكونوا عليه لبدا (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) جماعات[4] جمع لبدة ، تعجباً مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به، وإعجاباً بما تلاه من القرآن ، لأنهم رأوا مالم يروا مثله (قل إنما أدعوا ربى) وحده قال[5] غير عاصم وحمزة (ولا أشرك به أحداً) فى العبادة فَلِمَ تتعجبون وتزدحمون على[6]

---

(١) هذا رأى الخليل بن أحمد ، ولا تمنع الفاء عمل ما بعدها فيما قبلها لأنها ليست فى جواب شرط محقق بل فرضى ، فكأنه قيل . ومهما يكن من تقصيركم فى توحيده خارج المساجد فلا تعبدوا فيها معه أحداً لأن المساجد لله ، فهى فى الحقيقة زائدة فلا تمنع عمل ما بعدها فيما قبلها .

(٢) أى فى قراءته للوحى الذى يتعلق بنفسه .

(٣) علة لمحذوف ، أى جىء بها لإنكار تجمعهم استغراباً للعبادة ، لأن عبادة الخ ، ولكن هذا الوجه غير مقبول ، فإن اجتماعهم كان لسماع القرآن الذى ترتبت هدايتهم عليه ، فكيف يستنكر ذلك عليهم .

(٤) شبهت بالشىء المتلبد بعضه فوق بعض ؛ وهذا يدل على أنهم كانوا كثيرين لاتسعة أو أقل على ماقيل ، وقد علمت سابقاً أن النفر قد يطلق على مافوق العشرة بل وعلى القوم كقوله تعالى (وأعز نفرا) .

(٥) أى قال إنما أدعو ربى بدل قل ، قرأ به غير عاصم وحمزة .

(٦) ليس المقصود منه ذلك بل المقصود إفهام قريش سر اجتماعهم عليه وإعجابهم به أى قل لقريش مادعوت إلا ربى ، ولا عبدت سواه ، فاجتمع الجن من أجل ذلك علىّ وآمنوا بى ، ونشروا فى قومهم دعوتى ، فَلِمَ لاتكونون مثلهم وأنتم قومى وهم أقوى منكم والدليل على أن هذا هو المراد أمره بأن يخاطب قومه بقوله (قل إنى لا أملك لكم ضراً ولا رشدا) الخ عقب هذا الكلام .

(قل إنى لا أملك لكم ضراً) مضرة (ولا رشداً) نفعاً ، وأراد بالضر الغى بدليل قراءة أُبَىّ غَيًا ولا رشـداً ، يعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم ، لأن الضار والنافع هو الله [1] (قل إنى لن يجيرنى من الله أحـد) لن يدفع عنى عذابه أحد إن عصيته ، كقول صالح عليه السلام فمن ينصرنى من الله إن عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) ملتجأ (إلا بلاغاً من الله) استثناء من لا أملك [2] أى لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغاً من الله ، وقل أنى لن يجيرنى اعتراض لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه ، وبيان عجزه [3] وقيل بلاغاً بدل [4] من ملتحدا ، أى لن أجد من دونه

---

(١) جعل الضر بمعنى الغى ، ثم فسره وفسر الرشـد بالضر والنفع ، فتراه قد عدل عما قال ، وسنورد فيما يلى عبارة أصله التى اختصرها فأخل ، وفسر رأياً فى الآية بتفسير لرأى آخر — قال الزمخشرى مفسراً (ضراً ولا رشداً) ولا نفعاً ، أو أراد بالضر الغى ويدل عليه قراءة أبىّ (غيا ولا رشدا) والمعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم إنما الضار والنافع الله ، أو لا أستطيع أن أقسركم على الغى والرشد ، إنما القادر على ذلك الله عز وجل اهـ .

فغيما ذكره رأيان فى تفسير (ضرا ولا رشداً) أحدهما يؤوّل الرشد بالنفع ليقابل الضر الذى أبقى على أصله ، وثانيهما يؤول الضر بالغى ، ليقابل الرشد الذى أبقى على أصله ، وذكر تفسير الرأيين على اللف والنشر المرتب .

وعبر فى الرأى الأول عن الرشد بالنفع ، من باب إطلاق اسم السبب على المسبب ، وعبر عن الغى بالضر فى الرأى الثانى من إطلاق اسم المسبب على السبب .

(٢) أى من مفعول لا أملك ، فإن كان المعنى لا أملك أن أضركم ولا أن أنفعكم كان الاستثناء متصلا ، على أن البلاغ مصدر بلّـغ بحذف الزائد ، أو هو على حذف مضاف ، أى إلا تبليغ بلاغ ، كأنه قيل لا أملك لكم شيئاً إلا تبليغ بلاغ ، وإن كان المعنى لا أملك أن أقسركم على الغى والرشد كان منقطعاً ، أو من باب :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *** بهن فلول من قراع الكتائب

(٣) على معنى أن الله إن أراد به سوءاً من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوى إليه اهـ من الكشاف .

(٤) لعله يقصد ما قاله غيره من أنه استثناء منقطع ، قال الرازى فى تعليل كونه استثناء منقطعاً . لأن البلاغ من الله تعالى لا يكون داخلا تحت قوله تعالى (من دونه ملتحدا) لأنه لا يكون من دون الله سبحانه بل منه جل وعلا وبإعانته وتوفيقه .

منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به ، يعنى لا ينجينى إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به
فإن ذلك ينجينى ، وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء ، و إن منفصلة من لا ،
وتقديره إن لا أبلغ بلاغاً أى إن لم أبلغ لم أجد[1] من دونه ملتجأ ولا مجيراً لى
كقولك إن لا قياماً فقعودا[2] والبلاغ فى هذه الوجوه بمعنى التبليغ[3] (ورسالاته)
عطف على بلاغاً ، كأنه قيل لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات ، أى إلا أن أبلغ
عن الله فأقول قال الله كذا ناسباً لقوله إليه وأن أبلغ[4] رسالته التى أرسلنى بها
بلا زيادة ونقصان ، ومِن ليست بصلة للتبليغ لأنه يقال بلغ عنه ، إنما هى بمنزلة مِن
فى براءة من الله ، أى بلاغاً كائناً من الله (ومن يعص الله ورسوله) فى ترك القبول
لما نزل على الرسول لأنه[5] ذكر على أثر تبليغ الرسالة (فإن له نار جهنم خالدين فيها
أبداً) وحّد فى قوله . له . وجمع فى خالدين . للفظ من ومعناه (حتى) يتعلق بمحذوف
دلت عليه الحال ، كأنه قيل لا يزالون على ماهم عليه حتى (إذا رأوا ما يوعدون)

---

(١) قوله لم أجد إلخ تقدير لجواب هذا الشرط ، وقد دل عليه ما قبله .

(٢) أى إلا تقم قياماً فاقعد قعوداً .

(٣) فهو مصدر ، ولعله سدّ مَسَدّ فعل الشرط والظاهر أن اطراد حذفه مشروط
بقاء لا كما فى قوله :

فطلقها فلست لها بكفء وإلا يعل مفرقك الحسام

مالم يسد مسده شىء من مفسر كقوله (وإن أحد من المشركين استجارك)
ومعمول كما فى قوله صلى الله عليه وسلم (والناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن
شراً فشر) ولكن هذا الوجه خلاف المتبادر من الآية .

(٤) يشير بقوله . وأن أبلغ . إلى أن عطف رسالاته على بلاغاً على تقدير مضاف ،
فكأنه قيل إلا تبليغاً عن الله وتبليغ رسالاته كما هى ، وفى الكشف تصريح بذلك المقدر ؛
واستظهر أبو حيان عطف رسالاته على لفظ الجلالة على أن المعنى إلا أن أبلغ عن الله
وعن رسالاته .

(٥) تعليل لتفسير العصيان بما ذكر ، وغرضه منه الإشـــارة إلى أن الآية لاتصلح
دليلا للمعتزلة ونحوهم على خلود العصاة فى النار .

من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب بهم (من أضعف ناصراً وأقل عدداً) أهم أم المؤمنون ؟ أى الكافر لا ناصر له يومئذ ، والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبياؤه (قل إن أدرى) ما أدرى (أقريب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربى) وبفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أمداً) غاية بعيدة[1] يعنى أنكم تعذبون قطعاً ، ولكن لا أدرى أهو حالٌ أم مؤجل ؟ (عالم الغيب) هو خبر مبتدأ ، أى هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع[2] (على غيبه أحداً) من خلقه (إلا من ارتضى من رسول) إلا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب[3] ليكون إخباره عن الغيب معجزة له ، فإنه يطلعه على غيبه ما[4] شاء ، ومن رسول بيان لمن ارتضى[5] والولى إذا أخبر بشىء فظهر[6] فهو غير جازم عليه[7] ولكنه أخبر بناء على رؤياه أو بالفراسة[8] على أن كل

---

(١) الأمد الغاية قربت أم بعدت ، وفسر هنا بالغاية البعيدة لمقابلته بالقريب .

(٢) الفاء للتفريع على اختصاص علم الغيب به تعالى المفهوم من تعريف طرفى جملة : هو عالم الغيب . وتعريف الغيب للاستغراق ، فكأنه قيل ماعلىّ إذا قلت ما أدرى أقريب ما توعدون أم بعيد ؟ فالله سبحانه هو وحده عالم كل غيب فلا يطلع أحداً على ذلك الغيب المختص كله به تعالى .

(٣) وهو ماتعلق برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول ، بأن يكون معجزة تؤيده فى دعواه الرسالة ، أو بأن يكون من أركانها وأحكامها المختلفة كعامة التكاليف الشرعية وكيفيات الأعمال وأجزيتها ، ونحو ذلك من الأمور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة .

(٤) ما نكرة موصوفة (بشاء) بدل من غيب ، والضمير الرابط محذوف ، أى ما شاءه ليكون معجزة له . وقصره الغيب على المعجزة فيه قصور ، راجع التعليق السابق

(٥) ولا يصح جعل من للتبعيض ، فإن كل الرسل مرتضون مطلعون على بعض غيبه المتعلق برسالاتهم .

(٦) أى ظهر كما قال .

(٧) الصواب غير جازمِه ، فإن جزم بمعنى قطع يتعدى بنفسه ، أما التى تتعدى بعلى فهى بمعنى سكت كما فى القاموس .

(٨) ومثل هذا لايعد إظهاراً وإطلاعا ، فإن الإظهار يعطى الجزم واليقين ، وقد أراد الشيخ بذلك أن يرد على أصله وجماعة المعتزلة الذين نفوا كرامة الأولياء ، محتجين بالآية التى خصصت علم بعض الغيوب بالمرسلين .

كرامة لولى فهى معجزة للرسول[1] وذكر فى التأويلات . قال بعضهم فى هذه الآية دلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك ، فإن فيهم من يصدق خبره[2] وكذلك المتطببة يعرفون طبائع النبات ، وذا لا يعرف بالتأمل ، فعلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره و بقى علمه فى الخلق[3] (فإنه يسلك) يدخل (من بين يديه) يدى الرسول (ومن خلفه رصدا)[4] حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين و يعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلِّغ الوحى (ليعلم)[5] الله (أن قد أبلغوا) أى الرسل[6] (رسالات ربهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان إلى المرسل إليهم[7] أى

---

(١) الأولى حذفه إذ لادخل له فى الرد على المعتزلة .

(٢) الواقع أن معرفة المنجمين لبعض الغيوب ليست من باب علم الغيب ، بل هى مبنية على ضوابط وقواعد فلكية يمكن تعاطيها فلا تتعارض مع الآية حتى يكذب المنجمون جميعاً ولو صدقوا ، وإن مثل تعلم قواعد التنجيم كمثل تعلم قواعد الجبر مثلا فيستطيع من تعلمها حل مسائله المختلفة ولا تعد معرفته حلول المسائل من باب علم الغيب .

(٣) ليس ذلك بلازم فإن تلك المعرفة تأتى من التجربة والمجازفة والتخمين والمصادفة وليس هذا بأعظم من كشف الكهرباء ومنافعها الذى جاء عن طريق المصادفة ولم يأت عن طريق رسول .

(٤) اسم جمع ، وقيل جمع راصد ، أى يحوطه بالملائكة الراصدين ليحفظوه من تخاليط الشياطين ، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال (ما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم آية من القرآن إلا ومعها أربعة من الملائكة يحفظونها حتى يؤدوها إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قرأ عالم الغيب الآية) وورد غير ذلك .

(٥) اللام متعلق بيسلك غاية له .

(٦) الضمير يعود على من ارتضى من رسول وهو جمع فى المعنى ، وأن مخففة الثقيلة واسمها ضمير الشأن ، وجملة قد أبلغوا الخ فى محل رفع خبرها ، ورسالات ربهم هى الغيب الذى أريد إظهار المرتضى عليه .

(٧) بعد ما أبلغها الراصد إليهم ، أو ليعلم المرتضى أن قد أبلغ الرصد رسالات ربهم إليه كما هى من غير تلبيس من الشياطين ، وفيها احتمالات أخرى وما قلناه وما ذكره النسق أولاها .

ليعلم الله ذلك موجوداً حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد ، وَحّد الضمير فى . مِن بين يديه . للفظ من ، وجمع فى . أبلغوا . لمعناه (وأحاط) الله (بما لديهم) بما عند الرسل من العلم[1] (وأحصى كل شىء عددا) من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار ، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه .

وعدداً حال أى وعلم كل شىء محصورا ، أو مصدر فى معنى إحصاء ، والله أعلم .

---

(١) قوله تعالى وأحاط إلخ جملة حالية من فاعل يسلك بإضمار قد أو بدونه على الخلاف فى ذلك ، جىء بها لبيان أنهم يبلغون الوحى للرسل فى رقابة من علم الله وإحاطة منه بما عندهم فلا يزيدون فيه ولا ينقصون ، لاسهواً ولا عمداً ، وقد قيلت هنا آراء لا تخلو عن تكلف وفقدان للروابط ، وما قلناه أوضح وأنفع .

سورة المزمل صلى الله عليه وسلم

مكية ، وهى تسع عشرة آية بصرى وثمان عشرة شامى

بسم الله الرحمن الرحيم

(يأيها المزمل) أى المتزمل ، وهو الذى تزمل فى ثيابه ، أى تلفف بها ، بإدغام التاء فى الزاى[1] وكان النبى ﷺ نائماً بالليل متزملا فى ثيابه[2] فأمر بالقيام للصلاة

سورة المزمل

مسوقة كالتى قبلها لإبراز شرفه صلى الله عليه وسلم وشرف دعوته ، فسورة الجن أبانت قوة دعوته وعظم شخصيته الدينية ، وأن الجن آمنوا به من أجل ذلك ، وسورة المزمل تحدثت عن أهليته لدعوة ثقيلة لا يقدر عليها سواه ، وفيها دعوة من الله للنبى صلى الله عليه وسلم . بأسلوب البر والتقريب والملاطفة . إلى أن يُعِدَّ نفسه بالعبادة لتحمل أعبائها ، وسورة الجن فيها وعيد الكافرين ، وكذلك سورة المزمل ، إلى غير ذلك من المناسبات .

(١) لكن بعد ما أبدلت التاء زايا وسكنت .

(٢) كان متزملا أى متلففاً فى قطيفة (كما جاء فى بعض الروايات) خالى الذهن مما يهمه ، فأمر بترك ذلك التلفف ، والتشمير عن ساعد الجد فى عبادة ربه ليلا ، ليشحذ نفسه روحانية وفيوضاً ربانيه ، فيستطيع أن ينهض بالعبء الذى ينتظره ، وهو تبليغ رسالة عامة شاملة .

وفى البخارى فى « التعبير » عن عائشة (أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه (وهو التعبد) الليالىَ ذواتِ العدد ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ، فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فيه ، فقال اقرأ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى =

بقوله (قم الليل إلا قليلا * نصفه) بدل من الليل[١] وإلا قليلا استثناء من قوله نصفه[٢] تقديره قم نصف الليل إلا قليلا من نصف الليل (أو انقص منه) من النصف بضم الواو[٣] غير عاصم وحمزة (قليلا) إلى الثلث (أو زد عليه) على النصف إلى الثلثين ، والمراد التخيير[٤] بين أمرين ، بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت[٥] وبين أن يختار[٦] أحد الأمرين ، وهما النقصان من النصف ، والزيادة عليه[٧] وإن

= فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ إلى قوله (مالم يعلم) فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال ، زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع) الحديث

وقد نزلت بعد ذلك سورة المدثر وعلى أثرها سورة المزمل وقيل العكس ، وسبب ندائه بالمزمل تارة وبالمدثر أخرى كما يرى الجمهور هو تزمله هذا ملاطفة من الله تعالى له وإيناساً ، كقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه (قم يا أبا تراب) حين غاضب فاطمة رضى الله عنها ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد لصق جنبه بالتراب ، ملاطفة له ، وإيذاناً بأنه غير عاتب عليه ، وفى سبب ندائه بذلك آراء أخرى وحسبك ماقرأت.

(١) يعنى أن نصفه بدل من الليل الذى هو ظرف بدل بعض من كل .

(٢) لكن على نية تقديم نصفه لأنه مستثنى منه ، ونية تأخير إلا قليلا عنه لأنه مستثنى .

(٣) فى أو . (٤) وقد استفيد هذا التخيير من قوله أو انقص ، فأو فيه للتخيير .

(٥) وقد استفيد هذا من قوله تعالى (قم الليل إلا قليلا نصفه) فهو على معنى قم نصف الليل إلا قليلا ، ومعنى كونه على البت ألا يعدل عن هذا النصف إلا قليلا بحيث يكون هذا طريقة مستمرة له لا يجاوزها إلى سواها .

(٦) وقد استفيد هذا التخيير من أو فى قوله (أو زد عليه) فهى لأحد الأمرين ، فإن شاء قام أقل من النصف ، وإن شاء قام أكثر منه .

(٧) هذا رأى ضعيف من وجوه — أحدها — أن الظاهر كون قليلا مستثنى من الليل ، فجعله مستثنى من النصف المتأخر عنه مخالف للظاهر دون مبرر يقتضيه — ثانيها — تقديم المستثنى وهو قليلا على المستثنى منه وهو نصفه ، وهذا مخالف للقواعد ، فلا ينبغى حمل القرآن عليه ، ولايكفى أن يقال إن المستثنى منه على نية التقديم على المستثنى ، كما أنه لا ضرورة لعكس الوضع ، إذ كان يمكن أن يقال قم الليل نصفه إلا قليلا (ثالثها) أن النصف أهدر فلمَ يدخل فى التخيير ، فلمَ أهدر ؟ وإذا كان لم يعتبر فى التخيير ، فما وجه ذكره فى الآية ؟ على أن النصف فى الواقع كان من جملة ما خير الرسول فى قيامه ، ويدل على ذلك ما ورد آخر هذه السورة حاكياً لطريقة امتثال الرسول صلى الله عليه وسلم (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) .

جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيراً بين ثلاثة أشياء ، بين قيام نصف الليل تاماً ، وبين قيام الناقص منه ، وبين قيام الزائد عليه[1] وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل[2] وإلا فإطلاق لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف ، ولهذا قلنا إذا أقر أن لفلان عليه ألف درهم إلا قليلا أنه يلزمه أكثر من نصف الألف[3]

---

(١) أورد أبو السعود عليه ما خلاصته أن القليل الذى استثنى من الليل القام يكون خالياً عن العبادة ، فإذا أبدلت نصفه من قليلا فقد أبدلته من النصف الخالى عن العبادة المعبر عنه بقليلا لخلوه عن بركة العبادة ، مع أن الإبدال ينبىء عن الاعتناء ، فكيف يعتنى بالنصف الخالى عن العبادة فيبدل منه مع أنه حُقِّر فوصف بالقلة ، وأُورد عليه أيضاً أن الضمير فى انقص منه . وفى أوزد عليه . يعود على هذا النصف الخالى عن العبادة ، مع أن نقص القيام وزيادته ينبغى اعتبارهما بالنسبة إلى النصف المقام ، لا النصف الخالى عن القيام .

(٢) هذا ضعيف ، فإن البليغ لا يطلق لفظ القليل على النصف لاجل كونه فى مقابلة الكل ، لخلوه عن الفائدة مع مخالفته الظاهر ، نعم قال بعضهم إن إطلاق القليل على النصف المخرج لأجل خلوه عن العبادة ، فكان غير مبارك فيه كأنه دون النصف ، بخلاف النصف الآخر لكونه بورك فيه بالعبادة فكأنه أكثر من النصف ، لكن هذا القليل لايشفى الغليل.

(٣) هذا يرجح عدم إطلاق القليل على النصف ، فكيف استساغه قائله .

واعلم أن أبا السعود رأى أن قليلا مستثنى من الليل المتقدم عليه ولم يجعله مستثنى من نصفه المتأخر عنه فخالف بذلك الوجه الذى جعله فيه النسفى مستثنى من نصفه المتأخر عنه ووجه إليه الاعتراضات السابقة فى رقم (١) ورأى أن نصفه بدل من الليل بعد الاستثناء ، بدل كل من كل ، لأن المراد من القليل النصف الخالى عن العبادة ، وجُعل قليلا لقلة بركته بخلوه عن العبادة ، فباستثنائه من الليل يبقى نصفه للقيام ، فيكون إبدال نصفه منه بعد ملاحظة الاستثناء إبدال كل من كل ، ورأى أن هذا خير الآراء ، وأن فيه الإيذان بأن النصف المقام كأنه أكثر من النصف لوجود العبادة فيه ، وأن القائم يعطى أجراً على العمل فيه أكثر مما يستحقه القيام فى النصف — وفيه التخيير بين قيام نصف الليل وأكثر منه وأقل منه كالوجه الذى ذكره النسفى مع سلامته من الاعتراضات التى وجهها إليه — أقول وهذا يتفق وماجاء آخر السورة (إن ربك يعلم أنك تقوم) الآية ، ولكن يرد عليه أنه لا يستساغ إطلاق القليل على النصف غير المقام مهما قيل فيه ، وأن الليل بعد استثناء القليل منه الذى هو كناية عن النصف أصبح نصفاً ، فإذا جعلت نصفه بدلا منه فضميره عائد على الليل الذى أريد منه النصف ، فيصبح معناه مع ما قبله قم نصف النصف ، فلا يتأتى أن يكون بدل كل من كل طالما أن الضمير يعود على الليل بملاحظة الاستثناء لأنه بملاحظته أصبح نصفاً فيكون مأموراً بقيام الربع ، وهذا غير الذى أراده الشيخ .

(ورتل القرآن) بيّن وفصّل ، من الثغر المرتل[1] أى المفلّج الأسنان ، وكلام رَتِلٌ بالتحريك[2] أى مرتل[3] وثغر رَتِلٌ أيضاً ، إذا كان مستوى البنيان[4] أو اقرأ على تؤدة بتبيين الحروف ، وحفظ الوقوف ، وإشباع الحركات (ترتيلا) هو تأكيد فى

وفى الآية أقوال كثيرة كلها تكلف وحمل للقرآن الذى هو مثال أعلى للبلاغة على معان لايقصد إليها حتى العربى العادى ، وجنوح بالإعجاز إلى الإلغاز .

(المعنى الذى أرتضيه)

أرى أن ال فى الليل لاستغراق الليالى وأن المعنى قم الليالى إلا قليلا منها ، بأن يقوم فى الأسبوع مثلا أربع ليال أو خمساً ، ويستريح الباقى ، والتخيير واقع فى الليالى التى يقوم فيها بين أن يقوم نصف الليلة التى يقومها أو أنقص منه أو أزيد .

ولا يرتكب فى الآية إلا شىء يسير يرتكبه البليغ ، وهو الاستخدام بأن يراد من الليل الليالى كلها على أن . ال . فيه استغراقية ، ثم يراد منه جنس الليل المقام عند إعادة ضمير نصفه وما بعده إليه من غير نظر إلى استغراق ليتناول كل ليلة ليلة يقومها ، فيكون مخيراً فى كل ليلة يقومها بين أن يقوم نصفها أو أنقص منه أو أكثر منه ، فكأنه قيل قم الليالى إلا قليلا منها تستريح فيه واجعل قيامك فيما تقوم فيه نصف الليلة أو أنقص منه أو أزيد حسب اختيارك ، بل إن الاستخدام لايكاد يحس به ، لأن المعنى الثانى للّيل لم يبعد عن الأول كثيراً .

وهذا التأويل لم تتعد فيه كلمة ما وضعت له مع التمشى وفق ترتيب الآية وظاهرها ، ومع موافقته لواقع الحال من فعله صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم) الآية ، فاحرص عليه ولا تبغ به بديلا .

(١) أى الترتيل بمعنى التبيين والتفصيل مأخوذ من قولهم ثغر مرتّل بمعنى مُفلج الأسنان ، أى مفصلها ومفرقها .

(٢) أى بتحريك التاء بالكسر ويجوز إسكانها .

(٣) حقه أن يقول أى مفصل لأنه بصدد ذكر شاهد يدل على أن الترتيل فى الكلام بمعنى التفصيل فيه ، على أنه لو كان هذا المعنى أصلياً فى الكلام لما كان هناك داع للحمل على معنى الترتيل فى الثغر أى التفصيل فيه ، ولم أر مفسراً جعله أصلياً فى الكلام فالأولى حذف قوله وكلام رتل .

(٤) هذا معنى آخر لترتيل الأسنان غير تفليجها ، وهو الاستواء ، يعنى أن ترتيل القرآن إما بمعنى تفصيله حملا على ترتيل الأسنان بمعنى تفليجها وتفصيلها ، وإما بمعنى استوائه وضبطه قراءة . حملا على ترتيل الأسنان بمعنى استواء بنيانها .

إيجاب الأمر به وأنه لا بد منه للقارىء (إنا سنلقى عليك) سننزل عليك (قولا ثقيلا) أى القرآن[1] لما فيه من الأوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين ، أو ثقيلا على المنافقين[2] أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف[3] (إن ناشئة الليل) بالهمزة سوى ورش[4] قيام الليل عن ابن مسعود رضى الله عنه ، فهو مصدر من نشأ إذا قام ونهض . على فاعلة كالعافية[5] أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث[6] أو ساعات الليل[7] لأنها تنشأ[8] ساعة فساعة . وكان

والحق أن كلامه على مابذلنا من جهد فى توجيهه لايخلو عن غموض وتفكك ، وكلام أصله خير من كلامه وأوضح بياناً فقد قال : ترتيل القرآن قراءته على تَرَسُّل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجىء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان (يعنى البابونج) وألا يَهُذه هذًا (أى لايسرع به إسراعاً) ولا يسرده سرداً .

(١) قوله (إنا سنلقى) الآية قيل إنه اعتراض بين المعلول وهو التكليف بقيام الليل وبين علته وهى قوله تعالى (إن ناشئة الليل) الآية لتيسير التكليف بقيام الليل ، كأنه قيل سنكلفك بتكاليف أصعب من القيام فلا تستصعبه ، وتمرن به لما بعده . وأرى أنها علة أولى للتكليف بالقيام وحكمة له ، ففيها بيان السر فى التكليف بالقيام وبالعبادة فى الليل وهو أنه سيكون رسولا ثقيل التكاليف ، ومَنْ أمره صائر لذلك وجب أن يشحذ روحه قوة ، ونفسه صلة بالله تعالى لتنهض بالعبء الروحانى والجسدانى المنتظر ، ولا ريب أن عبادة نصف الليل أو أقل منه أو أكثر تقوى النفس وتعينها على تحمل عبء الدعوة ، وقوله (إن ناشئة الليل) علة أخرى لذلك ، وسنعرض لشرح عليتها فى مكانه .

(٢) إما لأنه يكشف خبائثهم ، أو لكونه لايوافق ماعليه نفوسهم ، أو لكونه يشدد الوعيد عليهم ، ويأباه أن السورة مكية ولم يكن النفاق بمكة موجوداً .

(٣) الخفيف تفسير للسفاف .

(٤) فإنه يقرأ ناشية بالياء .

(٥) مصدر عافاك الله كالمعافاة ، فالمعنى عليه . إن قيام الليل والنهوض فيه للعبادة .

(٦) وهى على هذا صفة وليست مصدراً ، فهى بمعنى حادثة من نشأ بمعنى حدث ، على أنها وصف للعبادة .

(٧) فناشئة وصف لساعات الليل لا للعبادة . (٨) أى تحدث .

زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ويقول هذه ناشئة الليل[1] (هى أشد وطاء) وِفاقاً[2] شامى وأبو عمرو، أى يواطىء فيها قلب القائم لسانه[3] وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق، غيرهما وَطْأً، أى أثقل على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته[4] من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلاً) وأشد مقالا وأثبت قراءة[5] لهدوء الأصوات وانقطاع الحركات (إن لك فى النهار سبحاً طويلا[6]) تصرفاً وتقلباً فى مهماتك وشواغلك، ففرغ نفسك فى الليل لعبادة ربك[7] أو فراغاً[8] طويلا لنومك وراحتك (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره فى الليل والنهار، وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وتبتل إليه) انقطع إلى عبادته عن كل شىء، والتبتل الانقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره[9] وقيل رفض

(١) فهى على هذا وصف للعبادة، هذا وقد جعلها بعضهم وصفاً للنفس، على أنها من نشأ بمعنى نهض، أى إن النفس التى تنشأ من مضجعها للعبادة أى تنهض.

(٢) يعنى أن وِطاءً بمعنى وفاقاً، مصدر وافق، وقرأ وطاءً شامى وأبو عمرو.

(٣) أى يوافق فيها قلبُه لسانه، فقد أورثته الإخلاص وصفاء الروح.

(٤) إن كانت بهذا المعنى لاتصلح أن تكون علة للتكليف بقيام الليل، لأنه يشبه تعليل الشىء بما يزهد فيه، فإن قولك قم فى الليل لأن القيام ثقيل بمنزلة قولك أنفق فإن الإنفاق صعب على النفس، فالأولى أن يكون المعنى ـ إن النفس الناهضة للعبادة فى الليل هى أشد ثبات قدم فى الدعوة إلى الله من غير الناهضة، فشدة الوطء مجاز عن لازمه وهو ثبات القدم.

(٥) الأولى أن يكون معناه وأعدل قولا، فإن عبادة الله فى الليل تهذب النفس وتبعثها على القول المستقيم المعتدل الذى لاعوج فيه ولا زيغ عما يليق بالحال، فإنَّ قام لايكون بمعنى اشتد. بل بمعنى اعتدل واستقام.

(٦) تعليل ثالث للتكليف بقيام الليل.

(٧) وأصل السَّبْح المَرُّ السريع فى الماء، فاستعير للذهاب مطلقاً كما قال الراغب

(٨) هذا معنى لغوى ثان لسَبْحاً.

(٩) ولاينافى هذا الأخذ بأسباب المعاش مع اعتقاد أن الله هو الذى ربط المسببات بها.

الدنيا [1] وما فيها والتماس ماعند الله (تبتيلا) فى اختلاف المصـدر [2] زيادة تأكيد أى بتّلك الله فتبتل تبتيلا [3] أو جىء به مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) بالرفع ، أى هورب ، أو مبتدأ خبره (لا إله إلا هو) و بالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من ربك ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم بإضمار حرف القسم نحو الله لأفعلن [4] وجوابه [5] لا إله إلا هو ، كقوله والله لا أحد فى الدار إلا زيد [6] (فاتخذه وكيلا) وليا وكفيلا بما وعدك من النصر ، أى إذا علمت أنه ملك المشرق والمغرب وأن لا إله إلا هو فاتخذه كافياً لأمورك ، وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد أن عرفت فى تفويض الأمور إلى الواحد القهار ، إذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الإقرار (واصـبر على ما يقولون) فىّ من الصاحبة والولد ، وفيك من السـاحر والشاعر (واهجرهم هجراً جميلا) جانبهم بقلبك ، وخالفهم مع حسن المحافظة [7] وترك المكافأة وقيل هو منسـوخ

---

(١) لعله يقصـد الزهد فيها وعدم التهافت عليها ، والاكتفاء بالقليل منها ، وهو الذى كان من حاله صلى الله عليه وسلم .

(٢) أى اختلافه عن الفعل السابق الذى هو تبتل فإن مصدره التـبتـُّـل ، وهو مطاوع بتّـله الذى مصدره التبتيل .

(٣) قوله زيادة تأكيد وما بعده غير مفهوم ، وقد خالف هنا أصله وابتكر فأعجم ولم يفهم ، وعبارة أصله فإن قلت كيف قيل ، تبتيلا ، مكان تبتلا قلت لأن معنى تبتّل بتّـل نفسك ، فجىء به على معناه رعاية للفواصل !! اهـ يقصد أن المقـام يقتضى تبتلا رعاية لتبتل إذ هو مصدره ، ولـكن قيـل تبتيلا نظراً لمعنى تبتل إذ هو فى قوة بتّـل نفسك ، وبتّـل مصدره التبتيل كما هنا ، وحسّـن رعاية معنى الفعل دون لفظه موافقة الفواصل ، والتبتل الانقطاع ومنه البتول للمنقطعة عن الرجال ، والبتْـل والتبتيل القطع

(٤) بجر لفظ الجلالة على نية حرف القسم .

(٥) أى وجواب رب المشرق على أنه مقسم به .

(٦) فجملة لاأحد الخ جواب القسم الذى ذُكِرَ حرفُه .

(٧) المحافظة الدفاع عن المحارم كما فى القاموس .

بآية القتال (وذرنى) أى وكلهم إلىَّ فأنا كافيهم[1] (والمكذبين) رؤساء قريش مفعول معه أو عطف على ذرنى أى دعنى وإياهم (أولى النَّعمة) التنعم ، وبالكسر الإنعام ، وبالضم المسرة[2] (ومهلهم) إمهالا[3] (قليلا) إلى يوم بدر ، أو إلى يوم القيامة (إن لدينا) للكافرين فى الآخرة (أنكالا) قيوداً ثقالا جمع نِكْل[4] (وجحيما) ناراً محرقة (وطعاماً ذا غصة) أى الذى ينشَب فى الحلوق فلا ينساغ[5] يعنى الضريع والزقوم[6] (وعذاباً أليما) يخلص وجعه إلى القلب[7] وروى أنه ﷺ[8] قرأ هذه الآية فصَعِق ، وعن الحسن أنه أمسى صائماً فأتى بطعام فعَرضت له هذه الآية فقال ارفعه ، ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه ، وكذلك الليلة الثالثة ، فأخبر ثابت البُنانى وغيره (فجاءوا) فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق[9] (يوم) منصوب بما فى لدينا من معنى الفعل[10] أى استقر للكفار

---

(١) أى كاف فى الانتقام منهم .

(٢) يقصد كسر نون النعمة وضمها .

(٣) فقليلا نعت لإمهالا فيكون مفعولا مطلقاً ، ويجوز كون الأصل وقتاً طويلا فيكون مفعولا فيه .

(٤) بكسر النون وفتحها .

(٥) فلا يُبتلع ، وهذا تفسير للطعام ذى الغصة .

(٦) الضريع نبت بالبادية يسمى الشِّبرق لا تقربه دابة لخبثه . والزقوم نبت له زهر ياسمينى الشكل . والمراد منه هنا شجرة تخرج فى أصل الجحيم .

(٧) العذاب الأليم المؤلم ، وأما وصول ألمه إلى القلب فليس من لوازم معناه ، فالأولى حذفه .

(٨) أخرج أحمد فى الزهد ، وابن أبى داود فى الشريعة ، والبيهقى فى الشعب ، وغيرهم من طريق حمران بن أعين عن أبى حرب بن الأسود أن النبى ﷺ سمع رجلا يقرأ إن لدينا أنكالا فلما بلغ أليماً صعق أى غشى عليه .

(٩) هو دقيق الشعير ونحوه ، يهيأ بطريقة خاصة . مثل السوبيا

(١٠) يعنى أنه منصوب بما نصب لدينا من فعل الاستقرار العام المقدر قبل لدينا الناصب له ، وقيل إنه متعلق بمحذوف صفة أخرى لعذابا ، أى عذاباً كائناً يوم ترجف ، والرجفة لما كانت مقدمة لليوم الآخر جعلت كأنها فيه .

لدينا كذا وكذا يوم (ترجف الأرض والجبال) أى تتحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كثيباً) رملا مجتمعاً ، من كثَبَ الشىء إذا جمعه ، كأنه فعيل بمعنى مفعول[1] (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه (إنا أرسلنا إليكم) يـأُهل مكة (رسولا) يعنى محمداً عليه السلام (شاهداً عليكم) ، يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) أى ذلك الرسول، إذ النكرة إذا أعيدت معرفة كان الثانى عين الأول[2] (فأخذناه أخذاً وبيلا) شديداً غليظاً ، وإنما خص موسى وفرعون لأن خبرهما كان منتشراً بين أهل مكة ، لأنهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون إن كفرتم يوماً) هو مفعول تتقون ، أى كيف تتقون عذاب يوم كذا إن كفرتم[3] أو ظرف[4] أى فكيف لكم التقوى فى يوم القيامة إن كفرتم فى الدنيا ، أو منصوب بكفرتم على تأويل[5] جحدتم ، أى كيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء ، لأن تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوما والعائد محذوف[6] أى فيه (شيباً) من هوله وشدته ، وذلك حين يقال لآدم

---

(١) إنما قال كأنه فعيل إلخ بلفظ كأن ولم يقطع بأنه فعيل بمعنى مفعـول ، لأنه اسم جامد صادف هذا الوزن من المادة ، أى متناثراً حول مكانه نظراً لاضطراب الأرض ، مفعول من هالَ الرملَ يهيله هَيْلاً ، نثره ، والظاهر أن كل الجبال عندما تدك ينساب بعضها على بعض فى غير نظام فتصبح كلها كثيباً مهيلا وحداً ، و يجوز أن كل جبل يكون كثيباً مهيلا .

(٢) فإن أعيدت نكرة كانت الثانيـة غير الأولى .

(٣) يقصد أن يوماً مفعول به لتتقون ، وأنه على حذف مضاف ، أى عذاب يوم ، وأن قوله : إن كفرتم شرط معترض بين الفعل ومفعوله ، وقوله عذاب يوم كذا ، أى عذاب يوم يجعل الولدان شيبا إلخ ، وقد أدمج هـذا كله فى كلامه المختصر الوافى ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، أى فكيف تتقون إلخ .

(٤) أى ظرف لتتقون فيكون مفعولا فيه لا به ، وهذا مرجوح لعدم ملاءمته للمقام .

(٥) أى على تضمين جحدتم ، فإنه من غير تضمين لا ينصب مفعولا به .

(٦) إنما قال والعائد محذوف لأنه جعل ضمير يجعل عائداً على الله تعالى على الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، أما لو جعله عائداً إلى اليوم على الإسناد المجازى فإنه لا يحتاج إلى تقدير العائد .

عليه السلام قم فابعث بَعْث[1] النار من ذريتك[2] وهو جمع أشيب ، وقيل هو على التمثيل للتهويل ، يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضاً ، أى السماء على عظمها و إحكامها تنفطر به أى تنشق ، فما ظنك بغيرها من الخلائق ، والتذكير على تأويل السماء بالسقف ، أو السماء شيء منفطر[3] وقوله به أى بيوم القيامة ، يعنى أنها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به[4] (كان وعده) المصدر مضاف إلى المفعول وهو اليوم أو إلى الفاعل وهو الله عز وجل (مفعولا) كائناً (إن هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى)[5] أقل، فاستعير الأدنى وهو الأقرب للأقل[6]

---

(١) بتسكين عين بعث وقد تفتح .

(٢) وذلك كما أخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود « حين يقول الله عز وجل لآدم قم فأخرج من ذريتك بعث النار فيقول يارب لا علم لى إلا ما علمتنى فيقول الله عز وجل أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فيخرجون ويساقون إلى النار سوقاً مقرنين زرقاً كالحين ، قال ابن مسعود فإذا خرج بعث النار شاب كل وليد » وقيل إن هـذا مثل فى الهول وإن لم يكن هناك شيب ، فإنهم يقولون فى اليوم الشديد إنه يوم يشيب نواصى الأطفال كما قال النسفى .

(٣) أى أو التذكير على أن منفطر صفة لمذكر محذوف تقديره شيء — وعن الفراء أن السماء يذكر ويؤنث ، فجاء منفطر على التذكير ، ومنه قول الشاعر :

فلو رفع السماءُ إليه قوماً ... لحقنا بالسماء وبالسحاب

وعلى هذا لا حاجة للتأويل .

(٤) أى ينشق بما يشق به ، يشير بهذا إلى أن الباء للآلة .

(٥) صفة لمحذوف ، أى زماناً أدنى ، وهو اسم تفضيل من دنا الشيء إذا قرب .

(٦) هذا والتعليل الذى بعده قالهما الكشاف ، ولعله يرى أن الأدنى أى الأقرب يستعمل حقيقة فى المكان ، فإذا استعمل فى الزمان كما هنا فالمراد منه الأقل ، فإنه يستعمل فى الزمان والمكان وغيرهما ، والذى أراه أن تفسير أدنى بأقل غير محدد لمعنى المراد =

لأن المســـافة[1] بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز ، وإذا بعدت كثر ذلك (من ثلثى الليل) بضم اللام سوى هشام (ونصفه وثلثه) منصوبان عطف على أدنى مكى وكوفى ، ومن جرهما عطف على ثلثى[2] (وطائفة) عطف على الضمير فى تقوم ، وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل (من الذين معك) أى ويقوم

= فإن أقل من الثلثين يصدق على الثمن والربع والثلث والنصف وغير ذلك ، فى حين أن المراد زمان مشارف للثلثين ، فلابد من تفسيره بالأقرب كيلا يدخل فيه ما ذكر ، واستعمال القرب فى الزمان كثير كقوله تعالى (اقتربت الساعة) (أقريب ما توعدون) فإن صح أن الدنو والقرب يستعملان على الحقيقة فى الأمكنة دون الأزمنة ، فليكن استعماله فى الزمان بتشبيه بالمكان ، ويبقى الدنو على حقيقته .

(١) يريد أن علة استعارة الأقرب للأقل هى أن القرب من حيث هو فى أى شىء يستلزم القلة ، فإن أطلق الأقرب على الأقل فقد أطلق اسم الملزوم على اللازم ، وقد بين ذلك الاستلزام بأن المسافة المكانية بين الشيئين إذا قربت قل عـدد الأحياز المكانية الاعتبارية بينهما ، فها هو ذا القرب قد استلزم القلة ، فمن الممكن استعارة الأقرب للأقل لأنه لازمه ، وأما قوله وإذا بعدت ففيه استلزام الضد للضد أتى به توسعاً وتأكيداً للأول .

(٢) أفادت قراءة مكى وكوفى بنصب نصفه وثلثه أن النبى ﷺ كان يقوم لصلاة الليل زماناً أقرب من ثلثى الليل تارة ، ويقوم نصفه تارة ، ويقوم ثلثه تارة أخرى ـ وأفادت قراءة نافع وغيره بجر نصفه وثلثه عطفاً على ثلثى أن أدنى فى حكم المضافة إليهما ، وذلك يفيد أن الرسول ﷺ كان يقوم تارة أقل من النصف وتارة أقل من الثلث ، وذلك يخالف القراءة الأولى المفيدة أنه كان يقوم النصف تاماً والثلث كذلك ، وظاهر ذلك تعارض القراءتين .

والواقع أن لا تعارض ، فمن صلى أقرب من النصف صدق عليه عرفاً أنه صلى النصف واللغويون لا يمانعون فى هـذا الإطلاق مجازاً ، وصدق عليه حقيقة أنه صلى أدنى من النصف ، ومن صلى أقرب من الثلث صـدق عليه عرفاً وكذا لغة مجازاً أنه صلى ثلثاً وصدق عليه حقيقة أنه صلى أدنى من الثلث .

على أن قيام الرسول الليل كان اجتهادياً ، إذ لم يكن معه ميقات يضبط به نسبة ما قامه إلى الليل ، ويدل له قوله تعالى (والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه) فممكن أنه كان يقوم أدنى من ثلثى الليل ، ويقوم أدنى من ثلثه ، ويقوم زماناً بين هذين كان يصل إلى النصف تارة ويزيد عليه تارة ، وينقص عنه تارة أخرى ، فكل تعبير فى هذه الحدود يتفق مع واقعة حال .

ذلك المقدار جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) أى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما إلا الله وحده[1] وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً عليه يقدر هو الدال على أنه مختص بالتقدير، ثم إنهم قاموا[2] حتى انتفخت أقدامهم فنزل (علم أن لن تحصوه)[3] لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدة ومشقة[4] وفى ذلك حرج (فتاب عليكم) تخفف عليكم وأسقط عنكم

---

(١) يقصد أن قوله تعالى (والله يقدر الليل والنهار) يفيد قصر تقدير ساعاتهما ونسبة بعضها إلى الكل على الله تعالى ، وقد استفيد هذا القصر من جعل اسم الجلالة مبتدأ بدل جعله فاعلا ، وحمل يقدر متأخراً عليه ، فقوله وتقديم إلخ لبيان سبب القصر .

(٢) قيل إنهم قاموا لفرضية قيام الليل عليهم كما فرض على الرسول ﷺ لقوله تعالى (فتاب عليكم) أى رفع عنكم الحرمة فى تركه ، ولا يكون ذلك إلا فى مفروض على الجميع وليس الجمع فى عليكم للتعظيم حتى يقال إن القيام كان فرضاً على الرسول خاصة ، بدليل قوله فى تعليل رفع الحرج (علم أن سيكون منكم مرضى) إلخ و (من) فى قوله (وطائفة من الذين معك) ليست للتبعيض على هذا الوجه ، بل بيانية ، وخصوص الخطاب للرسول لا يمنع عموم التكليف ، إذ لا وجه لخصوص الرسول بهذا التكليف .

وقيل أنه فرض على الرسول خاصة لخصوص الخطاب ، وأما من قام مع الرسول فقد قام لقيام الرسول حباً فى مشاركته فيما طاب منه . ولم يقم تكليفاً ، ومِنْ فى قوله تعالى (وطائفة من الذين معك) للتبعيض ، وإنما كلف به الرسول خاصة ليتقوى على ما أمر بتبليغه لقوله تعالى (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) .

وقيل إنه كان نافلة على الرسول لقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) وهذا رأى مرجوح لقوله تعالى (فتاب عليكم) أي رفع عنكم الإثم بالترك ، ولا يكون ذلك إلا فى فرض ، ومعنى نافلة فريضة زائدة على ما فرض عليك ، والترجيح بين الرأيين الأولين يطلبَ من مظانه .

(٣) أى علم أن الحال والشأن لن تقدروا على إحصاء الليل ساعات ونسباً ، بأن تعرفوا ساعاته ، وتنسبوا إلى الكل بالنصف أو أكثر أو أقل .

(٤) هذا تفسير لعدم الإحصاء باللازم ، فإن من لم يحص ساعات الليل التى كلف بقيام مقادير منها يضطر إلى العمل بالأحوط وهو لا يطيق العمل بالأحوط إلا بشدة ومشقة .

فرض قيام الليل[1] (فاقرؤا) فى الصلاة ، والأمر للوجوب[2] أو غيرها ، والأمر للندب[3] (ما تيسر) عليكم (من القرآن) روى أبو حنيفة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال « من قرأ مائة آية فى ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين » وقيل أراد بالقرآن الصلاة ، لأنه بعض أركانها ، أى فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل، وهذا ناسخ للأول، ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ، ثم بين الحكمة فى النسخ وهى تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (علم أن سيكون منكم) أى أنه . مخففة[4] من الثقيلة ، والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها[5] (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل (وآخرون يضربون فى

(١) يقصد أن التوبة عليهم مستعارة للترخيص لهم فى ترك قيام الليل ، والجامع بينهما رفع المسئولية فى كليهما عند الترك .

(٢) استدل بالآية أبو حنيفة على أن الفرض فى الصلاة مطلق القراءة المتيسرة ، وخص الشافعى ومالك ماتيسر بالفاتحة ، واحتجا على وجوب قراءتها فى الصلاة بحجج منها مارواه ابن المنذر بإسناده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « لاتجزى صلاة لايقرأ فيها بفاتحة الكتاب ، إلى غير ذلك ، فعلى هذه المذاهب يكون الأمر بالقراءة للوجوب » .

(٣) وقيل القراءة مجاز عن الصلاة ، ووجوبُ قيام الليل على النحو الذى جاء فى أول السورة نسخ بوجوب قيامٍ مَا ، ثم نسخ بالصلوات الخمس على الأمة وبقى قيامٌ مَا مفروضاً فى الليل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عباس سقط قيام الليل عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصار تطوعاً ، وبقى مفروضاً على الرسول خاصة ، وقيل نسخ التهجد المخير فيه أول السورة بقراءةٍ مَا من القرآن مسنونة فى الليل كما هنا ، وحلت محله فى الأمة الصلوات الخمس ، وبقى تهجدٌ مَا واجباً على الرسول ﷺ ، لقوله تعالى (ومن الليل فتجهد به نافلة لك) أى فريضة زائدة لك على ما فرض على الأمة ، هذه خلاصات لخلافات ومذاهب طال الكلام فيها فاحرص عليها .

(٤) مخففة خبر لمبتدإ محذوف ، والأصل أن مخففة إلخ .

(٥) يقصد أن السين من سيكون عوض عن تخفيف أنّ وإضمار اسمها ، وهذا مما خالف فيه أصله، ولم أره لأحد ، وإنما جىء بها للتقريب ، ولأن خبرها إن لم يكن جملة اسمية ولا فعلية فعلها جامد أو دعاء يجب فى أوله فاصل من تنفيس كما هنا أو نفى بلا أو لن أو لم ، أما إن كانت واحدة من الثلاث الأول فلا تحتاج إلى فاصل ، وجملة علم إلخ استئناف لبيان حكمة أخرى غير ماتقدم من تعسر إحصاء وتقدير الأوقات مقتضية للترخيص والتخفيف .

الأرض) يسافرون (يبتغون) حال من ضمير يضربون (من فضل الله) رزقه بالتجارة أو طلب العلم (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) سوّى بين المجاهد والمكتسب[١] لأن كسب الحلال جهاد ، قال ابن مسعود رضى الله عنه[٢] أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً[٣] فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء[٤] وقال ابن عمر رضى الله عنهما ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب إلى من أن أموت بين شعبتى رحل[٥] أضرب فى الأرض ابتغى من فضل الله (فاقرءوا ما تيسر منه) كرر الأمر بالتيسير لشدة احتياطهم[٦] (وأقيموا الصلوٰة) المفروضة (وآتوا الزكوٰة) الواجبة (وأقرضوا الله) بالنوافل ، والقرض لغة القطع ، فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه إلى غيره ، وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى ، و إنما أضافه إلى نفسه[٧] لئلا يمن على الفقير[٨] فيما يتصدق به عليه ، وهذا لأن الفقير معاون له فى تلك القربة ، فلا يكون له عليه منة ، بل المنة للفقير عليه[٩] (قرضاً حسنا) من الحلال بالإخلاص (وما تقدموا

---

(١) إنما سوى بينهما فى سببية الترخيص بترك التهجد كالمرض لعلة المشقة ، أما مساواة التجارة للجهاد فى كونها جهاداً لها ثوابه فلا تدل له الآية ، بل يستأنس له بالحديثين الآتيين .

(٢) يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخرجه ابن مردويه عنه .

(٣) مُدَّخِراً به الأجر عند الله تعالى .

(٤) يقصد أن له أجرهم ، ولعل المقصود أنه يقاربهم أجراً ، لا أنه مثلهم تماماً ، فقد جادوا بأرواحهم وهى أغلى من المال .

(٥) الرحل مَرْكب يوضع فوق البعير يركبه الراكب ، ومثله الراحول ، والجمع أرحُل ورحال ، وشعبتا الرحل خشبتاه الجانبيتان .

(٦) التى تدفعهم إلى أن يعسروا على أنفسهم ، فالتكرار للمبالغة فى التيسير .

(٧) أى جعل الإقراض لله تعالى مع أنه للفقير ، وقد تقدم الكلام على استعمال القرض فى الإنفاق آخر سورة التغابن فراجعه .

(٨) أى لئلا يمن عليه الغنى .

(٩) لأنه كان سبباً فى حصوله على الثواب .

لأنفسكم من خير تجدوه) أى ثوابه ، وهو جزاء الشرط (عند الله هو خيراً) مما خلفتم وتركتم ، فالمفعول الثانى لتجدوه ، خيراً . وهو[1] فصل وجاز[2] وإن لم يقع بين معرفتين ، لأن أفعلَ مِنْ[3] أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (وأعظم أجراً) وأجزل ثواباً (واستغفروا الله) من السيئات والتقصير فى الحسنات (إن الله غفور) يستر على أهل الذنب والتقصير (رحيم) يخفف عن أهل الجهد والتوقير[4] وهو على ما يشاء قدير ، والله أعلم .

(١) يعنى أن (هو) فى قوله تعالى « هو خيراً » ضمير فصل .

(٢) أى جاز الفصل بقوله « هو » مع أن شرط الفصل به أن يقع بين معرفتين .

(٣) يقصد أن أفعل التفضيل الذى بعده مِنْ الجارة فى حكم المعرفة ، ولذا لا تدخل عليه أداة التعريف ، وجوز أبو البقاء بدلية « هو » من مفعول تجدوه ، ورده أبو حيان بأنه كان يقال — اياه — بضمير النصب وهو بضمير الرفع .

(٤) الجَهْد المشقة ، والتوقير بالقاف التثقيل ، أى مَنْ تُثْقَلْ عليهم حياتهم ، تقول أوْقَرَ الدابة ووَقَّرها أثقل وِقرها أى حِملها ، وفى النسخ التى بأيدى الناس التوفير بالفاء وهذا خطأ .

سورة المدثر

مكية وهى ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

روى جابر أن النبى ﷺ قال كنت على جبل حراء فنوديت : يا محمد إنك رسول الله ، فنظرت عن يمينى وعن يسارى فلم أر شيئاً ، فنظرت فوقى ، فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض (يعنى الملك الذى ناداه) فرَعِبت ورجعت إلى خديجة

سورة المدثر

تناسب ما قبلها فى أنها نزلت مثلها فى مطلع النبوة ، واشتركتا فى تماثل سببهما ، وهما تزمله وتدثره صلى الله عليه وسلم بسبب نزول الوحى عليه فى أول عهده ، فأما سبب نزول المزمل فقد عرف ، وأما سبب نزول المدثر ، فهو ما أخرجه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أرَ شيئاً ، ونظرت عن شمالى فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفى فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فجُئِثْتُ (أى فزعت) منه رعباً ، فرجعت فقلت دثرونى ، فدثرونى ، فنزلت يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر) .

وتأخرت عن المزمل لتأخر نزولها عنهـــا ، فقد نزلت عقبها كما قال جابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن يرويه عنه أمية الأزدى ، ولعل هذا هو الأليق والأوفق لطبيعة الحال ، وهو ما يكاد ينطق به القرآن الكريم .

فإن اللائق أن يُعَدَّ الرسول لتحمل أعباء الرسالة ، ثم يكلف بها بعد ذلك ، وسورة المزمل ناطقة بذلك ، ففيها تكليف الرسول بقيام الليل ، وبيان أنه كلف بذلك لأنه سيلقى عليه قول ثقيل ، وهو الرسالة وتكاليفها ، وذلك يعطى أنه لم يكلف بأداء الرسالة بعدُ ، وهذا شبه قاطع بأن سورة المدثر لم تنزل بعد ، فإن مطلع سورة المدثر تكليف بقيامه =

وقلت دثرونى دثرونى ، فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ (يا أيها المدثر) [1] أى المتلفف بثيابه ، من الدثار ، وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار ، والشعار الثوب الذى يلى الجسد ، وأصله المتدثر ، فأدغم (قم) من مضجعك [2] أو قم قيام عزم وتصميم [3] (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا ، أو فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد [4] وقيل سمع من قريش ما كرهه ، فاغتم فتغطى بثوبه مفكراً كما يفعل

= بالإنذار أى بأداء الرسالة ، فلو كانت نزلت قبل المزمل لما ساغ أن يقال فى المزمل : إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا ، بل يقال : إنا ألقينا عليك قولا ثقيلا .

وقيل بل المزمل متأخرة عنها ، ورجح هذا . ولكن لم أجد مسوغاً لقبول هذا الترجيح حتى ما قاله جابر بن عبد الله الصحابى فقد سأله أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال : يا أيها المدثر ، فقال له أبو سلمة يقولون : اقرأ باسم ربك ، فقال لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (جاورت بحراء) إلخ الحديث الذى ذكرناه أول كلامنا هنا ، فإن ما يفيده كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر هو أن المدثر نزلت بعد مجىء جبريل له صلى الله عليه وسلم بحراء فى المرة الثانية ، وهذا لا ينافى ما نقول من أن المزمل نزلت بعد مجىء جبريل بحراء فى المرة الأولى ، كما هو واضح فى سبب نزول المزمل ، فيكون قول جابر إن المدثر أول ما نزل مستنداً إلى ما رواه من باب الاجتهاد البين الخطأ لما ذكرناه ، ولأن اقرأ باسم ربك فيها ما يشبه الإجماع على أنها أول ما نزل من القرآن .

فما سبق يتضح أن أول ما نزل من القرآن صدر سورة اقرأ ، ثم أوائل المزمل ، ثم المدثر .

(١) خوطب بذلك لتدثره أى تلففه بعد عودته مرعوباً من مقابلة الملك ، كما بينا فى البحث السابق ملاطفة له صلى الله عليه وسلم .

(٢) على فرض أنه كان مضطجعاً بعد تدثره طلباً للاستقرار لما رعب من مقابلة الملك.

(٣) ولا يلزم على هذا المعنى أن يكون وقت ندائه مضطجعاً كالمعنى السابق .

(٤) أى من غير ملاحظة مفعولٍ ما ، سواء أكان عشيرته الأقربين أم قومه أم الناس أجمعين ، فيكون منزلا منزلة اللازم .

المغموم[1] فقيل له يأيها الصارف أذى الكفار ، عن نفسك بالدثار ، قم فاشتغل بالإنذار ، وإن آذاك الفجار (وربك فكبر) واختص ربك[2] بالتكبير وهو التعظيم ، أى لا يكبر فى عينك غيره ، وقل عند ما يعروك من غِيَرٍ[3] الله أكبر . وروى أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ الله أكبر ، فكبرت خديجة وفرحت ، وأيقنت أنه الوحى[4] وقد يحمل على تكبير الصلاة[5] ودخلت الفاء بمعنى الشرط[6] كأنه قيل وما كان[7] فلا تدع تكبيره[8] (وثيابك فطهر)[9]

---

(١) أخرج الطبرانى وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً ، فلما أكلوا قال : ماتقولون فيما جاء به هذا الرجل ؟ فاختلفوا ، ثم اجتمع رأيهم على أنه سحر يؤثر ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فحزن وقنع رأسه وتدثر ، أى كما يفعل المغموم ، فأنزل الله تعالى : يأيها المدثر إلى قوله تعالى (ولربك فاصبر) وقيل المراد المدثر بالنبوة والكمالات المتحلى بها ، والأول أولى .

(٢) أخذ هذا الاختصاص من تقديم المفعول على الفعل .

(٣) غِيَرُ الدهر أحداثه .

(٤) لأن الشيطان لا يأمر بذلك .

(٥) فقد أخرج ابن مردويه عن أبى هريرة قال قلنا يا رسول الله كيف نقول إذا دخلنا فى الصلاة ، فأنزل الله تعالى (وربك فكبر) فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نفتتح الصلاة بالتكبير . لكن يرد أن هذه السورة من أوائل ما نزل ، ولم تكن صلاة وقتئذ ، فلعل هذا الخبر إن صح محمول على أن الله أنزل العمل بهذه الآية أول الصلاة حين فرض الصلاة مع سبق نزول تلك الآية الدالة على فرضيتها لتكون شرعة عامة .

(٦) الباء فى (بمعنى) للسببية ، أى دخلت الفاء بسبب ملاحظة معنى الشرط ، ولكن لما كان الشرط متوهماً لا محققاً لم تمنع الفاء أن يعمل ما بعدها فيما قبلها ، فكأنها زائدة .

(٧) أى وأى شىء كان .

(٨) أى فلا تدعه إلى تكبير ما سواه ، أى لا تكبر غيره .

(٩) تقديم المفعول هنا للاهتمام ، لا لقصر التطهير على الثياب .

بالماء عن النجاسة ، لأن الصلاة لا تصح إلا بها[١] وهي[٢] الأولى في غير الصلاة ، أو فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول ، إذ لا يؤمن معه إصابة النجاسة[٣] أو طهر نفسك مما يستقذر من الأفعال ، يقال فلان طاهر الثياب ، إذا وصفوه بالنقاء من المعايب ، وفلان دنس الثياب للغادر[٤] ولأن من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهراً[٥] (والرجز) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص . وغيرهم بالكسر .

(١) لم تكن صلاة في أول الرسالة حتى يكلف بالتطهير لها ، فالأولى حذفه .

(٢) الضمير يعود على مصدر من الفعل السابق ، أي الطهارة هي الأولى والأحق في غير الصلاة .

(٣) فهو من إطلاق الطهارة على سببها مجازاً مرسلا تبعاً ، علاقته المسببية والسببية .

(٤) هذا الرأي دائر على استعمال الثوب بمعنى النفس ، لاشتماله عليها ، فهو مجاز مرسل علاقته الحالية والمحلية ، ومنه قول عنترة :

وشككتُ بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّم

يريد أنه شك بالرمح نفسه .

وقالت ليلى في إبل ركبها قوم وذهبوا بها .

رموها بأثواب خفاف فلا ترى لها شبهاً إلا النعام المنفرا

أي رموها برجال خفاف ، وعلى هذا المعنى جرت أقوال السلف ، أخرج ابن المنذر عن أبي مالك أنه قال فيها ، عنى نفسه ، وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أنه قال (وثيابك فطهر) أي من الإثم ، وفي رواية عنه . من الغدر . أي لا تكن غداراً .

(٥) ظاهراً أي غالباً . ظرف ليطهر . وقوله لأن من طهر باطنه يطهر ظاهره . يريد أن طهارة الثياب كناية عن طهارة النفس ، فهو لم يذهب إلى ما ذهبنا إليه في المقال السابق من أن الثياب مجاز مرسل عن النفس ، وإلا قال في التعليل ، لأن الثياب تشتمل على النفس . فهي محلها ، فساغ إطلاقها عليها ، وصرح الآلوسي بهذا المعنى الكنائي أول كلامه حيث قال . تطهير الثياب كناية عن تطهير النفس عما تذم به من الأفعال ، لكن الآلوسي علل أحسن مما علل النسفي حيث قال . لأن من لا يرضى بنجاسة ما يماسه لا يرضى بنجاسة نفسه ، فجعل طهارة الثياب مستلزمة لطهارة النفس ، وتلك قاعدة الكناية ، وهي أن تذكر لفظاً وتريد لازم معناه مع جواز إرادة معناه الحقيقي ، لكن النسفي عكس فجعل طهارة الثياب لازمة لا ملزومة حيث قال . لأن من طهر باطنه يطهر ظاهره غالباً ، والأحسن جعل الثياب مجازاً مرسلا عن النفس كما قدمنا .

العذاب[1] والمراد ما يؤدى إليه (فاهجر) أى اثبت على هجره ، لأنه كان بريئاً منه (ولا تمنن تستكثر) . بالرفع . وهو منصوب المحل على الحال ، أى لا تعط مستكثراً ، رائياً لما تعطيه كثيراً[2] أو طالباً أكثر مما أعطيت[3] فإنك مأمور بأجل الأخلاق وأشرف الآداب ، وهو مِنْ مَنَّ عليه إذا أنعم عليه ، وقرأ الحسن تستكثر بالسكون جواباً للنهى[4] (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه وكلٌ مصبور عليه[5] ومصبورٍ عنه[6] (فإذا نقر فى الناقور)[7] نفخ فى الصور وهى النفخة الأولى ، وقيل الثانية (فذلك) إشارة إلى وقت النقر ، وهو مبتدأ (يومئذ) مرفوع المحل . بدل من ذلك[8] (يوم عسير) خبر ، كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير ، والفاء فى «فإذا» للتسبيب . وفى «فذلك» للجزاء . كأنه قيل اصبر[9] على

---

(١) العذاب خبر للرجز ، أى الرجز بقراءتيه هو العذاب ، أو مايؤدى إلى الرجز من الأعمال المعاقب عليها .

(٢) فالسين والتاء للوجدان لا للطلب .

(٣) قاله ابن عباس فهو نهى عن الاستغزار ، وهو أن يطمع من الموهوب فى أكثر مما وهبه فالسين والتاء على هذا للطلب ، والأصح عند الشافعية أن النهى للتحريم ، وأن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، أما الأمة فهو جائز لها بكراهة ، ففى حديث رواه ابن أبى شيبة موقوفاً على شريح (المستغزر يثاب من هبته) .

(٤) ذهب غيره إلى أن تستكثر بدل من تمنن المجزوم ، كأنه قيل لا تمنن لا تستكثر ، وهو بدل اشتمال ، لأن من شأن المانّ أن يستكثر ما تمنّ به ، ولا يصح جعل جزمه فى جواب النهى ، إذ يشترط فيه ألاّ يفسد المعنى بتقدير إن قبل لا . قال الناظم :

وشرط جزم بعد نهى أن تضع ... إن قبل لا دون تخالف يقع

(٥) كالمصائب والواجبات التى تشق على النفس كالجهاد .

(٦) كالملذات المحرمة .

(٧) فاعول من النقر بمعنى التصويت ، وأصله القرع فأطلق على التصويت لأنه سببه . ثم أريد به النفخ لأنه نوع منه .

(٨) مبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن فى محل رفع .

(٩) يريد بقوله كأنه الخ تصوير السببية التى ذكرها .

أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم ، وتلقى عاقبة صبرك عليه ، والعامل في (فإذا) ما دل عليه الجزاء . أى فإذا نقر فى الناقور عسر الأمر (على الكافرين غير يسير) وأكد بقوله غير يسير ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين[1] أو عسير لا يرجى أن يرجع يسيراً كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا (ذرنى ومن خلقت) أى كِله إلى . يعنى الوليد بن المغيرة ، وكان يلقب فى قومه بالوحيد[2] ومن خلقت معطوف أو مفعول معه (وحيداً) حال من الياء فى ذرنى ، أى ذرنى وحدى معه فإنى أكفيك أمره ، أو من التاء فى خلقت ، أى خلقته وحدى لم يَشْرَكْنى فى خلقه أحد ، أو من الهاء المحذوفة ، أو مِنْ مَنْ ، أى خلقتـه منفرداً بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه (وجعلت له مالا ممدوداً) مبسوطاً كثيراً ، أو ممدوداً بالنماء ، وكان له الزرع والضرع والتجارة ، وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار ، وعنه أن له أرضاً بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهوداً) حضوراً معه بمكة لغناهم عن السفر[3] وكانوا عشرة ، أسلم منهم خالد وهشام وعمارة[4] (ومهدت له تمهيداً) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتى الجاه والمال ، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا[5] (ثم يطمع أن أزيد) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه ، فيرجو أن أزيد فى ماله وولده من غير

(١) كأنه قيل غير يسير كيسره على المؤمنين .

(٢) الأولى حذف قوله . وكان يلقب بالوحيد . لأنه لم يدخل فى إعراباته المقبلة هذا المعنى ، فإن كان لابد من ذكره ، ذكره آخر الكلام عليه ، وبين إعرابه على هذا الوجه ، وهو أن يكون منصوباً بأذم ونحوه ، إذ أن ذكره على هذا الوجه تهكم به وبلقبه ، ويجوز عليه أن يكون حالا من الضمير المنصوب المحذوف من خلقت ، على معنى خلقته وحيداً فى الشر ، أو دون أب ، لأنه كان دعيا لم يعرف نسبه .

(٣) بقيام خدمهم مقامهم فى متاجرهم المختلفة ، فهو متمتع بمشاهدتهم دائماً .

(٤) ليس الثالث عُمارة ، بل هو الوليد بن الوليد ، والعجيب ألاّ يذكره هو وأصله مع إطباق المحدثين على إسلامه ، أما عمارة فلم يصح إسلامه الذى رواه الثعلبى عن مقاتل ، بل قال ابن حجر إن ذلك غلط .

(٥) وأصل التمهيد التسوية والتهيئة ، وتجوز به عن كثرة المال ، وكان لغناه ونضارة حاله يلقب بريحانة قريش .

شكر ، وقال الحسن : أن أزيد ، أن أدخله الجنة فأوتيه مالا وولداً ، كما قال : لأوتين مالا وولداً [1] (كلا) ردع له وقطع لرجائه أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم ، فلم يزل بعد نزول الآية فى نقصان من المال والجاه حتى هلك (إنه كان لآياتنا) للقرآن [2] (عنيداً) معانداً جاحداً ، وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف ، كأن قائلا قال لم لا يزاد ؟ فقيل إنه جحد آيات المنعم ، وكفر بذلك نعمته ، والكافر لا يستحق المزيد (سأرهقه) سأغشيه (صعوداً) عقبة شاقة المصعد [3] وفى الحديث الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ، ثم يهوى فيه كذلك أبداً [4] (أنه فكر) تعليل للوعيد ، كأن الله تعالى عاجله بالفقر والذل ، بعد الغنى والعز ، لعناده ، ويعاقبه فى الآخرة بأشد العذاب ، لبلوغه بالعناد غايته ، وتسميته القرآن سحراً ، يعنى أنه فكر ماذا يقول فى القرآن (وقدر) فى نفسه ما يقوله وهيأه (فقتل) لعن [5] (كيف قدر) تعجيب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيد ، وثم يشعر بأن الدعاء الثانى أبلغ من الأول [6] (ثم نظر) فى

---

(١) أى فى الجنة لو صدق محمد فى أن الناس يبعثون ويدخل بعضهم الجنة، واستعمال ثم للاستبعاد كثير ، وهو غير التفاوت الرتبى ، إذ هو عد الشىء بعيداً غير مناسب لما عطف عليه ، كما تقول تسىء إلى ثم ترجو إحسانى .

(٢) أو لآياته تعالى مطلقاً سواء أكانت كونية أم قرآنية .

(٣) يريد أنه سيجعله يغشى ارتقاء الصعود ، وهى العقبة الشاقة المصعد فى الجبل الوعر ، قالوا وهذه استعارة تمثيلية لابتلائه بأنواع المصائب والمشاق .

(٤) رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه وجماعة عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا وما فى الحديث عقوبة أخروية ، والوجه السابق عقوبة دنيوية .

(٥) قيل إن (قتل) ثناء عليه على سبيل التهكم ، كقولك للجبان قاتلك الله ما أشجعك ، وكان العرب يقولون مثل ذلك ثناء على من يريدون ، يقصدون أنه بلغ مبلغاً يحسد عليه ، فيدعو حاسده عليه بذلك ، سواء كان الثناء حقيقياً أو تهكمياً .

(٦) كأنه قيل قتل أشد القتل، ولهذا التغاير ساغ عطفه على ما قبله مع أنه تأكيد له .

وجوه الناس ، أو فيما قدر (ثم عبس) قطب وجهه (و بسر) زاد فى التقبض والكلوح[1] (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه أو عن مقامه أو فى مقاله ، وثم نظر عطف على فكر وقدر ، والدعاء اعتراض بينهما ، وإيراد ثم فى المعطوفات لبيان أن بين الأفعال المعطوفة تراخياً (فقال إن هذا) ما هذا (إلا سحر يؤثر) يروى عن السحرة ، روى أن الوليد قال لبنى مخزوم[2] والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، إن له لحلاوة ، و إن عليه لطلاوة ، و إن أعلاه لمثمر ، و إن أسفله لمغدق ، و إنه يعلو وما يعلى ، فقالت قريش صبأ والله الوليد ، فقال أبو جهل وهو ابن أخيه أنا أكفيكموه ، فقعد إليه حزيناً وكلمه بما أحماه[3] فقام الوليد فأتاهم ، فقال تزعمون أن محمداً مجنون ، فهل رأيتموه يخنق ، وتقولون إنه كاهن ، فهل رأيتموه قط يتكهن[4] وتزعمون أنه شاعر ، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط[5] وتزعمون أنه كذاب ، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب ، فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ، ثم قالوا فما هو ، ففكر ، فقال ما هو إلا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه[6] وما الذى يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل ، فارتج النادى فرحاً ، وتفرقوا متعجبين منه ، وذكر الفاء دليل على أن هذه الكلمة لما

---

(١) الكلوح التكشر فى عبوس .

(٢) بعد أن لقى النبى ﷺ وسمع منه القرآن ، وكأنه رق له .

(٣) فقد قال له يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا فيعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لتصيب مما عنده ، قال قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له فقال ما ذكره النسق بعد .

(٤) يقضى بالغيب كالكهان .

(٥) أما ما يجىء على لسانه ﷺ موزوناً مقفًّى فهو على قلته ليس مقصوداً كما يحصل أحياناً فى كلام من لا يستطيع الشعر .

(٦) إن الحق يفصل دائما مؤيديه عن أهل الضلال مهما كانت قرابتهم ، ويجعل من الأولين أعداء للآخرين ، فما أظلم بصيرة الوليد .

خطرت بباله نطق بها من غير تلبث[1] (إن هذا إلا قول البشر) ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين ، لأن الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى[2] (سأصليه) سأدخله بدل من سأرهقه صعودا[3] (سقر) علم لجهنم ، ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وما أدراك ما سقر) تهويل لشأنها[4] (لا تبقى) أى هى[5] لا تبقى لحماً (ولا تذر) عظماً[6] أو لا تبقى شيئاً يُلقَى فيها إلا أهلكته ، ولا تذره هالكا بل يعود كما كان[7] (لواحة) خبر مبتدإ محذوف ، أى هى لواحة (للبشر) جمع[8] بشرة وهى ظاهر الجلد أى مُسَوِّدة

(١) هذا مخالف لتفسيره لقدر سابقاً بأنه هيأ فى نفسه ما يقوله فى القرآن ، فإن مقتضاه أن يكون ما قاله الوليد فى القرآن — من أنه سحر وقول البشر — مركوزاً فى نفسه مدبَّراً فيها قبل أن يعبس ويبسر ويدبر ويستكبر . فى حين أن كلامه هنا يعطى أن قول الوليد إن هذا إلا سحر يؤثر إلخ . خطر بباله بعد أن عبس وبسر ، وبعد أن أدبر واستكبر مباشرة من غير تدبر ، فالأوفق أن تكون الفاء فى .فقال إن هذا إلا سحر يؤثر تفسيرية، وما بعدها تفسير لإدباره واستكباره ، أى أن إدباره واستكباره عن الحق الذى بدا ميله إليه كان بقوله إن هذا إلا سحر يؤثر . وهو الذى قدره وهيأه فى نفسه قبل حركاته التمثيلية الممجوجة ، أعنى نظره وعبوسه وبسوره .

(٢) لأن المقصود من كل منهما نفى كونه قرآنا ، وإن اختلفا معنى .

(٣) بدل اشتمال ، لأن إصلاءه سقر مشتمل على إرهاقه الصعود وزيادة ، ففى النار جبال وعقبات شداد ، عدا ألوان عذابها المختلفة .

(٤) تقدم مثلها فى الحاقة فراجعه .

(٥) جملة لا تبقى ولا تذر بيان لحال سقر وصفتها ، فهى مفسرة أو مستأنفة ، ولا حاجة إلى تقدير كلمة هى لتكون خبر مبتدأ محذوف . وقيل حال من سقر ، والعامل فيها معنى التهويل ، أى أهوّل أمر سقر .

(٦) قاله السدى وهو أقل الآراء .

(٧) وقال ابن عباس فى معناه : إذا أخذت فيهم لم تبق منهم شيئاً ، وإذا بدلوا خلقاً جديداً لم تذر أن تعاودهم سبيل العذاب الأول .

(٨) الصواب أنها اسم جنس جمعى ، إذ يفرق بينه وبين واحده بالتاء .

للجلود ومحرقة لها[1] (عليها) على سقر (تسعة عشر) أى يلى أمرها تسعة عشر ملكا [2] عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة ، وقيل صفا ، وقيل نقيبا[3] ، (وما جعلنا أصحاب النار) أى خزنتها (إلا ملائكة) لأنهم خلاف جنس المعذبين ، فلا تأخذهم الرأفة والرقة ، لأنهم أشد الخلق بأساً ، فالواحد منهم قوة الثقلين (وما جعلنا عدتهم) تسعة عشر (إلا فتنة)[4] أى ابتلاء واختباراً (للذين كفروا) حتى قال أبو جهل

---

(١) فلواحة من لوحته الشمس ، أى سودت ظاهره .

(٢) وهو الراجح لقوله تعالى : وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا . فقد فهم العرب الذين سمعوه وقت نزوله كذلك ، فقد روى عن ابن عباس أنها لما نزلت قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم . أسمع أن ابن أبى كبشه يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدهم ، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ، فقال له أبو الأشد الجمحى ، وكان شديد البطش . أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين ، فأنزل الله تعالى « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة » أى فلا يستقل معهم عدد .

(٣) ويتبع كل نقيب ملائكة لا يحصون كثرة ، وإلى هذا ذهب الجمهور خلافاً لما ذكره النسفى عنهم من أنهم ملائكة لا نقباء .

(٤) جعل أصحاب النار تسعة عشر ليس فى نفسه فتنة للذين كفروا ، فما لم يعلموا عددهم فلا مقال لهم فيه ولا فتنة لهم به ، فلذا يجب حمل الجعل فى الآية على إثباتهم فى القرآن وذكرهم فيه ، وأن يكون المراد من الفتنة مايفتتن به ، وهو عدد التسعة عشر ، فالمعنى وما جعلنا فى القرآن عددهم إلا التسعة عشر الذى افتتن به الكافرون فقالوا عنه ما قالوا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب الخ — وإلا أداة استثناء ترفع النفى الذى قبلها ، فكأنه قيل جعلنا فى القرآن عددهم تسعة عشر ذلك العدد الفاتن للكافرين ليستيقن الذين أوتوا الكتاب إلخ . وبهذا التأويل اندفع أن يقال كيف يكون استيقان الذين أوتوا الكتاب وما عطف عليه علة غائية لفتنة الكافرين بهذا العدد أو لجعله فتنة — إذ أصبح المذكور بهذا التأويل علة غائية لذكر العدد الفاتن للكافرين لا لفتنة الكافرين به — وخلاصة المعنى على هذا الوجه — ذكرنا فى القرآن عددهم تسعة عشر (ذلك العدد الذى فتن الكافرين دون مبرر) ليترتب على ذكره أن يستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً إلخ — وفتنة على هذا الوجه مفعول به ثان لجعلنا .

وقيل فتنة مفعول لأجله ، وليستيقن معطوف عليه بعاطف مقدر أى إلا للفتنة وليستيقن ، وذلك مثل قولك فعلت كذا لتحقير عدوك ولتعظيمك ، قاله الإمام ، وذكر أن العاطف فى مثل هذا قد يحذف .

لما نزلت . عليها تسعة عشر . ما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحداً منهم وأنتم الدهم[1] فقال أبو الأشد وكان شديد البطش ، أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين ، فنزلت . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة . أي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون ، وقالوا في تخصيص الخزنة بهذا العدد ، مع أنه لا يطلب في الأعداد العلل ، إن ستة منهم يقودون الكفرة إلى النار ، وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد ، والآخر خازن جهنم ، وهو مالك وهو الأكبر ، وقيل في سقر تسعة عشر دركا ، وقد سلط على كل درك ملك ، وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لوناً من العذاب وعلى كل لون ملك موكل ، وقيل إن جهنم تحفظ بما تحفظ به الأرض من الجبال وهي تسعة عشر ، وإن كان أصلها مائة وتسعين ، إلا أن غيرها يشعب عنها[2] (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين ، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (إيماناً) بتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ، أو يزدادوا يقيناً لموافقة كتابهم لكتاب أولئك (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف أيضاً[3] وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان ، إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالان على انتفاء الارتياب[4] ثم عطف على ليستيقن أيضاً (وليقول الذين في قلوبهم

---

(١) العدد الكثير .

(٢) لا دليل على ذلك فكيف يسلم ، والذي ينبغي هو أن نسلم وأن لا نبحث عن علة العدد أو توجيهه طالما اننا إلى الحدس أقرب وعن الدليل أبعد — ويشعب كيفرح . أي يتفرع مضارع شعب كفرح .

(٣) أي على يستيقن .

(٤) وكذلك فيه نفي لطروء الريب بعد — قال النيسابوري ، كأنه قيل حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل بعده شك وريب ، فإن الذي حصل له اليقين قد يغفل عن مقدمة من مقدمات الدليل فيعود إليه الشك ، وفيه أيضاً تعريض بحال من عداهم ، كأنه قيل وليخالف حالهم حال المرتابين من أهل الزيغ والكفران اهـ .

وإنما عطف مع التوكيد لوجود غرضي نفي الريب والتعريض معه فكان مما قبله كالأجنبي .

مرض) نفاق (والكافرون) المشركون ، فإن قلت النفاق ظهر فى المدينة ، والسورة مكية ، قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون فى المستقبل بالمدينة بعد الهجرة ، والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب ، وذا لا يخالف كون السورة مكية ، وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب ، لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين ، ومثلا تمييز لهذا أو حال منه[1] كقوله هذه ناقة الله لكم آية ، ولما كان ذكر العدد فى غاية الغرابة وأن مثله حقيق بأن تسير به الركبان سيرها بالأمثال ، سمى مثلا ، والمعنى أى شىء أراد الله بهذا العدد العجيب وأى معنى أراد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم إنكاره أصلا وأنه ليس من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص[2] (كذلك يضل الله من يشاء) الكاف نصب[3] وذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى ، أى مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى ، يعنى إضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا ، وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك ، يضل الله من يشاء من عباده ، وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء ، وفيه دليل خلق الأفعال ، ووصف الله بالهداية والإضلال ، ولما قال أبو جهل لعنه الله : أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر ؟ نزل (وما يعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (إلا هو) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ، ولكن له فى هذا العدد

---

(١) وماذا إما بمعنى أى شىء فتكون كلها كلمة واحدة للاستفهام فى موضع النصب بأراد ، وإما بمعنى ما الذى أراده الله ، فتكون ما اسم استفهام مبتدأ ، وذا اسم موصول خبره ، والجملة بعده صلته ، والعائد محذوف كما قدرناه .

(٢) وعنوا بالإشارة فى قوله (بهذا) التحقير .

(٣) على أنها صفة لمصدر محذوف ، والأصل يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء إضلالا وهداية كائنين كذلك ، فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ، وقدم على الفعل لإفادة القصر .

الخاص حكمة لا تعلمونها (وما هى) متصل بوصف سقر[1] وهى ضميرها ، أى وما سقر وصفتها (إلا ذكرى للبشر) أى تذكرة للبشر ، أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها[2] (كلا) إنكارٌ. بعد أن جعلها ذكرى . أن[3] تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون[4] (والقمر) أقسم به لعظم منافعه (والليـل إذ أدبر) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف ، وغيرُهم إذا دَبَر ، ودَبَر بمعنى أدبر ، ومعناهما ولّى وذهب ، وقيل أدبر ، ولى ومضى ، ودَبَر جاء بعد النهار[5] (والصبح إذا أسفر) أضاء ، وجواب القسم (إنها) إن سقر (لإحدى الكبر) هى جمع الكبرى ، أى لإحدى البلايا أو الدواهى الكبر ، ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة فى العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهى إحدى النساء[6] (نذيراً) تمييز من إحدى ، أى إنها لإحدى الدواهى إنذاراً[7] كقولك هى إحدى النساء عفافاً[8] وأبدل من (للبشر * لمن شاء منكم)

---

(١) فى قوله سأصليه سقر وما أدراك ما سقر الخ ، أما قوله وما جعلنا إلى هنا فهو اعتراض لتبيين قوة هؤلاء التسعة عشر ، وبيان حكمة ذكر عددهم ، وحقه أن يقول متصل بسقر ووصفها ، قيل والجملة معطوفه على سأصليه سقر .

(٢) أى أن الضمير فى (وما هى) كما جاز عوده إلى سقر يجوز أيضاً أن يكون عائداً إلى الآيات التى ذكرت فى شأن سقر .

(٣) أى لأن تكون .

(٤) هذا كلام الزمخشرى ، وتعقبه أبو حيان بأنه لا يسوغ فى حقه تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر ثم ينكر أن تكون لهم ذكرى ، وأجيب بأن معنى كونها ذكرى أن شأنها أن تكون مذكرة لكل أحد ، ومن لم يتذكر لشقاوته فلا يعد من البشر ، ولا يلتفت لعدم تذكره ، كما أن حلاوة العسل لا يضيرها أن تكون مرة فى فم منحرف المزاج ، فلا تناقض ، وقيل إن كلا لردع من أنكرها ، وقيل غير ذلك .

(٥) تقول دَبَر الليل النهار أى جاء بعده .

(٦) أى لا نظير لكل منهما ، وقيل معناه أنها إحدى بلايا كبيرة تتشابهم غير النار .

(٧) فهو مصدر بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار .

(٨) وقال الفراء إنه مصدر بإضمار فعل ، أى أنذر إنذاراً ، وقيل إنه اسم فاعل بمعنى منذرة ، حال مما دلت عليه الجملة كما اختاره أبو البقاء ، فهى على معنى عظمت أو كبرت نذيراً ، وهذا على ما قاله أبو حيان قول لا بأس به .

بإعادة الجار[1] (أن يتقدم) إلى الخير (أو يتأخر) عنه وعن الزجاج إلى ما أمر وعما نهى[2] (كل نفس بما كسبت رهينة) هى ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرىء بما كسب رهين ، لتأنيث النفس[3] لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول[4] يستوى فيه المذكر والمؤنث[5] وإنما هى اسم[6] بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم ، كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ، والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك[7] (إلا أصحاب اليمين) أى أطفال المسلمين لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها ، أو إلا المسلمين فإنهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق[8] (فى جنات) أى هم فى جنات لا يكتنه وصفها[9] (يتساءلون عن المجرمين)

---

(١) يعنى أن من شاء بدل من البشر بإعادة اللام الجارة، ويجوز جعله خبراً مقدماً، وأن يتقدم أو يتأخر مبتدأ مؤخر ، وأو للتهديد .

(٢) أى أن يتقدم إلى ما أمر به أو يتأخر عما نهى عنه .

(٣) علة لتأنيث رهين المنفى ، أى ليست لتأنيثه من أجل تأنيث النفس .

(٤) أى إذا كان صفة بمعنى مفعول .

(٥) وحينئذ فلا يحتاج إلى تاء تأنيث .

(٦) يريد أنها مصدر بمعنى الرهن ، كالشتيمة بمعنى الشتم ، ومنه قول عبد الرحمن ابن زيد وقد قتل أبوه وعرض عليه سبع ديات فأبى أن يأخذها .

أبعد الذى فى النَّعْف نعف كويكِب رهينة رمس ذى تراب وجندل
أذَكَّر بالبُقيا على من أصابنى وبقياى أنى جاهد غير مؤتل

والنعف من الرملة مقدمها وما استرق منها ، وكويكب مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم بين تبوك والطائف ، والبقيا على من أصابه الإبقاء عليه ، أى العفو عنه .

(٧) وأجاز بعضهم أن تكون وصفاً ، والتاء للمبالغة .

(٨) وكانوا أصحاب اليمين لأنهم يأخذون كتبهم بأيمانهم ، أو اليمين الخير والبركة ، وهم أصحابها لأنهم أهل العمل الصالح .

(٩) فقوله فى جنات خبر لمبتدإ محذوف ، والجملة استئناف وقع جواب سؤال نشأ مما قبله ، كأنه قيل ما حالهم ، فأجيب السائل هم فى جنات عظيمة الخ .

يسأل بعضهم بعضاً عنهم[١] أو يتساءلون غيرهم[٢] عنهم (ما سلككم فى سقر) أدخلكم فيها ، ولا يقال لا يطابق قولُه ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قولَه يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم ، وإنما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم لأن ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم ، وإنما هو حكاية قول المسئولين عنهم ، لأن المسئولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين ، فيقولون قلنا لهم ما سلككم فى سقر ، قالوا لم نك من المصلين ، إلا أنه اختصر[٣] كما هو نهج القرآن ، وقيل عن زائدة[٤] (قالوا لم نك من المصلين) أى لم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم المسلمون (وكنا نخوض مع الخائضين) الخوض الشروع

---

(١) أى يسأل أهل الجنة بعضهم بعضاً عن المجرمين ، فالتفاعل فى هذا الوجه على بابه ، وفيه تكلف سيظهر فى كلامه بعد .

واعلم أن صيغة التفاعل وضعت فى الأصل للدلالة على صدور الفعل من متعدد ووقوعه على ذلك المتعدد ، بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا ، كما فى تشاتم القوم ، أى شتم كل واحد منهم الآخر ، ولكنها قد يقصد منها مجرد صدور الفعل من متعدد فقط ، ويكون الواقع عليه الفعل شيئاً آخر ، كما فى تراءوا الهلال ، أى رأوه ، ومنه يتساءلون هنا خلافاً لما ذكره النسفى — قال الزمخشرى إذا كان المتكلم مفرداً يقول دعوته ، وإذا كان جماعة يقول تداعيناه ، ونظيره رميته وتراميناه ، ورأيت الهلال وتراءيناه ، ولا يكون هذا التفاعل من الجانبين ، وعلى هذا فالمسئول محذوف أعنى المجرمين ، والتقدير يتساءلون المجرمين عنهم اهـ .

أى يسأل أصحاب اليمين المجرمين عن أحوالهم قائلين لهم ماسلككم فى سقر ، وقد حذف المفعول أعنى المجرمين لكونه عين المسئول عنه منعاً للتكرار ، إذ لو قيل يتساءلون المجرمين عن المجرمين لكان ركيكا ، لمجىء المسئول بلفظ المسئول عنه .

(٢) لم يعين من هو الغير الذى يسأله أهل اليمين عن المجرمين ، فإن كان هذا الغير هم المجرمين فقد جنح إلى رأى الزمخشرى الذى بيناه فى القول السابق .

(٣) هذا ليس باختصار بل هو إلغاز لا يليق بما فى القرآن من إعجاز ، فالصواب ما نقلناه عن الزمخشرى ، وأوضحناه قريباً .

(٤) للتأكيد ، أى يسألون المجرمين .

في الباطل ، أي نقول الباطل والزور في آيات الله (وكنا نكذب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين ، لأنها للمؤمنين دون الكافرين ، وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين ، في الحديث « إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر » (فما لهم عن التذكرة) عن التذكير[1] وهو العظة أي القرآن (معرضين) مولين حال من الضمير[2] نحو مالك قائماً (كأنهم حمر) أي حمر الوحش[3] حال من الضمير في معرضين (مستنفِرة) شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها ، وبفتح الفاء مدني وشامي أي استنفرها غيرها (فرت من قسورة) حال ، وقدْ ، معها مقدرة ، والقسورة الرماة[4] أو الأسد ، فَعْولة من القسر ، وهو القهر والغلبة ، شبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت في نفارها (بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشّرة) قراطيس تنشر وتقرأ ، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء ، عنوانها من رب العالمين إلى فلان ابن فلان ، نؤمر فيها باتباعك ، ونحوه قوله « لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » وقيل قالوا إن كان محمد صادقاً فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار[5] (كلا) ردع لهم عن تلك الإرادة ، وزجر عن اقتراح الآيات ، ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف (كلا إنه تذكرة) رَدَعهم عن إعراضهم عن التذكرة ، وقال إن القرآن تذكرة بليغة

---

(١) يقصد أن التذكرة مصدر كالتذكير .

(٢) وهو الهاء من لهم .

(٣) قاله ابن عباس . لأنه بين العرب مثل في النفار .

(٤) وهي اسم جمع .

(٥) أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن السدي عن أبي صالح قال قالوا إن كان محمد الخ .

كافية (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل ، فإن نفعَ ذلك عائد إليه (وما يذكرون) وبالتاء نافع ويعقوب (إلا أن يشاء الله) إلا وقت مشيئة الله[1] أو إلا بمشيئة الله[2] (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) فى الحديث[3] هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه ، والله أعلم .

---

(١) يريد أنه على تقدير . وقت مضاف إلى المشيئة ، فيكون استثناء من أعم الظروف.

(٢) فيكون استثناء من أعم العلل ، أى وما يذكرون بعلة من العلل إلا بمشيئة الله ، وأن وما دخلت عليه فى تأويل المصدر مجروراً بباء مقدرة .

(٣) أخرج أحمد والترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه ، والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية . هو أهل التقوى وأهل المغفرة . فقال قد قال ربكم : أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إله ، فمن اتقانى فلم يجعل معى إلها آخر فأنا أهل أن أغفر له .

ســورة القيامة

مكية وهى أربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا أقسم بيوم القيامة) أى أقسم عن ابن عباس ، ولاصلة[١] كقوله لئلا يعلم[٢]
وقوله * فى بئر لا حُور سرى وما شعر[٣] * وكقوله :

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة[٤] وكاد ضمير[٥] القلب لا يتقطع[٦]

وعليه الجمهور[٧] وعن الفراء ، لا ، رد لإنكار المشركين البعث ، كأنه قيل ليس

ســورة القيامة

ويقال لها سورة لا أقسم ــ وقد ذكرت بعد المدثر لمناسبتها آخرها ، ففى آخر المدثر (بل لا يخافون الآخرة) أى بل لا يخاف أهل مكة الدار الثانية التى يبعثون فيها ليحاسبوا على أعمالهم فكان من اللائق أن يجاء بعدها بآيات البعث ودلائله يتلوها وصف لشىء من أهوال الآخرة وشدائدها لعلهم يهتدون .

(١) أى موصولة بفعل زائدة على لفظه لتأكيد الإقسام ، فليست للنفى .

(٢) أى ليعلم .

(٣) تمامه * بإفكه حتى إذا الصبح جَشَر ، والحور بالضم الهلاك وجمعه أحوُر ، ولا زائدة ، والمعنى سار ليلاقى بئر هلاك وما درى بذلك ، والإفك الباطل ، والصبح مستعار للحق وجشر . أضاء .

(٤) شوق .

(٥) ضمير القلب أى القلب الذابل الضامر ، فهو من إضافة الصفة فى المعنى للموصوف .

(٦) لا زائدة .

(٧) فهم يقولون إنها تزاد فى الكلام للتوكيد ، فهى تؤكد القسم فى لا أقسم وتؤكد العلم فى لئلا يعلم ، ومن شواهده غير ما ذكر قول امرىء القيس :

لا وأبيكِ ابنةَ العامرىّ لا يدعى القوم أنى أفر

أى وحق أبيك يا ابنة العامرى .

الأمر كما تزعمون ، ثم قيل أقسم بيوم القيامة ، وقيل أصله لأقسم ، كقراءة ابن كثير ، على أن اللام للابتداء ، وأقسم خبر مبتدإ محذوف ، أى لأنا أقسم ، ويقويه أنه فى الإمام[1] بغير الألف ، ثم أشبع فظهر من الاشباع ألف ، وهذا اللام[2] يصحبه نون التأكيد فى الأغلب وقد يفارقه (ولا أقسم بالنفس اللوامة) الجمهور على أنه قسم آخر ، وعن الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، فهى صفة ذم[3] وعلى القسم صفة مدح ، أى النفس المتقية التى تلوم[4] على التقصير فى التقوى ، وقيل هى نفس آدم ، لم تزل تلوم[5] على فعلها التى خرجت به من الجنة ، وجواب القسم محذوف ، أى لتبعثن ، دليله (أيحسب الإنسان) أى الكافر المنكر للبعث (أن لن نجمع عظامه) بعد تفرقها ورجوعها رفاتاً[6] مختلطاً بالتراب (بلى) أوجبت ما بعد النفى ، أى بلى نجمعها (قادرين) حال من الضمير فى نجمع ، أى نجمعها قادرين على جمعها وإعادتها كما كانت (على أن نسوى بنانه) أصابعه[7] كما كانت فى الدنيا

---

(١) أى مصحف عثمان إمام المصاحف .

(٢) الإشارة راجعة إلى اللام على جعلها ابتدائية وهذا وهم من النسق فلام الابتداء لا يؤكد الفعل بعدها ، والصواب أن بعضهم جعلها لام قسم تولد عن إشباع فتحتها ألف ، وقال إنها لم يصحبها نون التوكيد هنا لعدم لزوم ذلك إذ هو أغلبي كما حكى عن سيبويه ـ فكلام هذا البعض دائر على جعلها لام قسم .

(٣) يريد أنها النفس المذنبة فى الدنيا ، اللائمة نفسها فى الآخرة على تقصيرها الذى استحقت به العقوبة ، فلذا يكون وصفها باللوامة للذم .

(٤) أى تلوم غيرها ، أو نفسها فى الدنيا قصد صلاح الحال أو مزيده .

(٥) نفسها ، أو أصلها تتلوم كما عند الزمخشرى ، فحذفت إحدى التاءين ، وأحسن الوجوه أولها .

(٦) أى حطاماً وفتاتاً .

(٧) أو أطرافها وتسمى سلاميات ، وذكرها فى معرض القياس الأولوى لاختصاصها بتعقد فى الخلق ليس فى سواها ، ولا توجد فى الناس سلامى تماثل أخرى فى صورتها .

بلا نقصان وتفاوت مع صغرها ، فكيف بكبار العظام (بل يريد الإنسان) عطف على أيحسب ، فيجوز أن يكون مثله استفهاماً[1] (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسئل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فإذا برق البصر) تحير فزعاً ، و بفتح الراء مدنى ، شخَص[2] (وخسف القمر) وذهب ضوءه أو غاب[3] من قوله فخسفنا به ، وقرأ أبو حيوة بضم الخاء (وجمع الشمس والقمر) أى جمع بينهما فى الطلوع من المغرب ، أو جمعا فى ذهاب الضوء[4] أو يجمعان فيقذفان فى البحر ، فيكون نار الله الكبرى (يقول الإنسان) الكافر (يومئذ أين المفر) هو مصدر[5] أى الفرار من النار أو المؤمن[6] أيضاً من الهول ، وقرأ الحسن بكسر الفاء ، وهو يحتمل المكان والمصدر[7] (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر)

---

(١) أو إخباراً عطفاً على جملة الاستفهام التوبيخى ، فيكون قد أضرب عن إنكار الحسبان إلى الإخبار عن حال الإنسان الحاسب ، كأنه قيل دع تعنيفه على حسبانه هذا ، فأنى له أن يرتدع وهو يريد ليدوم على فجوره مستقبلا ، ومفعول يريد محذوف تقديره . إنكارَ البعث . أخذا مما سبق . أو غشيان شهواته . أخذا من (ليفجر) أو هو منزل منزلة اللازم ، أى يحقق إرادته ليفجر .

(٢) شخص كمنع . أى فتح عينيه ولم يطرف ، وذلك يعطى معنى الحيرة ، فالقراءتان بمعنى واحد ، قال صاحب القاموس . برِق كفرح ونصر بَرْقاً وبروقاً ، تحير حتى لا يطرف .

(٣) الضمير للقمر ذاته ، أى زال .

(٤) روى عن مجاهد ، واختاره الفراء والزجاج .

(٥) وليس اسم مكان ، لأن الفاء مفتوحة على هذه القراءة ، واسم المكان بكسر الفاء كالقراءة الآتية ، لأن مضارعه مكسورها .

(٦) معطوف على كلة الكافر السابقة ، يعنى أن الإنسان يجوز أن يراد منه الكافر فقط ، أو الكافر والمؤمن ، والأول هو الحق ، لأن السياق يدل عليه ، ولأن المؤمن لا يتمنى الفرار يومئذ ، ولعل أصله (أو والمؤمن) فسقطت الواو سهواً .

(٧) كما قالوا فى المرجع .

لا ملجأ (إلى ربك) خاصة (يومئذ المستقر) استقرار العباد أو موضع قرارهم من جنة أو نار مفوض ذلك لمشيئته ، من شاء أدخله الجنة ، ومن شاء أدخله النار (ينبأ الإنسان يومئذ) يخبر (بما قدم) من عمل عمله[1] (وأخر) مالم يعمله[2] (بل الإنسان على نفسه بصيرة) شاهد ، والهاء للمبالغة كعلامة ، أو أنثه لأنه أراد به جوارحه إذ جوارحه تشهد عليه ، أو هو حجة على نفسه ، والبصيرة الحجة[3] قال الله تعالى « قد جاءكم بصائر من ربكم » وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك ، وبصيرة رفع بالابتداء ، وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر الإنسان كقولك زيد على رأسه عمامة ، والبصيرة على هذا[4] يجوز أن يكون الملك الموكل عليه (ولو ألقى معاذيره) أرخى ستوره ، والمعذار الستر[5] وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه ، فعليه من يكذّب عذره ، والمعاذير[6] ليس بجمع معذرة لأن جمعها معاذر[7] بل هي اسم جمع لها[8] ونحوه المناكير في المنكر (لا تحرك به) بالقرآن (لسانك لتعجل به)

(١) خيراً كان أو شراً .　　　(٢) من المفروضات .

(٣) فهي مجاز عنها ولذا أنثت .

(٤) الإشارة راجعة إلى الإعراب السابق ، أما إذا جعلنا بصيرة خبراً عن الإنسان وعلى نفسه متعلقاً ببصيرة ، فلا يصح أن يراد بالبصيرة الملك ، بل هي بمعنى الشاهد أو الحجة .

(٥) يقصد أنها جمع معذار ، وهو السِّتر بلغة اليمانيين ، قاله الضحاك والسدى والزجاج ، يعني ولو تستر في الدنيا حال ارتكابه المعصية بأستاره ، فهو منبأ بها يوم القيامة لأنها لا تخفى مع ذلك على الله .

(٦) جملة ، والمعاذير إلخ ساقها حتى لا تتوهم من القول الثاني أنها جمع معذرة ، أي عذر .

(٧) بغير ياء .

(٨) هكذا يسميه الزمخشري ، مع أنه ليس من أبنية اسم الجمع ، والصواب أنها جمع لها غير قياسي ، ومن عادة الزمخشري أن يطلق اسم الجمع على مثله ، وجملة لو ألقى . في محل النصب على الحال من المستكن في بصيرة ، قيل أو من مرفوع ينبأ ، ولو إما ذات جواب يفهم مما قبلها ، أو لا جواب لها .

بالقرآن وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ فى القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن يتفلت منه ،فقيل له لا تحرك لسانك بقراءة الوحى مادام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ، ولئلا [(١)] يتفلت منك : ثم علل النهى عن العجلة بقوله (إن علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) وإثبات قراءته فى لسانك ، والقرآن القراءة ، ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه (فإذا قرأناه) أى قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته [(٢)] (فاتبع قرآنه) أى قراءته عليك (ثم إن علينا بيانه) إذا أشكل عليك شىء من معانيه (كلا) ردع عن إنكار البعث ، أو ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وإنكار لها عليه [(٣)] وأكده بقوله [(٤)] (بل تحبون العاجلة) كأنه قيل بل أنتم يا بنى آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى

(١) علة لتأخذه على عجل فالصواب حذف واو (ولئلا) .

(٢) نسبة القراءة إلى الله تعالى لأنه الآمر بالقراءة فنى الكلام مجاز عقلى ، واعلم أن قوله تعالى « لا تحرك به لسانك » إلى قوله بيانه ، هى كالجملة الموضوعة بين قوسين ، فقد تخللت مواعظ الكافرين وزواجرهم ، ولعل ذلك كما قال الطيبى لاتفاق أن الرسول تلقف القرآن كعادته خوف تفلته فلما وصل إلى قوله تعالى « ولو ألقى معاذيره » أوحى إلى جبريل أن يلقى تلك الجمل مرشدة للرسول أن يتمهل حتى يتم القرآن فيرى نفسه حافظاً له ، ثم عاد ليتم ما بدأه فقال « كلا بل تحبون العاجلة » كمن يلقن تلميذه درساً فرآه يعجل فأرشده أثناء الدرس إلى ترك العجلة فسيحصل على ما يريده متى أتم كلامه ، ثم يعود فيتم درسه ، اهـ بتصرف .

(٣) النبى صلى الله عليه وسلم فى قراءته مع جبريل كان حريصاً على حفظ القرآن فلا يُردع ولا يُنكر عليه وإنما يرشد ، وقد تبع النسفى فى هذا التعبير الخاطىء الزمخشرى والصواب هو ما ذكر أولا من أن كلاَّ هنا لزجر الكفار عن إنكار البعث .

(٤) لا يصلح أن يكون هذا تأكيداً فإن التعجل بحفظ القرآن حرصاً على عدم تفلته ليس من محبة العاجلة التى فسرها آخراً (بالدنيا وشهواتها) فهذه غفلة ، ولا أدل عليها من أن « وتذرون الآخرة » معطوفة على « تحبون العاجلة » فكيف يكون الحرص على القرآن من هذا الوادى .

كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها، فلا تعملون لها، والقراءة فيهما بالتاء مدنى وكوفى (وجوه) هى وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (إلى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة، وحمل النظر على الانتظار لأمر ربها أو لثوابه [1] لا يصح لأنه يقال نظرت فيه أى تفكرت، ونظرته انتظرته، ولا يعدى بإلى إلا بمعنى الرؤية، مع أنه لا يليق الانتظار فى دار القرار [2] (ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديدة العبوسة وهى وجوه الكفار (تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو فى شدته (فاقرة) داهية تقصم فقار [3] الظهر (كلا) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على [4] ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم، وتنتقلون إلى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين (إذا بلغت) أى الروح، وجاز وإن لم يجر لها ذكر لأن الآية تدل عليها (التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال، وتَرْقُوَةٌ جمع تَرقوة [5] (وقيل من راق) يقف حفص على «مَنْ» وقيفة [6] أى قال حاضرو

---

(١) كما قال المعتزلة فراراً من دلالة الآية على رؤية الله، فهم يمنعونها بحجة أن الرؤية تستلزم القرب والبعد والكبر والصغر وغير ذلك مما هو مستحيل على الله تعالى، وأهل السنة يثبتونها وينفون هذه اللوازم عنها ويقولون ما معناه أنها رؤية لقديم فتجرد عن مقتضيات رؤية الحادث.

(٢) فنعيمها حاضر غير منتظر.

(٣) فَقَار كسحاب جمع فقره بجمرة وفِرية، واحدة عظام الصلب من الكاهل إلى عجب الذنب، ومن جموعها فِقَر كعنب وفقرات بكسر الفاء مع سكون القاف وبفتحهما أو بكسرتين وكعنبات.

(٤) أى تنبهوا إليه. (٥) بفتح التاء.

(٦) هكذا وقف حفص عن شيخه عاصم وقفة خفيفة بلا تنفس، وقرأ الجمهور بلا وقف مع الإدغام، قال سيبويه إن النون تدغم فى الراء، ولم يذكر الإظهار، قالوا ولعل ماجنح إليه حفص عن عاصم رأى كوفى فإن عاصماً شيخ حفص عالم فى النحو عظيم، وكأنه قصد بالوقف المبالغة فى بيان أن لا إدغام وأقول إن القراءة بالتلقى، لا بالتشهى.

المحتضر بعضهم لبعض أيكم يرقيه مما به من الرُّقْيَــة من حد[1] ضرب ، أو هو من كلام الملائكة، أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب،من الرُّقىّ[2] من حد علم (وظن) أيقن المحتضر (أنه الفراق) أن هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت الساق بالســاق) التوت ساقاه[3] عند موته ، وعند سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه[4] وقيل شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة ، على أن الساق مثل فى الشدة[5] وعن ابن عباس[6] رضى الله عنهما هُمَا هَمّان هم الأهل والولد ، وهم القدوم على الواحد الصمد (إلى ربك يومئذ المساق) هو مصدر ساقه أو مساق العباد إلى حيث أمر الله[7] إما إلى الجنة أو إلى النـار (فلا صدق) بالرسول والقرآن (ولا صلى) الإنسان فى قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه (ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الإيمان ، أو فلا صدق ماله يعنى فلا زكاه (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) يتبختر ، وأصله يتمطط أى يتمدد ، لأن المتبختر يمد خطاه ، فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أولى لك) بمعنى ويل لك[8]

---

(١) أى من بابها .

(٢) بمعنى العروج .

(٣) الأولى أن يقول التوت ساقه على ساقه فإن الالتفـات والالتواء لواحدة على الأخرى هلعاً من الموت ، وهذا روى عن الشعبىّ وقتادة وأبى مالك .

(٤) فالالتفاف عليه الانضمام فهو مطاوع لففت الشىء بالشىء ضممته إليه كما فى القاموس ، ويريد ابن المسيب أن الانضمام والالتفاف بواسطة الأكفان .

(٥) هذا رأى ابن عباس والربيع بن أنس وإسماعيل ابن أبى خالد وغيرهم .

(٦) هذا مروى عن عطاء لا عن ابن عباس فإن صح فلعلها رواية أخرى عن الحبر وافقت ما روى من عطاء .

(٧) كأنه يشير إلى مضافين مقدرين أى إلى موضع أمر ربك (من جنة أو نار) مساق العباد .

(٨) فهو علم للويل مبنى على أفعل من لفظ الويل ، فأصله أويل ثم حصل قلب مكانى ، وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل ، مبتدأ خبره لك .

أو هو[1] دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فأولى * ثم أولى لك فأولى) كرر للتأكيد، كأنه قال ويل لك فويل لك، ثم ويل لك فويل لك، وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك فى القبر وويل لك حين البعث وويل لك فى النار (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) أيحسب الكافر أن يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (ألم يك نطفة من منى يمنى)[2] بالياء ابن عامر وحفص، أى يراق المنى فى الرحم، وبالتاء يعود إلى النطفة (ثم كان علقة) أى صار المنى قطعة دم جامد بعد أربعين يوماً (فخلق فسوى) فخلق الله منه بشراً سوياً (فجعل منه) من الإنسان[3] (الزوجين الذكر والأنثى) أى من المنى[4] الصنفين (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) أليس الفعّال لهذه الأشياء بقادر على الإعادة؟ وكان صلى الله عليه وسلم إذا قرأها يقول سبحانك بلى. والله أعلم.

---

(١) هذا وجه آخر تفصيله أنه فى الأصل أفعل تفضيل من الولى بمعنى القرب، غلب فى القرب من الهلاك ودعاء السوء، كأنه قيل هلاكا أولى لك، أى أهلكك الله تعالى هلاكا أقرب إليك من كل شر وهلاك.

(٢) من هنا إلى آخر السورة استشهاد على أن الإنسان لا يترك سدى دون بعث وحساب على تقصيره ببيان أنه مخلوق من نطفة نوعت إلى ذكر وأنثى، ومن خلقه كذلك قَدَر على بعثه، وبعثه لازم لحساب المقصرين حتى لا يستوى المحسن والمسيء، فلا يصح للإنسان الظن بأنه يترك سدى.

(٣) أو من المنى.

(٤) أو من الإنسان كما قاله قبلا.

ســــورة الإنسان

مكية وهى إحدى وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(هل أتى) قد مضى[1] (على الإنسان) آدم عليه السلام[2] (حين من الدهر)[3] أربعون سنة مصوراً قبل نفخ الروح فيه[4] (لم يكن شيئاً مذكوراً) لم يُذْكر اسمه ولم يُدر ما يراد به لأنه كان طيناً يمر به الزمان ، ولو كان غير موجود لم يوصف بأنه قد أتى عليه حين من الدهر[5] ومحل لم يكن شيئاً مذكوراً النصب على الحال من

سورة الإنسان

تناسب ما قبلها تمام المناسبة فآخر ما قبلها فى خلق الإنسان وأول الدهر كذلك ، وكلتاهما ذكرت بالآخرة ووجهت النفوس إلى العمل لها .

(١) فهل بمعنى قد التى للتحقيق ، حقيقة عند بعض النحاة ، مجازاً عند آخرين كأبى عبيدة ، فعلى هذا الرأى يحمل استفهامها على أنه للتقرير ، ويرجع آخراً إلى معنى قد أتى .

(٢) الأولى أن المراد به جنس الإنسان لا آدم ، لقوله تعالى بعده « إنا خلقنا الإنسان من نطفة » الآية فآدم لم يخلق من نطفة ، وعلى هذا فالحين الذى لم يكن فيه مذكوراً ، ما قبل تصويره ، حين كان عناصر أولية ثم غذاء ثم نطفة تتطور وتتقذرها النفوس ولا تستحق أن يجرى ذكرها على الشفاه فتكون شيئاً مذكوراً .

(٣) الحين قدر من الزمان غير محدود ، والدهر مدة العالم جميعها ، وقد يطلق على كل زمان طويل غير معين .

(٤) ومن قبل مكث أربعين سنة طيناً ، ثم أربعين سنة أخرى حمأ مسنونا كما ورد فى الخبر .

(٥) يقصد من ذلك أن الحين الذى أتى عليه من الدهر ولم يكن فيه شيئاً مذكوراً هو الحين الذى كان فيه مصوراً لم ينفخ فيه الروح ، فهو بذلك يكون موجوداً =

الإنسان ، أى أتى عليه حين من الدهر غير مذكور (إنا خلقنا الإنسان) أى ولدَ آدم[1] وقيل الأول ولدُ آدم أيضاً ، وحين من الدهر على هذا مدة لبثه فى بطن أمه إلى أن صار شيئاً مذكوراً بين الناس (من نطفة أمشاج) نعت أو بدل منها ، أى من نطفة قد امتزج فيها الماءان ، وَمَشَجه وَمَزَجه بمعنى ، ونطفة أمشاج كبُرمةٍ أعشار ، فهو لفظ مفرد غير جمع ، ولذا وقع صفة للمفرد[2] (نبتليه) حال أى خلقناه مبتلين ، أى مريدين ابتلاءه بالأمر والنهى له[3] (فجعلناه سميعاً بصيرا) ذا سمع وبصر (إنا هديناه السبيل) بينا له طريق الهدى بأدلة العقل والسمع (إما شاكراً) مؤمناً (وإما كفوراً) كافراً ، حالان من الهاء فى هديناه ، أى إن شكر وكفر فقد هديناه السبيل فى

= فيصلح أن يقال فيه إنه أتى عليه حين من الدهر الخ ، وإطلاق الإنسان على مادته مجاز ، بجعل ما هو بالقوة منزلا منزلة ما هو بالفعل ، أو هو من مجاز الأول ، ومثل ذلك يقال فى الوجه الآتى .

(١) هذا خلاف القواعد ، فإن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عينها أقيمت مقام ضميرها، وفى إقامة الظاهر مقام المضمر فضل التمكين فى النفس ، فالأولى أن يراد منه ومن سابقه جنس الإنسان كما اخترناه ، وهو ماذكره بصيغة التمريض بقوله . وقيل الأول ولد آدم أيضاً الخ .

(٢) قال سيبويه إن أفعالا لا يكون جمعاً بل هو مفرد ، وقد ذهب إلى ذلك فى أنعام ، ومنه أعشار فى قولهم برمة أعشار . أى منكسرة ، وأكياش فى قولهم بردٍ أكياشٍ ، أى غزل غزله مرتين ، وقيل أمشاج جمع مشج كسبب وأسباب ، أو مشج ككتف وأكتاف ، أو مشيج كشهيد وأشهاد ، أى أخلاط جمع خِلط بمعنى مختلط ممتزج ، ووصفت به النطفة وهى مفردة لأنها فى معنى الجمع ، لاشتمالها على حيوانات وماء وغير ذلك .

(٣) فسر ابن عباس (نبتليه) بمعنى ننقله من طور إلى طور ، ومن حال إلى حال ، وهو خير مماذكر .

الخالين ، أو من السبيل ، أى عرفناه السبيل إما سبيلا شاكراً وإما سبيلا كفوراً ، ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ، ولما ذكر الفريقين أتبعهما ما أعد لهما فقال (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكى وأبو عمرو وحمزة ، وبه[١] ليناسب أغلالا وسعيراً ، إذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب غيرهم (وأغلالا) جمع غُل[٢] (وسعيراً) ناراً موقدة ، وقال (إن الأبرار) جمع برّ وبارّ كرب وأرباب وشاهد وأشهاد ، وهم الصادقون فى الإيمان ، أو الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر[٣] (يشربون من كأس) خمر فنفس الخمر تسمى كأساً ، وقيل الكأس الزجاجة إذا كان فيها خمر (كان مزاجها) ما تمزج به[٤] (كافوراً) ماء[٥] كافور ، وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده (عينا) بدل منه (يشرب بها عباد الله) أى منها أو الباء زائدة أو هو محمول على المعنى[٦] أى يلتذ بها أو يروى بها[٧] وإنما قال أولا بحرف من ، وثانياً بحرف

---

(١) أى وبالتنوين ، وهو خبر مقدم ، وغيرُهم الذى هو آخر الكلام مبتدأ مؤخر ، أى وبالتنوين قرأ غيرهم .

(٢) وهو طوق العنق أو قيد الرجل والأخير هو المراد هنا ، والسلاسل السابقة لأعناقهم يسحبون بها .

(٣) الذر النمل الصغير ، ومائة منه تزن حبة شعير ، واحدته ذرة ، أى لا يؤذون شيئاً حتى صغار النمل التى لا يؤبه بها ، وهذا القول مروى عن الحسن ، ولا ينافى ما سبق .

(٤) فهى اسم آلة كالحزام لما يحزم به .

(٥) فالكلام على حذف مضاف .

(٦) يريد أنه مضمن معنى يلتذ .

(٧) أحسن مما ذكر أن الباء أصلية للملابسة والممازجة ، ومفعول يشرب ملحوظ ، والتقدير يشرب بها عباد الله الخمر ، وفى آخر كلامه ما يؤدى إليه وإن لم يذكره .

الباء، لأن الكأس مبتدأ شربهم وأول غايته ، وأما العين فبها يمزجون شرابهم ، فكأنه قيل يشرب عباد الله بها الخمر (يفجرونها) يجرونها حيث شاءوا من منازلهم[1] (تفجيراً) سهلا لا يمتنع عليهم[2] (يوفون بالنذر) بما أوجبوا على أنفسهم،وهو جواب مَنْ عسى أن يقول مالهم يرزقون ذلك[3] والوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات ، لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيراً) منتشراً من استطار الفجر[4] (ويطعمون الطعام على حبه) أى حب الطعام مع الاشتهاء والحاجة إليه[5] أوعلى حب الله (مسكينا) فقيراً عاجزاً عن الاكتساب (ويتيما) صغيراً لا أب له (وأسيراً) مأسوراً مملوكا أو غيره[6] ثم عللوا إطعامهم فقالوا[7] (إنما نطعمكم لوجه الله) أى

---

(١) أى أما كن نزولهم من الجنة ، وهى بساتينهم وبين قصورهم .

(٢) يعنى أن التفجير من النوع السهل ، فتنكير المصدر للتنويع ، أما أصل ذكره فللتوكيد .

(٣) أى أن جملة يوفون استئناف لبيان ما لأجله يرزق الأبرار هذا النعيم وقع جواباً لسؤال مفروض ممن يسمع هذا النعيم ، تقديره مالهم إلخ .

(٤) أى انتشر ضوءه .

(٥) على حد قوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

(٦) مؤمناً ، وأدخلوا فيه الزوجة والخادم والسجين والغريم ، أو كافراً ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه ، فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه .

(٧) أى بلسان المقال كما يقتضيه كلامه ، وإنما قالوه إزالة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقص للأجر ، ويجوز أن يكون مقالهم هذا بلسان الحال لما يظهر عليهم من أمارات الإخلاص ، وسواء كان هذا المقال الذى تضمن علة إطعامهم بلسان الحال أو بلسان المقال فهو مقول لقول محذوف وقع حالا من فاعل يطعمون ، أى يطعمونهم قائلين فى تعليل إطعامهم بلسان الحال أو المقال إنما نطعمكم إلخ .

لطلب ثوابه . أو هو بيان[1] من الله عز وجل عما فى ضمائرهم ، لأن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم وإن لم يقولوا شيئاً (لا نريد منكم جزاء) هدية على ذلك (ولا شكوراً) ثناء ، وهو مصدر كالشكر (إنا نخاف من ربنا) أى إنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة ، أو إنا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف (يوما عبوساً قمطريراً) وصف اليوم بصفة أهله من الأشقياء نحو نهارك صائم ، والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه[2] (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) صانهم من شدائده (ولقاهم) أعطاهم بدل عبوس الفجار (نضرة) حسناً فى الوجوه (وسروراً) فرحاً فى القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على الإيثار ، نزلت فى علىّ وفاطمة وفِضَّة[3] جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما نذروا صوم ثلاثة أيام ، فاستقرض على رضى الله عنه من يهودى[4] ثلاثة أصوع[5] من الشعير ، فطحنت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فآثروا بذلك ثلاث عشايا[6] على أنفسهم مسكيناً ويتيما وأسيراً[7] ولم يذوقوا إلا الماء فى

(١) إن كان الشيخ يريد أنه استئناف لبيان نيتهم جىء به للثناء من الله عليهم بما أضمروه فى نفوسهم من أن الإطعام لوجهه تعالى خاصة دون أن ينطقوا ، وأنه غير موصول إعرابه بما سبق ، فإنه يرد عليه أن ذلك يقتضى كون العبارة هكذا . إنما يطعمونهم لوجه الله . الآية . بضمير الغيبة لا بضمير الخطاب ، فإن قصد أنه بيان من الله صاغه على لسان حالهم لا مقالهم فإنه يكون حسناً ، ويكون التقدير قائلين بلسان الحال إنما نطعمكم إلخ ويكون القول المحذوف حالا من فاعل يطعمون كما مر فى رقم (٧) من الصفحة السابقة وهذا الوجه من المعنى اختيار مجاهد .

(٢) فيكون توكيداً لما قبله ، فإن العَبوس كثير العُبوس ، ويطلق القمطرير على الشديد الصعب ، وعلى الطويل ، فيكون وصف اليوم به على أحد هذين المعنيين تأسيساً .

(٣) فضة اسم لجاريتهما . (٤) هو شمعون الخيبرى .

(٥) أصْوُع كأعظم جمع صاع ، والصاع أربعة أمداد ، والمد رطل وثلث بالعراق .

(٦) جمع عشية ، وهى آخر النهار ، وثلاث ظرف لآثروا .

(٧) فالمسكين جاءهم بالعشية الأولى بعد صلاة المغرب ، واليتيم بالعشية الثانية كذلك ، والأسير بالعشية الثالثة أيضاً ، وهذا الخبر مشهور بين الناس ، وهو أطول وأوسع كثيرا مما ذكره النسفى ، وكله موضوع مفتعل كما ذكره الترمذى وابن الجوزى .

وقت الإفطار (جنة) بستاناً فيه مأكل[١] هنيء (وحريراً) ملبساً بهياً[٢] (متكئين)[٣] حال من هم في جزاهم (فيها) في الجنة (على الأرائك) الأسرة[٤] جمع الأريكة (لا يرون) حال من الضمير المرفوع في متكئين ، أي غير رائين (فيها) في الجنة (شمساً ولا زمهريرا) لأنه لاشمس فيها ولا زمهرير ، أي فظلها دائم وهواؤها معتدل ، لا حر شمس يُحمِي ولا شدة برد تؤذي ، وفي الحديث هواء الجنة سجسج لاحر ولا قُرّ[٥] فالزمهرير البرد الشديد[٦] وقيل القمر ، أي الجنة مضيئة لايحتاج فيها إلى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) قريبة منهم ظلال أشجارها ، عطفت على جنة أي وجنة أخرى دانية[٧] عليهم ظلالها ، كأنهم وعدوا بجنتين لأنهم وصفوا بالخوف بقوله إنا نخاف من ربنا، ولمن خاف مقام ربه جنتان (وذللت) سخرت للقائم والقاعد والمتكىء، وهو حال من دانية ، أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها عليهم ، أو معطوفة

---

(١) المأكل مصدر أكل ، والمراد منه المأكول مجازاً ، ومأكول البستان ثماره ، والهنيء السائغ ، أي الذي لا غصة فيه .

(٢) حسناً .

(٣) من معاني الاتكاء الجلوس ، وحَسُنَ أن يراد هنا ، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم « أما أنا فلا آكل متكئاً » أي جالساً على هيئة المتمكن المستدعية لكثرة الأكل .

(٤) أي في الحجال أي القباب ، وبدونها لا تسمى أرائك ، وقيل الأريكة ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة .

(٥) هذا تفسير السجسج ، والقر البرد .

(٦) إذا أريد منه ذلك وجب أن يراد من الشمس حرها مجازاً ، لأنه هو الذي يقابل البرد ، أما إن أريد من الزمهرير القمر ، فالشمس على حقيقتها .

(٧) فهي على هذا صفة لجنة أخرى . المحذوفة ، وهذا مع كونه خلاف الظاهر يقتضي أن الجنة الأولى ليست دانية الظلال عليهم ، مع أن الجنان كلها دانية الظلال ، والأنسب عطف دانية على جملة لا يرون حالا مثلها .

عليها ، أى ودانية عليهم ظلالها ومذللة (قطوفها) ثمارها جمع قِطف[1] (تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة) أى يدير عليهم خدمهم كئوس الشراب ، والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء[2] (وأكواب) أى من فضة ، جمع كوب وهو إبريق لا عروة له (كانت قوارير) كان تامة ، أى كونت فكانت قوارير بتكوين الله ، نصب على الحال[3] (قوارير من فضة) أى مخلوقة من فضة ، فهى جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها[4] حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها ، قال ابن عباس رضى الله عنهما قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنة فضة ، قرأ نافع والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر بالتنوين فيهما ، وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما ، وابن كثير بتنوين الأول ، والتنوين فى الأول لتناسب الآى المتقدمة والمتأخرة ، وفى الثانى لإتباعه الأول والوقف على الأول قد قيل ، ولا يوثق به لأن الثانى بدل من الأول (قدروها تقديرا) صفة لقوارير من فضة ، أى أهل الجنة قدروها على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم . أو السقاة جعلوها على قدرِ رِىِّ شاربها ، فهى ألذّ لهم وأخف عليهم ، وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض[5] (ويسقون) أى الأبرار (فيها) فى الجنة (كأساً) خمراً (كان مزاجها زنجبيلا * عيناً) بدل من زنجبيلا (فيها) فى الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها ، والعرب تستلذه وتستطيبه ، وسلسبيلا لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها ، قال أبو عبيدة ماء سلسبيل أى عذب طيب (ويطوف عليهم ولدان) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين ، أو ولدان

(١) بكسر القاف ، وهو ما يقطف من الثمار أياً كانت .

(٢) الإناء فى اللغة الوعاء مطلقاً ، لا إناء الماء فقط ، وفى هذه الآنية ما شاء الله من الأطعمة ، لا الأشربة كما قال ، فإن لها الأكواب الآتية .

(٣) من فاعل كانت التامة ، والقوارير جمع قارورة ، وعاء من زجاج للشراب .

(٤) مصدر شفّ يَشِفّ إذا رق فحكى ما تحته .

(٥) أى لا يزيد ما فيها فيسيل ولا ينقص .

الكفرة يجعلهم الله تعالى خدماً لأهل الجنة (مخلدون) لا يموتون [1] (إذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم (لؤلؤاً منثورا) وتخصيص المنثور لأنه أزين في النظر من المنظوم [2] (وإذا رأيت ثَمَّ) ظرف أي في الجنة وليس لرأيت مفعول ظاهر ولا مقدر [3] ليشيع في كل مرئي ، تقديره وإذا اكتسبت الرؤية في الجنة (رأيت نعيما) كثيراً (وملكا كبيرا) واسعاً، يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه [4] وقيل [5] ملك لا يعقبه هُلك [6] أو لهم فيها ما يشاءون ، أو تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون في الدخول عليهم (عاليهم) بالنصب على أنه حال من الضمير في يطوف عليهم ، أي يطوف عليهم ولدان عالياً للمطوف عليهم [7] ثياب ، وبالسكون مدني وحمزة على أنه مبتدأ خبره (ثياب سندس) أي ما يعلوهم من ملابسهم ثياب سندس [8] رقيق الديباج [9] (خضر) جمع أخضر (وإستبرق) غليظ [10] برفعهما [11] حملا على الثياب نافع وحفص ، وبجرهما حمزة وعلى

---

(١) أو المعنى باقون على صباهم ، وبأذن كل منهم خَلَدَة أي قرط .

(٢) بل لأنهم مفرقون في مجالسهم لخدمتهم . منثورون فيها ، فأشبهوا اللؤلؤ المنثور دون المنظوم .

(٣) فهو منزل منزلة اللازم .

(٤) فهما في الوضوح سواء .

(٥) أي قيل في تفسير كبره الوجوه الآتية .

(٦) أي هلاك وزوال .

(٧) وهم الأبرار .

(٨) قال صاحب القاموس هو معرَّب بلا خلاف .

(٩) أي الحرير.

(١٠) لعله غليظه بالهاء ، أي غليظ الديباج ، فالإستبرق غليظ الحرير .

(١١) أي برفع خضر وإستبرق، حملا على الثياب المرفوعة ،فالأول رفع على أنه صفتها ، والثاني بالعطف عليه .

حملا على سندس[1] و برفع الأول[2] وجر الثانى[3] أو عكسه غيرهم[4] (وحلوا) عطف على ويطوف (أساور من فضة) وفى سورة الملائكة يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ، قال ابن المسيب لا أحد من أهل الجنة إلا وفى يده ثلاثة ، أسورة واحدة من فضة ، وأخرى من ذهب ، وأخرى من لؤلؤ[5] (وسقاهم ربهم) أضيف إليه تعالى للتشريف والتخصص ، وقيل إن الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ، و يقولون لقد طال أخذنا من الوسائط ، فإذا هم بكاسات تلاقى أفواههم بغير أكف من غيب إلى عبد[6] (شراباً طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا ، لأن كونها رجساً بالشرع لا بالعقل ، ولا تكليف ثم[7] أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدى الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة[8] يقال لأهل الجنة (إن هذا) النعيم (كان لكم

---

(١) المجرورة وصفاً فى الأول وعطفاً فى الثانى .

(٢) وهو خضر وصفاً لثياب .

(٣) وهو استبرق عطفاً على سندس .

(٤) غيرهم مبتدأ بعد حذف المضاف الذى كان مبتدأ خبره قوله سابقاً . برفع الأول الخ ، أى قراءة غيرهم بما ذكر .

(٥) فلا غرابة على هذا أن ترى فى آية أساورهم من فضة ، وفى أخرى من ذهب ، وفى أخرى من لؤلؤ .

(٦) أى جاءت من غيب إلى عبد الله ، أى أن سقى الله لهم ليس بالمناولة كما يفعل الناس ، ولكن الكأس تجىء عباد الله من الغيب دون وساطة الملائكة ،

(٧) أى لا تكليف فى الجنة ليشرع تحريمها فيها كما شرع فى الدنيا ، وكلامه موهم أن الحكم بنجاسة خمر الدنيا دون خمر الآخرة غير معقول المعنى ، مع أن تنجيس الأولى للمبالغة فى التنفير عنها ، لأنها جالبة للجرائم مضعفة للعقل ، مضيعة للمال ، ولهذا حرمت ، أما خمر الآخرة فطاهرة لخلوها عن ذلك ،

(٨) الوضرة الوسخة ، وكذا الدنسة ، وعلى هذا تكون طهارتها حسية وعلى ما قبله تكون معنوية ، وذكرت ضمائر « لأنه » ومابعده مع عودها على الخمر المؤنثة لإرادة العنب ففيه استخدام .

جزاء) لأعمالكم (وكان سعيكم مشكورا) محموداً مقبولا مرضياً عندنا ، حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) تكرير الضمير[1] بعد إيقاعه اسماً لإنّ تأكيدٌ على تأكيد[2] بمعنى[3] اختصاص الله بالتنزيل ، ليستقر فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقاً[4] إلا حكمة وصواباً ، ومن الحكمة الأمر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الأذية وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر[5] من تأخير الظفر

---

(١) بذكر كلة . نحن بعد إنا . ونحن هذه ، إما تأكيد . للفظ « نا » . فى إنا ، أو ضمير فصل حرف لا محل له من الإعراب ، أو مبتدأ خبره مابعده ، وهو وخبره خبر لإن .

(٢) التأكيد الأول جاء من إدخال إن على ضمير المتكلم ، والثانى من التكرير .

(٣) قوله (بمعنى) إلخ صفة لتأكيد الأول ، أى تأكيد ملتبس بمعنى اختصاص الله إلخ ، فتكرير الضمير مع إفادته التوكيد أفاد هنا الاختصاص .

(٤) التفريق مأخوذ من صيغة التنزيل ، فإنها مقتضية للتكرار غالباً ، بخلاف الإنزال فإن هذه الصيغة تصدق ولو نزل دفعة واحدة ، وقوله ليستقر فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم إلخ غير مسلم ، فإن كون تنزيله مفرقاً لحكمة ، مستقر فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم منذ أول الرسالة ، لا من الاختصاص المستفاد من تكرير ضمير المتكلم فى هذه الآية وإسناد التنزيل إليه تعالى وحده وتأكيد ذلك بإن .

وإنى أرى أن هذه الآية مسوقة لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم على كفر قومه بالقرآن النازل منجما لحكم تقتضيه ، بعد ما اشتد عليه ذلك الإعراض منهم ، وتاقت نفسه لأن ينصر عليهم ، وذلك ببيان أن القرآن إنما نزله الله . وهو أعلم بمصلحة الدعوة التى نزل هذا القرآن مشكاة لها ، ولهذا أمره بالصبر لحكمه تعالى بتأخير نصره عليهم فقال « فاصبر لحكم ربك » إلخ .

(٥) الضجر هو التبرم ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يطع ولن يطيع آثماً أو كفوراً ، فإنه معصوم عما يؤثم أو يكفر ، والذى أراه أن النهى لإقناط قريش بأنه لا سبيل لأن يطيعهم فى مؤثم أو مكفر ، فإنه إذ يقرأ عليهم نهى ربه كأنما يخبرهم أن لا سبيل إلى طاعتهم ، فقد نهى عنها ، فهو طلب بمعنى الخبر الإقناطى المعلل ، واللغة تتسع لذلك كما اتسعت لمجىء الخبر بمعنى الطلب ، كما فى قوله تعالى « والوالدات يرضعن » فهو على معنى ليرضعن .

(آثماً) راكباً لما هو إثم داعياً لك إليه (أو كفورا) فاعلا لما هو كفر داعياً لك إليه ، لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر ، فنهى أن يساعدهم على الأولين دون الثالث[١] وقيل الآثم عتبة لأنه كان ركاباً للمآثم والفسوق ، والكفور الوليد لأنه كان غالياً فى الكفر والجحود ، والظاهر أن المراد كل آثم وكافر ، أى لا تطع أحدهما ، وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معاً[٢] ومتفرقاً[٣] ولو كان بالواو لجاز أن يطيع أحدهما لأن الواو للجمع ، فيكون منهياً عن طاعتهما معاً لا عن طاعة أحدهما ، وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعاً أنهى[٤] وقيل أو بمعنى ولا ، أى ولا تطع آثماً ولا كفورا (واذكر اسم ربك) صل له (بكرة)[٥] صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل صلاة العشاءين (وسبحه ليلا طويلا) أى تهجد له هزيعاً طويلا من الليل ، ثلثيه أو نصفه

---

(١) أتى بآثم مع كون هذا الآثم كافراً للإيذان بأنهم مع كفرهم قسمان قسم يغلب عليه الإثم ويدعو إليه ، وقسم آخر يغلب عليه الكفر ويدعو إليه ، فنهى عن طاعة كل منهما فيما عرف به ودعا إليه ، وهذا أوضح مما ذكره الشيخ .

(٢) فلو أطاعهما معاً لم يكن منتهياً ، لانه عند طاعتهما قد أطاع فى ضمن ذلك واحداً لابعينه ، وقد نهى عن ذلك .

(٣) الأولى أن يقول ومتفرقين .

(٤) أفعل تفضيل من نهى المبنى للمجهول ، وهو غير قياسى ، أى أكثر أن ينهى ، وهذه عبارة الزمخشرى ، وهى غير التوجيه الذى ذكرناه فى رقم (٢) تعليقا على قوله « فيكون منهياً عن طاعتهما معاً ومتفرقين » فالطريق مختلف وإن اتحدت الغاية ، إذ النهى عن طاعتهما على الأول جاء من تحقق الأحد فيهما ، وعلى الثانى جاء بالبرهان الأولوى ، فإنه إذا نهى عن طاعة أحدهما لوجود داع واحد من الإثم والكفر ، فلأن يكون منهياً عن طاعتهما أولى لاجتماع داعيين .

(٥) البكرة أول النهار ، والأصيل قد يطلق على الوقت من الزوال إلى الغروب .

أو ثلثه[١] (إن هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة (ويذرون وراءهم) قدامهم[٢] أو خلف ظهورهم (يوماً ثقيلا) شديداً لا يعبئون به وهو يوم القيامة لأن شدائده تثقل على الكفار (نحن خلقناهم وشددنا) أحكمنا (أسرهم) خلقهم عن ابن عباس رضى الله عنهما والفراء (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم وبدلنا أمثالهم[٣] فى الخلقة ممن يطيع (إن هـذه) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) بالتقرب إليه بالطاعة له واتباع رسوله (وما تشاءون) اتخاذ السبيل إلى الله ، وبالياء مكى وشامى وأبو عمرو ، ومحل (إلا أن يشاء الله) النصب على الظرف ، أى إلا وقت مشيئة الله ، وإنما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختيار ذلك ، وقيل هو لعموم المشيئة فى الطاعة والعصيان والكفر والإيمان ، فيكون حجة لنا على المعتزلة[٤] (إن الله كان عليما) بما يكون منهم من الأحوال (حكيما) مصيباً فى الأقوال والأفعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (فى رحمته) جنته لأنها برحمته تنال[٥] وهو حجة على المعتزلة لأنهم يقولون قد شاء أن يدخل كلا

---

(١) رأى جماعة من العلماء ، أن التهجد باق وجوبه على الرسول خاصة بعد نسخه فى حق الأمة ، وهذه الآية من ضمن أدلتهم على ذلك ، والأولى حذف الثلثين والنصف والثلث ، فإن القائلين بوجوبه على الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة قالوا بنسخ الطريقة التى جاءت فى أول المزمل لقوله تعالى آخرها « فاقرءوا ما تيسر من القرآن » أى فصَلِّ ما تيسر من الصلاة بدون قيد راجع ما كتبناه عليها آخر المزمل .

(٢) فهو يطلق على ما يوارى قدّاماً كما هنا ، لأن القيامة أمامهم ، أو خلفاً بأن يراد خلف ظهورهم ، كناية عن أنهم لا يحفلون به .

(٣) فى اللغة بدلته . اتخذته بدلا ، فتبديل أمثالهم اتخاذ هذه الأمثال بدلا منهم بعد إهلاكهم .

(٤) لكن المقام لا يساعد على هذا العموم ، فلا يتم الاحتجاج .

(٥) فالرحمة مجاز عن الجنة . من إطلاق الحال على المحل .

فى رحمته لأنه شاء إيمان الكل[1] والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء فى رحمته ، وهو الذى علم منه أنه يختار الهدى (والظالمين) الكافرين لأنهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ، ونصب بفعل مضمر يفسره (أعد لهم عذاباً أليما) نحو أوعد وكافأ .

---

(١) يريد بذلك أن يبطل مذهب المعتزلة القائلين إن الله شاء أن يدخل المؤمن والكافر الجنة ، أى أحب ذلك ورضيه ، لأنه تعالى شاء إيمان الكل أى أحبه . وذلك حسب قاعدتهم المعروفة ، وهى أن المشيئة والمحبة والرضا شىء واحد ، والله تعالى يقول « ولا يرضى لعباده الكفر » فهو سبحانه قد شاء أى رضى لهم الإيمان ، وإن اختاروا الكفر ، وشاء لهم تبعاً لذلك دخول الجنة ، أى أحبه ورضيه ، ومذهبهم هذا يقتضى أن يدخلهم الله الجنة ، لأنه وعد أن يدخل فى جنته من يشاء إدخاله فيها ، وقد شاء إدخالهم فيها كما قالوا ، وذلك لا يقول به قائل ، حتى المعتزلة أنفسهم ، فقد منعوا أن يدخلها مرتكبو الكبائر فى إصرار ، فكيف يدخلها الكافرون ، وإذا كان مذهبهم يؤدى إلى هذا الباطل وجب أن ينهدم أساسه ، وهو أنه تعالى شاء هداية الكل ، ووجب أن ينحازوا إلى مذهب أهل السنة ، وهو أن الله تعالى شاء هداية المؤمن فقط ، ، وشاء أن يدخله وحده الجنة ، وقد وعد سبحانه أن يدخل فى رحمته أى جنته من يشاء إدخاله فيها ، وهو المؤمن فقط كما بينا ، فلا محظور على مذهبهم .

ولكن المعتزلة يقولون شاء الله هداية الكل ، أى رضيها ، وشاء أى أحب أن يدخل الجميع الجنة لكن بشرط أن يؤمنوا لا مطلقاً كما صورهم أهل السنة ، فالكافر المصر على كفره لم يشأ الله دخوله الجنة ، فلا يتحقق فيه الوعد الكريم بأنه تعالى يدخل فى جنته من يشاء إدخاله فيها ، وإذا كان كذلك فلن يدخلها ، .فلا محظور فى ذلك ، فالمذهبان فى النهاية متفقان ، ولا حجة فى الآية ضد مذهبهم .

سورة المرسلات

مكية وهى خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والمرسلات عرفا * فالعاصفات عصفا * والناشرات نشرا * فالفارقات فرقا * فالملقيات ذكرا * عذراً أو نذرا *) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن[1] فى مضيهن ، وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع فى الأرض ، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر[2] والجهل بما أوحين ، ففرقن بين الحق والباطل ، فألقين ذكراً إلى الأنبياء عليهم السلام ، عذراً للمحقين أو نذراً للمبطلين ، أو قسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن ، وبرياح رحمة نشرن السحاب[3] فى الجو ففرقن بينه ، كقوله ويجعله كسفا[4] فألقين ذكراً إما عذراً للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها ، وإما نذراً للذين لا يشكرون وينسبون ذلك إلى

سورة المرسلات

مكية ، فقد نزلت فى غار بمنى كما أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن مردويه عن ابن مسعود — وتناسب ما قبلها فى أنه سبحانه أقسم فيها على تحقيق ما تضمنته سورة الدهر من وعد ووعيد .

(١) أى اشتددن وأسرعن مبادرة إلى تنفيذ أوامر الله تعالى .

(٢) متعلق بالموتى يعنى أن نفوس الكفار فى حكم الميتة بسبب كفرها وجهلها ، وأن الملائكة نشرتها بالوحى وأحيتها .

(٣) أى بسطته .

(٤) أى قطعا ، جمع كسفة ، كقطعة وزنا ومعنى ، يعنى أن الرياح تفرق السحاب بعد اجتماعه فتجعله قطعاً ، فيكون معنى الآية كقوله تعالى (ويجعله كسفاً) .

الأنواء[1] وجُعِلن ملقيات للذكر باعتبار السببية ، عرفا حال ، أى متتابعة كعرف الفرس[2] يتلو بعضه بعضاً ، أو مفعول له ، أى أُرسِلن للإحسان والمعروف ، وعصفاً ونشراً مصدران ، أو نُذْرا[3] أبو عمرو وكوفى[4] غير أبى بكر وحماد[5] والعذر والنذر مصدران[6] من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا خوّف على فُعْل كالكفر والشكر[7] وانتصابهما على البدل من ذكراً أو على المفعول له (إن ماتوعدون) إن الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لاريب فيه ، وهو جواب القسم ، ولا وقف إلى هنا ، لوصل الجواب بالقسم (فإذا النجوم طمست) محيت أو ذهب بنورها ، وجواب فإذا محذوف والعامل فيها جوابها ، وهو وقوع الفصل ونحوه[8]

---

(١) أى ينسبون الغيث أى المطر إلى النجوم ، والرياح تنذرهم بأخذهم بها كما أخذ بها من كان قبلهم .

(٢) أى شعر عنقه ، وهى على هذا حال جامدة مؤولة بالمشتقّ .

(٣) أى بإسكان الذال كما فى النيسابورى .

(٤) يقصد به حمزة وعلياً وخلفاً وعاصماً كما فى النيسابورى .

(٥) أما هما فقد ضما ذال نذراً كما فى الآلوسى والنيسابورى .

(٦) أى إذا كانت بإسكان الذال أما إذا قرئت نذراً بضم الذال فإنها تكون جمع نذير بمعنى الإنذار كما قال أبو عبيد .

(٧) ومع كونهما مصدرين كالكفر والشكر فهما مصدران سماعيان ، إذ المصدر القياسى لعذر المتعدى فعل بفتح فسكون ، ومصدر أنذر الإنذار .

(٨) هذا اختيار أبى حيان ، فعنده أن جواب الشرط دل عليه الكلام ، وتقديره وقع يوم الفصل ، أو وقع ما توعدون ، أو نحو ذلك ، وعلى هذا يكون قوله تعالى الآتى « لأى يوم أجلت » مَقُولا لقول محذوف وقع حالا من نائب فاعل « أقتت » . أى مقولا فيها لأى يوم أجلت ، وقال بعض العلماء متعلّق لأى يوم أجلت هو الجواب ، والتقدير إذا حصلت تلك الأمور الهائلة يقولون لأى يوم أجلت أمور الرسل ، وهو العامل فى إذا .

والنجوم فاعل فعل[1] يفسره طمست (وإذا السماء فرجت) فتحت فكانت أبواباً (وإذا الجبال نسفت) قلعت من أماكنها (وإذا الرسل أقتت) أى وقتت ، كقراءة أبى عمرو[2] أبدلت الهمزة من الواو[3] ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم[4] (لأى يوم أجلت) أخرت وأمهلت ، وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ، والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت (ليوم الفصل) بيان[5] ليوم التأجيل ، وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق (وما أدراك ما يوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لأمره (ويل) مبتدأ وإن كان نكرة ، لأنه فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ، ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه[6] ونحوه سلام عليكم (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم خبره (ألم نهلك الأولين) الأمم الخالية المكذبة (ثم نتبعهم الآخرين) مستأنف[7] بعد وقف ، وهو وعيد لأهل مكة ، أى ثم نفعل

(١) إذا أداة شرط فلا يليها إلا الأفعال فإن لم يلها فعل كما هنا قدرته ، والتقدير هنا . وإذا طمست النجوم ، وهذا هو ما دعا الشيخ إلى أن يقول . والنجوم فاعل فعل الخ . وهو يقصد مرفوع فعل ، فإن الفعل المقدر مبنى للمجهول وهو يرفع نائب فاعل ، وإن قدرته مبنياً للمعلوم جاز ، نحو وإذا زالت النجوم .

(٢) التى جاءت على الأصل . (٣) أى فى قراءة حفص .

(٤) وقيل معناه بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره ليحكم فيه بينها وبين أممها وهو يوم القيامة .

(٥) هذا حل معنى ، وإعرابه أنه بدل من لأى يوم ، أو متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله ، تقديره أجلت ليوم الفصل .

(٦) المشهور فى مثل ذلك أن مسوغه كونه الدعاء ، وفيه من المسوغات عدا ذلك أنه عامل فى يومئذ أو موصوف به .

(٧) هذا على رفع نتبعهم ، أما على جزمه كما قرىء به فمعطوف على نهلك ، والأولون على هذا هم مَن أهلك أولا من المكذبين للرسل ، والآخرون من أهلكوا قريباً من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم كقوم لوط وفرعون ، أما على رفع نتبعهم فالآخرون قريش ، والأولون من أهلك قبلهم ، كما يفهم بجلاء مما ذكره النسفى .

بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين ، لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بما أوعدنا (ألم نخلقكم من ماء مهين) حقير وهو النطفة (فجعلناه) أى الماء (فى قرار مكين) مقر يتمكن[1] فيه وهو الرحم ، ومحل (إلى قدر معلوم) الحال أى مؤخراً[2] إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به ، وهو تسعة أشهر أو ما فوقها أو ما دونها (فقدرنا) فقدّرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن ، أو فقدَرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن ، والأول أحق لقراءة نافع وعلىّ بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدّره (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة الفطرة (ألم نجعل الأرض كفاتاً) هو من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه ، وهو اسم ما يكفت[3] كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب[4] (أحياء وأمواتاً) كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتاً ، أو بفعل مضمر يدل عليه كفاتاً[5] وهو تكفت ، أى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتاً فى بطنها ، والتنكير فيهما للتفخيم ، أى تكفت أحياء لا يعدون وأمواتاً لا يحصرون (وجعلنا فيها رواسى) جبالا ثوابت (شامخات) عاليات (وأسقيناكم[6] ماء فراتا) عذباً

(١) أى يستقر .

(٢) يقصد أن إلى قدر متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول جعلناه تقديره مؤخرا إلى قدر إلخ .

(٣) أى اسم جنس له أو اسم آلة ، وأنشدوا له قول الصمصامة بن الطرماح :

فأنت اليوم فوق الأرض حى ... وأنت غداً نضمك فى كفات

(٤) يقول النحاة إن اسم الجنس أو الآلة لا يعملان ، فلا يصح ما قاله من جعل أحياء مفعولا لكفاتا ، لأنه كما قال اسم لما يكفت ، أى اسم جنس أو آلة له ، والصواب أن ناصبه فعل يدل عليه (كفاتا) تقديره تكفت أى تجمع أحياء إلخ ، نعم لو جعل مصدرا كالقتال نعت به للمبالغة فلا يحتاج إلى تقدير فعل .

(٥) هذا هو الصواب .

(٦) أسقيناكم بمعنى سقيناكم ، أو الأول للدلالة على الماء ، والفرات الشديد العذوبة ، وفعله فرت ككرم .

(ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) أى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا إلى النار التى كنتم بها تكذبون (انطلقوا) تكرير للتوكيد (إلى ظل) دخان جهنم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب ، وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق (لا ظليل) نعت ظل ، أى لا مظل من حر ذلك اليوم وحر النار (ولا يغنى) فى محل الجر أى وغير مغن لهم (من اللهب) من حر اللهب شيأ (إنها) أى النار (ترمى بشرر) هو ما تطاير من النار (كالقصر)[١] فى العظم ، وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة[٢] (كأنه جمالة) كوفى غير أبى بكر جمع جمل[٣] ، جمالات غيرهم جمع الجمع[٤] (صفر) جمع أصفر ، أى سود[٥] تضرب إلى الصفرة ، وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه ، وبالجمال للعظم والطول واللون[٦] (ويل يومئذ للمكذبين) بأن هذه صفتها (هذا يوم لا ينطقون) وقرئ بنصب اليوم ، أى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ[٧] وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله « ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » فقال

---

(١) القصر الدار الكبيرة ، واحد القصور ، وهذا رأى الأكثرين .

(٢) وهذا رأى ابن عباس .

(٣) والتاء لتأنيث الجمع كما فى البحر .

(٤) أى قرأ جمالات . غيرهم ، وتكون جمعا لجمال الذى هو جمع كرجالات جمع رجال .

(٥) فان سواد الإبل يضرب إلى الصفرة ، كذا قيل ، ولا داعى لذلك فمن الجمال ما هو أصفر ، فإن لم تكن تفرض صفرتها ، لأن لون الشرر أصفر لا سواد فيه ، ولهذا سكت بعض المفسرين عن ذكر هذا السواد .

(٦) فان الجمال فى تتابعها تكون طويلة ، ولعلها شبهت بالقصر أولا ، لأنها حين تخرج من النار تكون كبيرة ، وشبهت بالجمال الصفراء ثانيا ، لأنها تتجزأ بعد ذلك وتتابع فتكون كالجمال الصفر المتتابعة .

(٧) فهو على النصب متعلق بمحذوف ، وذلك المحذوف خبر هذا .

فى ذلك اليوم مواقف ، فى بعضها يختصمون ، وفى بعضها لا ينطقون ، أو لا ينطقون بما ينفعهم ، فجعل نطقهم كلا نطق ، (ولا يؤذن لهم) فى الاعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى[1] أى لا يكون لهم إذن واعتذار (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل والمحسن والمسىء بالجزاء (جمعناكم) يا مكذبى محمد (والأولين) والمكذبين قبلكم (فإن كان لكم كيد) حيلة فى دفع العذاب (فكيدون) فاحتالوا علىّ بتخليص أنفسكم من العذاب ، والكيد متعد[2] تقول كدت فلاناً إذا احتلت عليه (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (إن المتقين) من عذاب الله (فى ظلال) جمع ظل (وعيون) جارية فى الجنة (وفواكه مما يشتهون) أى لذيذة مشتهاة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال ، أى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك[3] (هنيئاً بما كنتم تعملون) فى الدنيا (إنا كذلك نجزى المحسنين) فأحسنوا تجزوا بهذا (ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة (كلوا وتمتعوا) كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا على وجه التهديد ، كقوله اعملوا ما شئتم (قليلا) لأن متاع الدنيا قليل (إنكم مجرمون) كافرون ، أى إن كل مجرم يأكل ويتمتع أياماً قلائل ثم يبقى

---

(١) يدفع بذلك سؤالا حواه ، لماذا لم يحذف نون فيعتذرون نصبا بعد الفاء فى جواب النفى ، وخلاصة كلامه أن المقصود نفى اعتذارهم مطلقا ، فلذا عطف على يؤذن المنفى ، والفاء للترتيب الذكرى ، وكأنه قال يوم لا يكون لهم إذن ولا اعتذار مطلقا ، ولو نصب لأفاد نفى اعتذارهم المسبب على الإذن ، وذلك لا ينافى أن يعتذروا بدون إذن ، مع أن ذلك لا يحصل هناك ، فإن هذا المقام مقام تعذيب ، إذ أنه بعد انتهاء الحساب الذى كان فيه منهم اعتذار لم ينفع ، كقوله تعالى « يوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم » .

(٢) ومفعوله هنا محذوف تخفيفاً وملاحظة لخواتم الآى ، دل عليه بنون الوقاية المكسورة فى قوله فكيدون وأصله فكيدونى .

(٣) يقصد أن هذا القول المقدر هو الحال ، وأما كلوا واشربوا إلخ فهو فى موضع النصب مقولا لذلك القول ، وليس هو الحال .

فى الهلاك الدائم (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعم (وإذا قيل لهم اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه ، ودعوا هذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم ، أو إذا قيل لهم صلوا لا يصلون[1] (ويل يومئذ للمكذبين) بالأمر والنهى (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) أى إن لم يؤمنوا بالقرآن مع أنه آية مبصرة[2] ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأى كتاب بعده يؤمنون[3] والله أعلم .

---

(١) فهو مجاز مرسل أطلق فيه الركوع على الصلاة لأنه بعضها .

(٢) أى منيرة هادية ، كقوله تعالى « والنهار مبصراً » أى منيراً .

(٣) يعنى أن « فبأى حديث » إلخ جواب لشرط محذوف كما قدره أول التعليق على هذه الآية .

ســورة النبأ

مكية وهى أربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(عمّ) أصله عن ما وقرىء بها ، ثم أدغمت النون فى الميم فصار عما وقرىء بها ، ثم حذفت الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير ، وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه[1] لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية[2] (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضاً[3] أو يسألون غيرهم من المؤمنين[4] والضمير لأهل مكة ، كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث و يسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عن النبأ العظيم) أى البعث وهو بيان[5] للشأن المفخم[6] وتقديره عم يتساءلون ، يتساءلون

ســـورة النبأ

تناسب ما قبلها فى إقامة الأدلة على البعث فيها وكذلك فى الاشتمال على وصف الجنة والنار إلى غير ذلك مما اشتركت فيه معها .

(١) وليس استفهاماً حقيقياً لأنه الخ .

(٢) ومن كان كذلك فلا يستفهم ليعلم .

(٣) وعليه يجوز أن التساؤل على بابه بأن يكون كل منهم سائلا ومسئولا ، ويجوز أن يكون على غير بابه، بأن يكون البعض سائلا والبعض مسئولا ، واختيار صيغة التفاعل على هـذا الوجه لتدل على صدور السؤال من متعدد ، وأن النبأ دعا الكثيرين إلى أن يسألوا غيرهم استنكاراً وتعجباً .

(٤) والتساؤل على هذا الوجه على غير بابه قطعاً ، فإن المؤمنين لا يبادلون الكفار السؤال الساخر عن البعث ، فالمراد منه السؤال الواقع من متعدد كما مر فى رقم (٣) .

(٥) أى بحسب المعنى ، لكن الجار والمجرور متعلق بمحذوف كما سيقدره المفسر .

(٦) أى بيان للأمر الذى فخم سابقاً بالاستفهام التفخيمى .

عن النبأ العظيم (الذى هم فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بانكاره ، ومنهم من يشك ، وقيل الضمير للمسلمين والكافرين ، وكانوا جميعاً يتساءلون عنه ، فالمسلم يسأل ليزداد خشية ، والكافر يسأل استهزاء (كلا) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزؤا (سيعلمون) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عياناً[1] أن ما يتساءلون عنه حق (ثم كلا سيعلمون) كرر الردع للتشديد ، وثم يشعر بأن الثانى أبلغ[2] من الأول وأشد (ألم نجعل الأرض) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة ، فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات ، أو قيل لهم لِمَ فعل[3] هذه الأشياء والحكيم لا يفعل عبثاً ، وإنكار[4] البعث يؤدى إلى أنه عابث فى كل ما فعل[5] (مهاداً)[6] فراشاً فرشناها لكم حتى سكنتموها (والجبال أوتادا) للأرض لئلا تميد بكم[7] (وخلقناكم أزواجاً) ذكراً وأنثى[8] (وجعلنا نومكم سباتا) قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم ، والسبت القطع[9] (وجعلنا الليل لباساً) ستراً يستركم عن العيون إذا أردتم إخفاء مالا تحبون

---

(١) أى معاينة لأهوال القيامة التى أوعدوا بها .

(٢) جاء ذلك من أن ثم للتراخى فى الرتبة .

(٣) عبارة أصله ألم يفعل ، وهى تناسب صيغة التقرير فى الآية .

(٤) الأولى وانتفاء البعث فى الواقع ، فإنه هو الذى يؤدى إلى العبث دون إنكارهم مع تحقق البعث فإنه لا يؤدى إلى ذلك .

(٥) فإن عدم البعث يؤدى إلى ترك المحسن دون إثابة ، والمسىء دون عقوبة ، وهذا عبث محال على الله تعالى .

(٦) المهاد البساط والفراش ، والكلام على التشبيه البليغ بحذف الأداة ، أى مثل المهاد فى أنها مبسوطة يمكن الانتفاع بها ، وقرىء مهداً تشبيهاً لها بمهد الصبى .

(٧) أى تضطرب بسبب ما فى جوفها من أبخرة تسبب لولا الجبال زلزالها ، فهى لها كأوتاد الخيمة تحفظها من السقوط ، والأوتاد جمع وتد بفتح التاء وكسرها .

(٨) أو أصنافاً فى اللون والصورة واللسان وغير ذلك .

(٩) ومن معانيه الراحة والموت ، وكذا السبات ، فالنوم راحة وموت أصغر .

الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم (و بنينا فوقكم سبعاً) سبع سموات (شداداً) جمع شديدة أى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان ، أو غلاظاً غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام[1] (وجعلنا سراجاً وهاجا) مضيئاً وقادا ، أى جامعاً للنور والحرارة ، والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) أى السحائب إذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ، ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض ، أو الرياح لأنها تنشىء السحاب وتُدِر أخلافه[2] فيصح أن تجعل[3] مبدأ للإنزال[4] وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب[5] (ماء ثجاجا) منصباً بكثرة[6] (لنخرج به) بالماء (حباً) كالبر والشعير (ونباتاً) وكلأ[7] (وجنات) بساتين (ألفافاً) ملتفة الأشجار واحدها لِفّ كجذع وأجذاع ، أولفيف كشريف وأشراف ، أو لا واحد له كأوزاع[8] أو هى جمع الجمع فهى جمع لُف[9] ولُف جمع لفاء ، وهى شجرة مجتمعة ، ولا وقف من ألم

---

(١) السماء أعظم من ذلك ، ولا دليل على هذا التقدير يعتمد عليه .

(٢) الأخلاف حلمات ضرع الناقة ، مفرده خِلْف ، و إدرارها إنزال اللبن منها كثيراً ، والكلام مبنى على تشبيه السحاب بالناقة ثم الاستعارة التمثيلية .

(٣) أى الرياح .

(٤) فتكون هى المعصرات ، وإنزال الماء منها لأنها مبدؤه فهى التى تزجيه .

(٥) لم يصح ، والسحاب إنما يتكون بتسلط أشعة الشمس على السطوح المائية ، والبخار المتولد بسبب ذلك يرتفع بوساطة الهواء إلى منطقة السحاب ، فيتحول فيها إلى سحاب .

(٦) فثجاجاً صيغة مبالغة من ثجّ الماء أى نزل بكثرة كانثج وتثجثج .

(٧) الكلأ العشب رطبه ويابسه ، تأكله الدواب .

(٨) هى الجماعات المتفرقة .

(٩) بضم اللام ، واستبعد بأنه لم يجىء فى نظائرة هذا الجمع ، فقد جاء خضر جمع خضراء ، وحمر جمع حمراء ، ولم يجىء أخضار جمع خضر ، ولا أحمار جمع حمر ، وجمع الجمع لا ينقاس ، ووجود نظيره فى المفردات لا يكفى .

تجعل إلى ألفافاً ، والوقف الضرورى على أوتاداً ومعاشا (إن يوم الفصل) بين المحسن والمسىء والمحق والمبطل (كان ميقاتا) وقتاً محدوداً ومنتهى معلوماً لوقوع الجزاء ، أو ميعاداً للثواب والعقاب[1] (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل ، أو عطف بيان (فى الصور) فى القرن[2] (فتأتون أفواجا) حال أى جماعات مختلفة[3] أو أمماً كل أمة مع رسولها (وفتحت السماء) خفيف كوفى ، أى شقت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج[4] (وسيرت الجبال) عن وجه الأرض (فكانت سرابا) أى هباء[5] تخيل الشمس أنه ماء[6] (إن جهنم كانت مرصادا) طريقاً عليه ممر[7] الخلق فالمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها ، وقيل المرصاد الحد[8] الذى يكون فيه الرَّصْد ، أى هى حد الطاغين

---

(١) فلا يستعجل عن وقته .

(٢) أى البوق ، أو هو جمع الصورة ، والنافخ فى البوق إسرافيل ، والنافخ فى صور الخلائق الله تعالى .

(٣) كجماعة للمصلين ، وجماعة للشائين بالنميمة وهكذا .

(٤) أى شقوق وثقوب .

(٥) هو الغبار يشبه الدخان .

(٦) فيشبه فى ذلك السراب وليس بسراب ، إذ السراب هو الهواء الذى يلى الأرض فتسخنه حرارة الشمس ، ويتسرب بعضه إلى ما فوقه ، وقد انعكست عليه الأشعة الضوئية الشمسية المنكسرة ، يحسبه الظمآن البعيد عنه ماء ، وليس بماء ، والصواب كون المراد من الآية أن الجبال حين تصبح كالصوف المنفوش يخيل لرائيها من بعد أنها لا تزال جامدة ثابتة فى أماكنها لاحتفاظها بصورتها الجبلية ، وما هى كذلك ، فقد تحللت وأصبحت تمر مر السحاب ، فمثلها كمثل السراب يخيل لرائيه أنه ماء وليس كذلك ، أى أنها كانت خادعة فى مظهرها كالسراب .

(٧) مصدر ميمى بمعنى مرور .

(٨) الحد من معانيه المنتهى وهو مراد هنا .

الذين يرصدون[١] فيه للعذاب وهي مآبهم، أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها، لأن مجازهم عليها (للطاغين مآبا) للكافرين مرجعاً (لابثين) ماكثين حال مقدرة من الضمير فى للطاغين، حمزة لبِثين واللَّبِث أقوى إذ اللابث من وجد منه اللبث وإن قل، واللَّبِث من شأنه اللبث والمقام فى المكان[٢] (فيها) فى جهنم (أحقابا) ظرف جمع حُقب[٣] وهو الدهر[٤] ولم يرد به[٥] عدد محصور، بل الأبد، كلما مضى حُقب تبعه آخر إلى غير نهاية، ولا يستعمل الحقب والحِقبة[٦] إلا إذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها[٧] وقيل الحقب ثمانون سنة، وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب بعد عشرين سنة لابثين فيها أحقابا[٨] (لا يذوقون فيها برداً ولا شرابا) أى غير ذائقين حال من ضمير لابثين، فإذا

---

(١) أى يرتقبون وينتظرون والراصدون هم ملائكة العذاب.

(٢) ولذا سموا صيغته صيغة مبالغة، والمقام مصدر ميمى بمعنى الإقامة.

(٣) الحاء مضمومة، والقاف كذلك أو ساكنة.

(٤) يطلق الدهر على الزمان الطويل، وعلى ألف سنة، وعلى غير ذلك.

(٥) أى لم يرد بالأحقاب عدد محصور من الحقب المذكور معناه حتى يقال إن وجودهم فى النار غير أبدى، بل المراد منه الأبد، كلما مضى حقب تلاه آخر إلى مالا نهاية لأن الجمع لا يلزم تناهى آحاده، وصيغة جمع القلة التى هى أحقاب نابت عن صيغة الكثرة التى هى حقب كعنب، ووجه اختيارها هنا مراعاة أواخر الآيات، وقد دل على إرادة التأبيد آيات صريحة، منها قوله تعالى « يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ».

(٦) مفردان بمعنى واحد.

(٧) بشهادة المأخذ فإنه مأخوذ من الحقيبة، وهى ما يشد خلف الراكب تابعة له.

(٨) أجاب بمنطوق الآية لما أشكل عليه مفهومها، فإن ظاهره يوهم عدم التأبيد وقد بينا خلافه فراجعه برقم (٥).

انقضت[1] هذه الأحقاب التى عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا بأحقاب أُخَر فيها عذاب آخر ، وهى أحقاب بعد أحقاب لاانقطاع لها ، وقيل[2] هو من حَقِب عامنا إذا قل مطره وخيره ، وحَقِب فلان إذا أخطأه الرزق ، فهو حقِب[3] وجمعه أحقاب ، فينتصب حالا عنهم ، أى لابثين فيها حقبين جهدين ، ولا يذوقون فيها برداً ولا شرابا تفسير له وقوله (إلا حميماً وغساقاً) استثناء منقطع ، أى لا يذوقون فى جهنم أو فى الأحقاب برداً رَوحاً ينفس[4] عنهم حر النار ، أو نوماً ومنه منع البرْدُ البردَ[5] ولا شراباً يسكن عطشهم ، ولكن يذوقون فيها حميماً ماء حاراً يحرق ما يأتى عليه ، وغساقاً ماء يسيل من صديدهم ، وبالتشديد كوفى غير أبى بكر (جزاء) جوزوا جزاء (وفاقاً) موافقاً لأعمالهم مصدر بمعنى الصفة ، أو ذا وفاق . ثم استأنف معللا فقال (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) لا يخافون محاسبة الله إياهم ، أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابا[6] (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيباً ، وفِعَّال فى باب فَعَّل كله فاش[7] (وكل شىء) نصب بمضمر يفسره (أحصيناه كتابا) مكتوباً[8] فى اللوح حال ، أو مصدر فى

(١) قال سابقاً إن الأحقاب أبدية ، وكلامه هنا نحو آخر لقائل آخر هو الزجاج يفرض أنها غير أبدية ، حيث قال إنهم يلبثون فيها أحقاباً غير ذائقين برداً ولا شراباً إلا حميما وغساقاً ثم ينتقلون بعد تلك الأحقاب إلى جنس آخر من العذاب الأبدى غير الحميم والغساق ، وما كان يصح أن يمزج قولا بآخر ينافيه ، وكان يمكن مع الحالية التأبيد ، أى أنهم يلبثون فيها الأبد غير ذائقين فيها إلا الحميم والغساق .

(٢) ذكره الزمخشرى . (٣) كحذر صيغة مبالغة .

(٤) الروح الراحة ، والتنفيس التفريج .

(٥) البرد الأول مقابل الحر ، والثانى النوم .

(٦) أى يخافوه أو يتوقعوه فيكون مجازاً عن عدم إيمانهم بالبعث ، من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم .

(٧) أى أنه يجىء مصدر فعل بشد العين على فِعَّال كثيراً فى كلام فصحاء العرب ، قال الزمخشرى لايقولون غيره ، وقال وسمعنى بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فِسَّاراً ما سمع بمثله .

(٨) أى أنه مصدر بمعنى اسم المفعول .

موضع إحصاء ، أو أحصينا فى معنى كتبنا ، لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالباً ، وهذه الآية اعتراض لأن قوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ، أى فذوقوا جزاءكم ، والالتفات شاهد على شدة الغضب (فلن نزيدكم إلا عذابا) فى الحديث هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار (إن للمتقين مفازا) مفعل من الفوز يصلح مصدراً ، أى نجاة من كل مكروه وظفراً بكل محبوب ، ويصلح للمكان وهو الجنة ثم أبدل منه بدل البعض من الكل[1] فقال (حدائق) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة (وأعنابا)[2] كروماً عطف على حدائق (وكواعب) نواهد (أترابا) لِدَات[3] مستويات فى السن (وكأساً دهاقا) مملوأة[4] (لا يسمعون فيها) فى الجنة حال من ضمير خبر إن (لغوا) باطلا (ولا كِذَّابا) الكسائى خفيف بمعنى مكاذبة أى لا يكذب بعضهم بعضاً[5] أو لا يكاذبه[6] (جزاء) مصدر ، أى جزاهم جزاء (من ربك عطاء) مصدر[7] أو بدل من جزاء[8] (حسابا) صفة ، يعنى كافياً[9] أو على حسب أعمالهم (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن) بجرهما ابنُ عامر وعاصم بدلا من ربك ، ومن رفعهما فرب خبر مبتدأ محذوف ،

---

(١) على أن مفازاً اسم مكان ، ورابطه مقدر ، أى حدائق فيه ، أما على أنه مصدر فبدل اشتمال منه ، أى حدائق فى محله .

(٢) جمع عنب ، يقال للكرم نفسه ، ولثمرته ، والمتبادر هنا الأول كما ذكره المفسر.

(٣) تفسير لأترابا ، وما بعده تفسير لِلِدَات .

(٤) ومنه دَهَقَ الكأس أى ملأها .

(٥) تفسير لكذاباً على التشديد ، أى أنه بمعنى التكذيب .

(٦) تفسير لِكذَاباً بالتخفيف .

(٧) أى لمحذوف تقديره أعطُوا .

(٨) أو مفعول به لجزاء كما عند الزمخشرى كأنه قيل جزاهم عطاء .

(٩) من أحسبه الشىءُ إذا كفاه حتى قال حسبى.

أو مبتدأ خبره الرحمن ، أو الرحمن صفته ، ولا يملكون خبر ، أو هما خبران[١] والضمير في (لا يملكون) لأهل السموات والأرض ، وفي (منه خطابا) لله تعالى أي لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلا بإذنه ، أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفاً (يوم يقوم) إن جعلته ظرفاً للا يملكون لا تقف على خطاباً، وإن جعلته ظرفاً للا يتكلمون تقف. (الروح) جبريل عند الجمهور ، وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقاً أعظم منه (والملائكة صفا) حال أي مصطفين (لا يتكلمون) أي الخلائق ثَمَّ خوفاً (إلا من أذن له الرحمن) في الكلام أو الشفاعة (وقال صوابا) حقاً بأن قال المشفوع له لا إله إلا الله في الدنيا ، أو لا يؤذن إلا لمن يتكلم بالصواب في أمر الشفاعة (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) مرجعاً بالعمل الصالح (إنا أنذرناكم) أيها الكفار (عذاباً قريباً) في الآخرة لأن ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء) الكافر ، لقوله إنا أنذرناكم عذاباً قريباً (ما قدمت يداه) من الشر لقوله « وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم » وتخصيص الأيدي لأن أكثر الأعمال تقع بها وإن احتمل أن لا يكون للأيدي مدخل فيما ارتكب من الآثام (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم ، أو المرء عام[٢] وخص منه الكافر ، وما قدمت يداه ما عمل من خير وشر[٣] أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده ، وما قدم من خير ، وما استفهامية منصوبة بقدمت ، أي ينظر أي شيء قدمت يداه ، أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته يعني نظرت إليه ، والراجع[٤] من الصلة محذوف أي ما قدمته (ياليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف ، أو ليتني

---

(١) ورب السموات هو المبتدأ .

(٢) أي أن المرء في قوله « يوم ينظر المرء » إما أن يراد به الكافر كما مر ، أو العموم وذكر الكافر بعده تخصيص بعد تعميم .

(٣) هذا المعنى على إرادة العموم من المرء بأن يعم المؤمن والكافر .

(٤) أي والضمير الراجع من الصلة إلى الموصول ويسمى العائد .

كنت ترابا[1] فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان[2] غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله ، وقيل الكافر إبليس ، يتمنى أن يكون كآدم مخلوقاً من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين ، والله أعلم .

(١) أى بقيت ترابا بعد موتى .

(٢) سيأتى الكلام فى ذلك فى سورة التكوير .

ســورة النازعات

ست وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والنازعات غرقاً * والناشطات نشطاً * والسابحات سبحاً * فالسابقات سبقاً * فالمدبرات أمراً) لا وقف إلى هنا ، ولزم هنا لأنه لو وصل لصار يوم[1] ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم[2] أقسم سبحانه بطوائف[3] الملائكة التى تنزع الأرواح من الأجساد غرقاً ، أى إغراقاً[4] فى النزع ، أى تنزعها من أقاصى الأجساد من أناملها ومواضع أظفارها ، وبالطوائف التى تنشِطها أى تخرجها ، من نشَط[5] الدلو من البئر إذا أخرجها ، وبالطوائف التى تسبح فى مضيها أى تسرع ، فتسبق إلى ما أمروا به ، فتدبر أمراً من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم كما رسم لهم ، أو بخيل الغزاة التى تنزع فى أعنتها[6] نزعاً تغرق فيه[7] الأعنة لطول أعناقها لأنها

ســورة النازعات

عن ابن عباس أنها نزلت عقب سورة عم ، وأولها يشبه أن يكون قسما على تحقيق آخر عم ، أو على تحقيق ما جاء فى جميعها .

(١) أى يوم ترجف ، وهو يوم القيامة .

(٢) بل انقضى قبل ذلك اليوم .

(٣) لما كان القسم به أوصافاً مؤنثة مجموعة أراد أن يبين موصوفها اللائق بها فذكر الوجوه الآتية .

(٤) يريد أن غرقاً مستعمل موضع الإغراق ، فهو مصدر مؤكد بحذف الزائد .

(٥) من باب ضرب ، وقوله إذا أخرجها أى بلا بكرة .

(٦) جمع عنان ككتاب ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة .

(٧) أى بسببه ، يقصد أنها تجذب الأعنة كثيراً ، كأنما تغرقها بسبب ذلك الجذب مع طولها ، أى تستوفى مدها ، وذلك لطول أعناقها .

عراب ، والتى تخرج من دار الإســـلام إلى دار الحرب ، من قولك ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد ، والتى تسبح فى جريها فتسبق إلى الغاية ، فتدبر أمر الغلبة والظفر ، وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه ، أو بالنجوم التى تنزع [1] من المشرق إلى المغرب ، وإغراقها فى النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط فى أقصى الغرب ، والتى تخرج من برج إلى برج ، والتى تسبح فى الفلك من السيارة [2] فتسبق فتدبر أمراً من علم الحساب . وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن [3] لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة (يوم ترجف) تتحرك حركة شـديدة والرجْف [4] شـدة الحركة (الراجفة) النفخة الأولى ، وصفت بمـا يحدث بحدوثها ، لأنها تضطرب بها الأرض حتى يموت كل من عليها (تتبعها) حال عن الراجفة (الرادفة) النفخة الثانية لأنها تردَف [5] الأولى ، وبينهما أربعون ســنة ، والأولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قلوب يومئذ) قلوب منكرى البعث (واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب وانتصاب يوم ترجف بمـا دل عليه قلوب يومئذ واجفة [6] أى يوم ترجف وجفت القلوب ، وارتفاع قلوب بالابتداء ، وواجفة صفتها (أبصارها) أى أبصار أصحابها

---

(١) أى تجرى .

(٢) أى الـكواكب السيارة ، وهى الشمس والقـمر والمشترى وعطارد والمريخ والزهرة وزحل وغيرها مما كشف أخيراً .

(٣) وهو العامل فى يوم ترجف .

(٤) بسكون الجيم مصدر رجف أى تحـرك شديداً واضطرب ، ومن مصادره الرَجَفان والرُجوف ، وإسناد الرجف إليها مجاز عقلى علاقته السببية .

(٥) ماضيه ردف من بابى نصر وسمع أى تتْبع .

(٦) ولم يجعل منصوباً بواجفة لأنه نصب ظرفه أعنى يومئذ والتأسيس أولى من التأكيد فلا يحمل عليه ، وقد سبق جواز نصبه بجواب القسم المحذوف ، ويجوز أيضاً أن يكون مفعولا لاذكر محذوفا ، فتكون استئنافاً مقرراً لمضمون الجواب المضمر ، كأنه قيل للرسول صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فإنه وقت بعثهم .

(خاشعة) ذليلة لهول ما ترى ، خبرها[1] (يقولون) أى منكرو البعث فى الدنيا استهزاء و إنكاراً للبعث (أئنا لمردودون فى الحافرة) استفهام بمعنى الإنكار ، أى أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود أحياء كما كنا ، والحافرة الحالة الأولى ، يقال لمن كان فى أمر فخرج منه ثم عاد إليه رجع إلى حافرته ، أى إلى حالته الأولى ، ويقال النقد عند الحافرة ، أى عند الحالة الأولى ، وهى الصفقة[2] أنكروا البعث ثم زادوا استبعاداً فقالوا (أئذا كنا عظاماً نخرة) بالية ، ناخرة كوفى غير حفص ، وفَعِلٌ أبلغ من فاعل يقال نخر[3] العظم فهو نَخِرٌ وناخر ، والمعنى أنرد إلى الحياة بعد أن صرنا عظاماً بالية ، وإذا منصوب بمحذوف[4] وهو نبعث (قالوا) أى منكرو البعث (تلك) رجعتنا (إذاً كرة خاسرة) رجعة ذات خسران[5] أو خاسر أصحابها ، والمعنى أنها إن صحت و بعثنا فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها ، وهذا استهزاء منهم (فإنما هى زجرة واحدة) متعلق بمحذوف[6] أى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل ، فإنها سهلة هينة فى قدرته فما هى إلا صيحة واحدة ، يريد النفخة الثانية[7] من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه (فإذا هم بالساهرة) فإذا هم أحياء على وجه الأرض[8] بعد ما كانوا

---

(١) يقصد أن أبصارها مبتدأ خبره خاشعة ، والجملة منهما خبر قلوب .

(٢) هى عقد البيع فكأنه قال النقد عند العقد ، وسموا العقد صفقة ، لأن العرب كانوا يصفقون أيديهم عنده ، تقول صفق له بالبيع يصفق ، وصفق يده بالبيعة وعلى يده صفقاً وصفقة ضرب يده على يده عند وجوب البيع .

(٣) كفرح . (٤) هو جوابها .

(٥) يريد أن جعلها خاسرة على النسب كلابن وتامر ، فليس الخسران لها ، بل تنتسب إليه انتساب السبب للمسبب .

(٦) على أنها علة له .

(٧) فإنها تحدث صوتاً كالصياح .

(٨) فالساهرة الأرض وأنشدوا لهذا المعنى قول أمية بن أبى الصلت .

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به أبداً مقيم

أمواتاً فى جوفها ، وقيل الساهرة أرض بعينها بالشام إلى جنب بيت المقدس ، أو أرض مكة[1] أو جهنم (هل أتاك حديث موسى) استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع[2] والتشريف للمخاطب به[3] (إذ ناداه ربه) حين ناداه (بالواد المقدس) المبارك المطهر (طوى) اسمه (اذهب إلى فرعون) على إرادة القول (إنه طغى) تجاوز الحد فى الكفر والفساد (فقل هل لك إلى أن تزكى) هل لك ميل إلى أن تتطهر من الشرك والعصيان ، بالطاعة والإيمان ، و بتشديد الزاى حجازى (وأهديك إلى ربك) وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى) لأن الخشية لاتكون إلا بالمعرفة ، قال الله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » أى العلماء به ، وعن بعض الحكماء اعرف الله ، فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة عين ، فالخشية ملاك الأمر[4] من خشى الله أتى منه كل خير ، ومن أمن اجترأ على كل شر ، ومنه الحديث من خاف أدلج[5] ومن أدلج بلغ المنزل ، بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض ، كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا ، وأردفه الكلام الرقيق

= أى لحم فلاة ، وفى الكشاف هى الأرض البيضاء ، أى التى لا نبات فيها ، المستوية ، وسميت بذلك لأن السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة أى جارية الماء وضدها نائمة قال الأشعث بن قيس :

وساهرة يُضحى السراب مجللا لأقطارها قد جبتها متلثماً

أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة .

(١) الأول أظهر فإن الأرض تبدل غير الأرض فلا تكون أرض الشام ولا مكة ، كما أن هاتين لا تتسعان لجميع الخلائق .

(٢) كأنه قال لقد شاع حديث موسى فهل أتاك ووصل إليك بسبب شيوعه ؛ وهذا كلام وارد لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه ولتهديد قومه على هذا التكذيب بأن يصيبهم مثل ما أصاب أقوى منهم وأعظم .

(٣) غير ظاهر ، والظاهر أنه تسلية كما قلت فى الذى قبله .

(٤) بكسر الميم فى ملاك وفتحها ، أى قوامه الذى يملك به .

(٥) أى سار أول الليل ، أما من سار آخره فيقال فيه ادّلج بالتشديد .

ليستدعيه باللطف فى القول ، ويستنزله بالمداراة عن عتوه ، كما أمر بذلك فى قوله تعالى « فقولا له قولا لينا » (فأراه الآية الكبرى) أى فذهب[1] فأرى موسى فرعون العصا ، أو العصا واليد البيضاء ، لأنهما فى حكم آية واحدة[2] (فكذب) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماها ساحراً وسحراً (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) تولى عن موسى (يسعى) يجتهد فى مكايدته ، أو لما رأى الثعبان أدبر مرعوباً يسرع فى مشيته وكان طياشاً[3] خفيفاً (فحشر) فجمع السحرة وجنده (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه[4] (فقال أنا ربكم الأعلى) لا رب فوق وكانت لهم أصنام يعبدونها (فأخذه الله نكال الآخرة) عاقبه الله عقوبة الآخرة ، والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ، ونصبه على المصدر ، لأن أخذ بمعنى نكل ، كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة أى الإحراق[5] (والأولى) أى الإغراق ، أو نكال كلمتيه الآخرة وهى « أنا ربكم الأعلى » والأولى وهى « ماعلمت لكم من إله غيرى » وبينهما أربعون سنة ، أو ثلاثون أو عشرون (إن فى ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله (أأنتم) يا منكرى البعث (أشـد خلقاً) أصعب خلقاً وإنشاء (أم السماء) مبتدأ محذوف الخبر ، أى أم السماء أشد خلقاً ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) أى الله ، ثم بين

(١) لما كان موسى فى مقام مناداة ربه وتكليفه فإراءته فرعون الآية الكبرى لا تكون إلا بعد تركه مقام المناداة وذهابه إلى فرعون ودعوته إياه فلذا قدر المفسر كلمة فذهب على أن فاء فأراه مفصحة عن هذه الجملة عاطفة عليها رعاية لحقيقة الحال ، وكان حقه أن يجعل المقدر هكذا ، فذهب فدعاه إلى ما أمر به وجرت بينهما شئون فأراه الآية الكبرى ،لأنه لم يره الآية الكبرى عقب ذهابه فقط ، وإنما طويت هذه الجمل تعويلا على تفصيل موضوعها فى جهات أخرى، وأما باقى الآيات التسع فقد جاءت على مهل فى نحو من عشرين عاما بعد ما غلب موسى السحرة ولم يكن أول التبليغ سوى العصا واليد .

(٢) هذا رأى مجاهد ، ووحدتهما باعتبار الدلالة .

(٣) الطيّاش الخفيف ، والطيش الخفة .

(٤) بأن خطب فيهم كما فى بعض الآثار أو بوساطة مناد .

(٥) أى بنار جهنم .

البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها [١] وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو [٢] رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها [٣] مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) أظلمه (وأخرج ضحاها) أبرز ضوء شمسها [٤] وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلمتها [٥] والشمس سراجها (والأرض بعد ذلك [٦] دحاها) بسطها وكانت مخلوقة [٧] غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بألفى عام [٨] ثم فسر البسط فقال (أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلأها [٩] ولذا [١٠] لم يدخل العاطف على أخرج ، أو أخرج حال بإضمار قد (والجبال أرساها) أثبتها ، وانتصاب الأرض والجبال بإضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير (متاعا لكم ولأنعامكم) فعل ذلك تمتيعاً لكم [١١] ولأنعامكم (فإذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التى تطم على الدواهى أى تعلو وتغلب ، وهى النفخة الثانية ، أو الساعة التى يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار (يوم يتذكر الإنسان) بدل من إذا جاءت أى إذا رأى أعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها (ما سعى) مصدرية أى

---

(١) مفعول لأعلى الذى هو فعل ، وإضافة السقف إليها بيانية أى رفع السماء التى هى سقف للأرض .

(٢) هذا معنى آخر لرفع السقف، وإذا روعى المقدار من أعلى إلى أسفل فهو العمق.

(٣) أى أقامها ، وكل ما أقمته فقد عدلته بتخفيف الدال وتشديدها .

(٤) يعنى أن الضحى هو الشمس والكلام على تقدير مضاف كما قدر .

(٥) الأولى أن يقول لأن الليل حدث بسبب غياب الشمس وهى سماوية فهو من إضافة السبب للمسبب .

(٦) الإشارة راجعة إلى ما تقدم من خلق السماء ، وإغطاش الليل وإخراج الضحى .

(٧) أى قبل خلق السماء .

(٨) ليس بصحيح هذا الكلام .

(٩) هو العشب رطبه ويابسه .

(١٠) علة لقوله سابقاً ثم فسر البسط .

(١١) يقصد أن متاعاً بمعنى تمتيعاً ، وأنه مفعول له لفعل شمل ما تقدم .

سعيه ، أو موصولة (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) لكل راء لظهورها ظهوراً بيناً (فأما) جواب[1] فإذا أى إذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك (من طغى) جاوز الحد فكفر (وآثر الحيوة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فإن الجحيم هى المأوى) المرجع ، أى مأواه ، والألف واللام بدل من الإضافة[2] وهذا عند الكوفيين ، وعند سيبويه وعند البصريين هى المأوى له (وأما من خاف مقام ربه) أى علم أن له مقاما[3] يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) الأمارة بالسوء (عن الهوى) المؤذى ، أى زجرها عن اتباع الشهوات ، وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها ، والهوى ميل النفس إلى شهواتها (فإن الجنة هى المأوى) أى المرجع (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) متى إرساؤها أى إقامتها يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فيم أنت من ذكراها) فى أى شىء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به ؟ أى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شىء[4] كقولك ليس فلان من العلم فى شىء ، وكان رسول الله ﷺ لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت ، فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها أى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها[5] (إلى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره ، أو فيم إنكار لسؤالهم عنها ، أى فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكراها ، أى إرسالك وأنت آخر الأنبياء علامة من علاماتها ، فلا معنى

(١) أى أن هذه الجملة التفصيلية الشرطية هى الجواب على نحو قوله تعالى « فإما يأتينكم منى هدى » الآية .

(٢) أى من الضمير المضاف إليه .

(٣) أى قياماً فهو مصدر ميمى .

(٤) أى لعدم علمه بها .

(٥) الأولى أنها مسوقة لإنكار سؤال المشركين عنها ورده ، ببيان أنه لا يستطيع إجابتهم لعدم علمه بوقتها ، وهذا ما جنح إليه غيره ، وما قاله هو غير ظاهر فضلا عن أنه موهم أن الله يتعجب مع أن التعجب لا يكون منه تعالى .

لسؤالهم عنها ، ولا يبعد أن يوقف على هذا على فيم ، وقيل فيم أنت من ذكراها متصل بالسؤال ، أى يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون أين أنت من ذكراها ، ثم استأنف فقال إلى ربك منتهاها (إنما أنت منذر من يخشاها) أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدها ، منذر منون يزيد وعباس (كأنهم يوم يرونها) أى الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (إلا عشية أو ضحاها) أى ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ، وقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ، وإنما صحت إضافة الضحى إلى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد ، والمراد أن مدة لبثهم لم تبلغ يوما كاملا ، ولكن أحد طرفى النهار عشيته أو ضحاه[1] والله أعلم .

(١) العشية آخر النهار والضحى أوله ، وأصل الكلام إلا عشية يوم أو ضحاه ، فلما حذف اليوم أضيف ضحاه إلى عشيته فقيل ضحاها ، وهذا غير ما قاله المفسر .

سورة عبس

مكية وهى اثنتان وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(عبس) كلح[1] أى النبى صلى الله عليه وسلم (وتولى) أعرض (أن جاءه) لأن جاءه ، ومحله نصب لأنه مفعول له[2] والعامل فيه عبس أو تولى على اختلاف المذهبين[3] (الأعمى)[4] عبد الله بن أم مكتوم ، وأم مكتوم أم أبيه ، وأبوه شريح ابن مالك ، أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام ، فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه[5] فنزلت فكان

سورة عبس

وتسمى سورة السفرة ، جاء فيما قبلها « إنما أنت منذر من يخشاها » وجاء فيها هى من ينفعه الإنذار ومن لا ينفعه ، فناسب أن تذكر تالية لها .

(١) تقبض وجهه وتكشر .

(٢) أى فى المعنى لكنه منصوب بنزع الخافض لعدم اتحاد فاعله وفاعل العامل فيه .

(٣) يقصد أن هذا من باب التنازع ، ويذهب فيه البصريون إلى إعمال الأخير لقربه ، والكوفيون إلى إعمال الأول لسبقه ، ولكن الآية توافق منهج البصريين ، إذ لو أعمل الأول لكان ضمير أن جاءه واجب الإبراز فى تولى ، بأن يقال عبس وتولى له أن جاءه الأعمى ، فقوله « والعامل فيه عبس أو تولى » فيه تسامح ، ولعل غرضه أن ذلك بحسب الأصل ، أما بحسب الواقع فالعامل فيه هو الثانى لا غير .

(٤) عبر بالأعمى بدل ذكر اسمه إيذاناً باستحقاقه لعماه الرفق والرأفة ، بالاستجابة إلى ما يطلبه من العلم بدل الإعراض عنه .

(٥) بحسن نية من الرسول ﷺ وباجتهاده فقد كان يظن أن استمرار حديثه فى الإسلام مع أشراف قريش يؤدى إلى إيمانهم ، وأن قطعه الحديث معهم من أجل ابن أم مكتوم يعتبر لديهم إعراضا عنهم فينفرون ويتولون مستكبرين، وأن ابن أم مكتوم =

رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعدها ويقول مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ، واستخلفه على المدينة مرتين (وما يدريك) وأى شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى (لعله يزكى) لعل الأعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل ، وأصله يتزكى فأدغمت التاء في الزاى وكذا (أو يذكر) يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم غير الأعشى جوابا للعل ، وغيره رفعه عطفاً على يذكر (الذكرى) ذكراك أى موعظتك ، أى إنك لا تدرى ما هو مترقب منه من تزكٍّ أو تذكر ، ولو دريت لما فرط ذلك منك (أما من استغنى) أى من كان غنياً بالمال (فأنت له تصدى) تتعرض بالإقبال عليه حرصاً على إيمانه ، تصَّدى بإدغام التاء في الصاد حجازى (وما عليك ألا يزكى) وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام ، إن عليك إلا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع في طلب الخير (وهو يخشى) الله أو الكفار ، أى أذاهم في إتيانك ، أو الكبوة كعادة العميان (فأنت عنه تلهى) تتشاغل ، وأصله تتلهى ، وروى أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغنى ، وروى أن الفقراء في مجلس الشورى كانوا أمراء (كلا) ردع[1] أى لا تعد إلى مثله (إنها) إن السورة أو الآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) فمن شاء أن يذكره ذكره ، وذكر الضمير[2] لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ[3] والمعنى فمن شاء الذكر

= إذا علم مقصد الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينكسر خاطره بل يسر ؛ وإنما عوتب الرسول صلى الله عليه وسلم تعليما له بأن يعنى بأتباعه الذين آمنوا فعلا أشد من عنايته بالمستكبرين المشكوك في هدايتهم ، فإن المؤمنين الصادقين يتلهفون على تلقى الهدى منه ويتزكون به ، أما هؤلاء الأغنياء فمستكبرون مشكوك في أمرهم ، وليس مسئولا إن لم يتزكوا عن طغيانهم ، ومن مقاصد هذا العتاب إشعار شرفاء قريش بهوانهم على الله لكفرهم ، وكرامة ذلك الفقير الأعمى عنده سبحانه لإيمانه .

(١) الردع في اللغة الكف والمنع .

(٢) مع أن عوده على التذكرة وهى السورة أو الآيات يقتضى تأنيثه .

(٣) أعاد بعضهم الضميرين في «إنها» و «ذكره» على القرآن وجعل تأنيثه أولا لتأنيث خبره وهو التذكرة ، أى إن القرآن تذكرة فمن شاء ذِكْرَ القرآن وحفظه ذكره واتعظ به.

ألهمه الله تعالى إياه (فى صحف) صفة لتذكرة[1] أى إنها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أى هى فى صحف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء ، أو مرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة ، أو عما ليس من كلام الله تعالى (بأيدى سفرة) كتبة جمع سافر[2] أى الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح (كرام) على الله أو عن المعاصى (بررة) أتقياء جمع بار (قتل الإنسان) لعن الكافر ، أو هو أمية أو عتبة (ما أكفره) استفهام توبيخ ، أى أى شىء حمله على الكفر ؟ أو هو تعجب ، أى ما أشد كفره ! (من أى شىء خلقه)[3] من أى حقير خلقه[4] وهو استفهام ومعناه التقرير ، ثم بين ذلك الشىء فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل بإضمار يسر ، أى ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه ، أو بين له سبيل الخير والشر (ثم أماته فأقبره) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له ، قَبَرَ الميتَ دفنه ، وأقبره الميت أمره بأن يقبره ومكنه منه[5] (ثم إذا شاء أنشره) أحياه بعد

---

(١) وما بينهما اعتراض جىء به للترغيب فيها والحث على حفظها .

(٢) أى كاتب من السَّفْر وهو الكتب — ويجوز أن يكون جمع سافر بمعنى مسافر ، أو يجوز أن يكون جمع سفير — فعيل من سَفَرَ بين القوم أصلح بينهم ومضارعه يسفر بضم الفاء وكسرها ، ومصادره السَّفْرَ والسِّفارة والسَّفارة .

(٣) قال أبو السعود شروع فى بيان إفراطه فى الكفران . بتفصيل ما أفاض عليه من مبدإ فطرته إلى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع إخلاله بذلك فى الاستفهام عن مبدإ خلقه ، ثم بيانه بقوله تعالى (من نطفة خلقه) إلى آخر ما قال .

(٤) أى خلقه هذه الخلقة العظيمة من أصل حقير فما باله لا يؤدى بالإيمان شكر تلك النعمة .

(٥) أى مكنه من الميت ليقبره ، ويقولون أيضاً أقبر الميت أى جعل له قبراً وهذا هو المراد من الآية ، يمن الله عليه بأنه لم يجعل ميتته نهب السباع والطيور كسائر رمم الحيوانات

موته[1] (كلا) ردع للإنسان عن الكفر (لما يقض ما أمره) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان[2] ولما عدد النعم فى نفسه من ابتداء حدوثه إلى آنِ انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال (فلينظر الإنسان إلى طعامه) الذى يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (أنا) بالفتح كوفى على أنه بدل اشتمال من الطعام ، وبالكسر على الاستئناف غيرهم (صببنا الماء صباً) يعنى المطر من السحاب (ثم شققنا الأرض شقاً) بالنبات (فأنبتنا فيها حباً)[3] كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنباً) ثمرة الكرم[4] أى الطعام والفاكهة (وقضباً) رطبة[5] سمى بمصدر قضبه أى قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة (وزيتوناً ونخلا * وحدائق) بساتين (غلباً) غلاظ الأشجار جمع غَلباء (وفاكهة) لكم (وأبا)[6] مرعى لدوابكم (متاعا) مصدر أى منفعة (لكم ولأنعامكم فإذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة ، لأنها تصخ[7] الآذان أى تصمها ، وجوابه محذوف لظهوره[8]

---

(١) النشر والإنشار إحياء الميت ، أى إذا شاء إحياءه بعد موته أحياه .

(٢) ونقل عن مجاهد وقتادة أن المعنى لم يقض الانسان بعْد من لدُن آدم عليه الصلاة والسلام إلى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله بأسره ، إذ لا يخلو أحد عن تقصير ما ، فالضمير عليه راجع باعتبار الجنس، لاباعتبار كونه كافراً عاماً أوخاصاً

(٣) أى نبات حب لقوله بعد ونخلا وحدائق .

(٤) لو قال أى الكرم لكان أنسب لقوله بعد ونخلا الخ — ولا ريب أن الامتنان بالأصول المثمرة دائما أعظم من الامتنان بالثمرة التى تنقطع .

(٥) يقصد أنه النبتة الرطبة ، أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس أنه قال « هو الفِصفِصة » قلت والفصفصة نبات فارسيته كما قال صاحب القاموس اسْبَسْت وقيدها الخليل بالرطبة — وقيل القضب كل ما يقضب ليأكله ابن آدم غضاً من النبات كالبقول والهِلْيَوْن — وهو نبت معروف حار رطب .

(٦) هو النبات رطبه ويابسه طعام الماشية ومرعاها ، فهو أعم من القضب .

(٧) من باب رد يرد .

(٨) تقديره حصل من الأهوال ، مالا يحيط به المقال .

(يوم[1] يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه) لتبعات بينه و بينهم أو لاشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (و بنيه) بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحب[2] قيل أول من يفر من أخيه هابيل ، ومن أبويه إبراهيم ، ومن صاحبته نوح ولوط ، ومن ابنه نوح (لكل امرىء منهم يومئذ شأن) فى نفسه (يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به و يشغله عن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة[3] من قيام الليل ، أو من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة) أى أصحاب[4] هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها قترة) يعلو الغبرة سواد كالدخان ، ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه (أولئك) أهل هذه الحالة (هم الكفرة) فى حقوق الله (الفجرة) فى حقوق العباد ، ولما جمعوا الفجور إلى الكفر جمع إلى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم .

(١) منصوبا بأعنى تفسيراً للصاخة أو بدل منها مبنى على الفتح لإضافته إلى الفعل على رأى الكوفيين أو بدل بعض أو كل من إذا جاءت .

(٢) كأنه يريد أن هذا الترتيب روعى فيه الترقى للمبالغة .

(٣) من أسفر الصبح أضاء وكذلك سفَر فهو سافر ، ومسفرة خبر عن وجوه وقد سوغ الابتداء به مع كونه نكرة قصد التنويع ، ويومئذ متعلق به .

(٤) يقصد أن الوجوه المسفرة مجاز عن أصحابها .

ســـورة التكوير

مكية وهى تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(إذا الشمس كورت) ذُهب بضوئها ، من كورتُ العمامة إذا لففتها ، أى يلف ضوءها[1] لفاً فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق[2] وارتفاع الشمس بالفاعلية[3] ورافعها فعل مضمر يفسره كورت ، لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (وإذا النجوم انكدرت) تساقطت (وإذا الجبال سيرت) عن وجه الأرض[4] وأبعدت ، أو سيرت فى الجو تسيير السحاب (وإذا العشار) جمع عُشَراء وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر ، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة (عطلت)

سورة التكوير

تضمنت شرحا لحال يوم القيامة فكانت بذلك متممة لما جاء عن هذا اليوم فى السورة التى قبلها ، أخرج أحمد وغيره عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت » ومنه تعلم المناسبة بين تلك السور الثلاث .

(١) ففى الكلام مضاف محذوف ، ويجوز أن يراد من الشمس ضوءها مجازاً ويجوز أن يكون اللف للشمس بعينها ، وتجُوِّزَ بلفها عن رفعها وإزالتها من مكانها بعلاقة اللزوم ، فإن الثوب أن أريد رفعه يلف ثم يرفع .

(٢) وذلك إما بإبطال الإشعاع منها وإفقادها خاصية إرسال الضوء لخبوها ، وإما بستره مع بقائه ، والظاهر الأول لأن هذا وقت فساد العالم الأول ، ولف الضوء على الأول مجاز عن إبطاله ، وعلى الثانى مجاز عن ستره .

(٣) هكذا يطلق الفاعل على نائبه دائماً لنيابته عنه .

(٤) أى عن أماكنها من وجه الأرض لا عن الأرض كلها فإنها تدق بها وتسوى فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتا .

أهملت، عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم، وكانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحالة لعزتها[1] عندهم ويعطلون ما دونها، عُطِلت بالتخفيف عن اليزيدى (وإذا الوحوش حشرت) جمعت من كل ناحية، قال قتادة يحشر كل شىء حتى الذباب للقصاص، فإذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبنى آدم كالطاوس ونحوه[2] وعن ابن عباس رضى الله عنهما حَشْرها موتها، يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة[3] (وإذا البحار سُجِّرت) سجِرت مكى وبصرى، من سجر التنور إذا ملأه بالحطب، أى ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً[4] وقيل ملئت نيراناً لتعذيب أهل النار (وإذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكلها، الصالح مع الصالح فى الجنة، والطالح مع الطالح فى النار، أو قرنت الأرواح بالأجساد، أو بكتبها وأعمالها أو نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (وإذا الموءودة) المدفونة حية، وكانت العرب تئد البنات خشية الإملاق وخوف الاسترقاق[5]

---

(١) أى لكونها عزيزة عليهم — وقيل العشار السحائب عطلت فلم تعد تمطر، جعلت عشاراً تشبيها لها بالحوامل.

(٢) بحشر الحيوانات حقيقة يقول جماعة، وحجتهم مارواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء» ومال حجة الإسلام وجماعة إلى عدم حشر غير الجن والإنس، فإنهما المكلفان وهما أهل الحساب، وخرج هذا الحديث على أنه كناية عن العدل التام.

(٣) أى أهلكتهم — وهو مقول ليقال.

(٤) فيملأ أعلاها أسفلها وتصبح جميعاً ممتلئة بهذا التفجير — وفى البحر أن سجرت بمعنى جمعت بلغة خثم — وجمعها بإزالة الحواجز بينها.

(٥) أو لحوق العار — ذكر غير واحد أنه كان الرجل منهم إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم فى البادية، وإن أراد قتلها تركها، حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئراً فى الصحراء، فيبلغ بها البئر، فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالأرض.

(سئلت) سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت ، أو لتدل على قاتلها [١] أو هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله « أأنت قلت للناس » الآية [٢] (بأى ذنب قتلت) وبالتشديد يزيد ، وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يكون بلا ذنب (وإذا الصحف نُشِّرت) فتحت ، وبالتخفيف [٣] مدنى وشامى وعاصم وسهل ويعقوب ، والمراد صحف الأعمال ، تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب ، ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أى فُرِّقت بينهم (وإذا السماء كشطت) قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف (وإذا الجحيم سعرت) أوقدت إيقاداً شديداً ، وبالتشديد شامى ومدنى وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (وإذا الجنة أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله « وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد » فهذه اثنتا عشرة خصلة ، ست منها فى الدنيا والباقية فى الآخرة ، ولا وقف مطلقاً من أول السورة إلى ما أحضرت ، لأن عامل النصب فى إذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (علمت نفس) [٤] أى كل نفس ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف (ما أحضرت) من خير وشر (فلا أقسم) لا زائدة [٥] (بالخنس) بالرواجع [٦]

---

(١) لا ليعلم بل ليفضح .

(٢) وقال أبو السعود فى تعليل سؤالها — توجيه السؤال إليها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها ، وإسقاطه عن درجة الخطاب ، والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين » وهذا أوفى مما قاله النسفى .

(٣) أى بتخفيف الشين فى نشرت .

(٤) النكرة فى سياق الإثبات فيما يطرد لا تكون عامة بل للوحدة ، ولكنها قد تعم إذا اقتضى المقام أو نحوه ذلك ، ومنه قول ابن عمر لبعض أهل الشام وقد سأله عن المحرم إذا قتل جرادة ، أن يتصدق بتمرة فدية لها ؟ « تمرة خير من جرادة » قيل ولهذا العموم ساغ الابتداء بالنكرة عند إرادته منها .

ولما كانت الأمور السابقة بعضها فى آخر الدنيا وبعضها فى الآخرة جعلت الأولى لكونها مقدمات ليوم الحساب كأنها فيه وإنما جىء بها تهويلا للخطب .

(٥) لتوكيد القسم . (٦) من خنس إذا تأخر ورجع .

بينا ترى النجم فى آخر البرج إذ كر راجعاً إلى أوله (الجوار) السيارة (الكنس) الغُيَّب من كَنَس الوحشُ إذا دخل كِناسه[1] قيل هى الدرارى الخمسة بَهْرام[2] وزحل وعطارد والزهرة والمشترى[3] تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس ، فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ، وقيل هى جميع الكواكب[4] (والليل إذا عسعس) أقبل بظلامه[5] أو أدبر ؛ فهو من الأضداد (والصبح إذا تنفس) امتد ضوءه ؛ ولما كان إقبال الصبح يلازمه الرَّوح[6] والنسيم جعل ذلك نفَساله مجازا ، وجواب القسم (إنه) أى القرآن (لقول رسول) أى جبريل عليه السلام وإنما أضيف القرآن إليه لأنه هو الذى نزل به[7] (كريم) عند ربه (ذى قوة) قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف[8] (عند ذى

---

(١) وهو مستتره فى الشجر ، لأنه يكنس الرمل حتى يصل إليه .

(٢) وهو المريخ .

(٣) كشف غيرها الآن ، وسموا ما كشفوه أورانوس ونبتون ، وكذا وستا وبالاس وسرس على ماذكره الآلوسى .

(٤) لأنها تخنس بالنهار فتغيب عن العيون ، وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها ، وقيل لأنها تخنِس نهاراً وتختفى عن العيون مع طلوعها وكونها فوق الأفق . وتكنِس بعد طلوعها فى المغيب وتدخل فيه كما تكنس الظباء فى الكنُس فتكون تحت الأفق بعد أن كانت فوقه — واختار أنها عموم الكواكب على رضى الله عنه .

(٥) هذا مناسب لتنفس الصبح دون ما بعده .

(٦) الروح نسيم الريح .

(٧) أى أضيف إليه على أنه قوله لأنه نزل به ليقوله ويبلغه عن الله ولذا عبر عنه برسول .

(٨) ومن قوته أنه حمل مدائن قوم لوط الأربع بمن فيها وهوى بها فأهلكها ، ووصف بذى القوة فى معرض الرسالة لبيان اقتداره على القيام بها مع بعد الشقة .

العرش)[١] عند الله (مكين) ذى جاه ومنزلة ، ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين قال عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مطاع ثم) أى فى السموات[٢] يطيعه من فيها ، أو عند ذى العرش[٣] أى عند الله يطيعه ملائكته المقربون ، يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه (أمين) على الوحى (وما صاحبكم) يعنى محمداً ﷺ (بمجنون) كما تزعم الكفرة ، وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته (بالأفق المبين) بمطلع الشمس[٤] (وما هو على الغيب) وما محمد على الوحى (بضنين) ببخيل من الضن وهو البخل ، أى لا يبخل بالوحى كما يبخل الكهان رغبة فى الحلوان ، بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئاً مما علم ، بظنين مكى وأبو عمرو وعلى ، أى بمتهم فينقص شيئاً مما أوحى إليه أو يزيد فيه ، من الظِّنة وهى التهمة (وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد[٥] وهو كقوله وما تنزلت به الشياطين ، أى ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم ، كما يقال

(١) الظرف متعلق بمكين ، أى مكين عند ذى العرش أى ذى جاه ومنزلة كريمة لديه سبحانه .

(٢) ثَمّ ظرف يشار به للمكان البعيد معمول لمطاع أى مطاع فى السموات .

(٣) ويجوز أن يكون إشارة إلى عند ذى العرش أى إلى ظرف العندية وهو مع ذلك معمول لمطاع أى مطاع عند ذى العرش يطيعه الخ .

(٤) أى بجهة مطلع الشمس ومشرقها ففى رواية عن مجاهد أنه صلى الله عليه وسلم رآه نحو جياد ، وهو مشرق مكة ، وقيل إن المراد به مطلع رأس السرطان ، فإنه أعلى المطالع لأهل مكة — وهذه الرؤية بعد أمر غار حراء ، وأخرج الطبرانى وغيره عن ابن عباس « رآه فى صورته عند سدرة المنتهى » والأفق على هذا بمعنى الناحية ، أو سمى أفقاً مجازاً ، ومعنى المبين الواضح من أبان اللازم بمعنى اتضح ، أو الموضح من أبان غيره أوضحه .

(٥) فعيل بمعنى مفعول أى مطرود ، والطرد من معانى الرجم ، كما أن من معانيه الرمى بالرجوم أى الحجارة .

لتارك الجادة[1] اعتسافا[2] أو ذهابا فى بُنَيَّات الطريق[3] أين تذهب ، مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل ، وقال الزجاج معناه فأى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى بينت لكم ، وقال الجنيد فأين تذهبون عنا و إن من شىء إلا عندنا (إن هو إلا ذكر للعالمين) ما القرآن إلا عظة للخلق (لمن شاء منكم) بدل من العالمين (أن يستقيم) أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة ، يعنى أن الذين شاءوا الاستقامة بالدخول فى الإسلام هم المنتفعون بالذكر ، فكأنه لم يوعظ به غيرهم و إن كانوا موعوظين جميعاً (وما تشاءون) الاستقامة (إلا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق أجمعين .

---

(١) معظم الطريق وجمعها جوادّ .

(٢) أى تخبطاً على غير هداية .

(٣) بنيات الطريق تُرّهاتها ، وهى الطرق الصغيرة المتشعبة من الجادة تذهب بهم كل مذهب .

سورة الانفطار

مكية وهى تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(إذا السماء[1] انفطرت) انشقت[2] (وإذا الكواكب انتثرت) تساقطت (وإذا البحار فُجِّرت) فتح بعضها إلى بعض وصارت البحار بحراً واحداً[3] (وإذا القبور بُعثِرت) بحثت وأخرج موتاها[4] وجواب إذا (علمت نفس) أى كل نفس برة وفاجرة (ما قدمت) ما عملت من طاعة (وأخرت) وتركت فلم تعمل ، أو ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث (يـٰأيها الإنسان) قيل الخطاب لمنكرى البعث (ما غرك بربك الكريم * الذى خلقك) أىّ شىء خدعك حتى ضيعت ما وجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل ، وعنه عليه السلام حين تلاها « غره جهله » وعن عمر رضى الله عنه غره حمقه ، وعن الحسن غره شيطانه ، وعن الفضيل لو خوطبت أقول غرتنى ستورك المرخاة[5] وعن يحيى بن معاذ أقول

سورة الانفطار

(١) يقال فى رفع السماء هنا ما قيل فى سابقتها .

(٢) لينزل الملائكة لقوله تعالى « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا » .

(٣) ثم يجف الماء منها كما جاء فى بعض الروايات ، وذلك معنى التسجير عند الحسن

(٤) قال الزمخشرى بُعثر وبُحثر بمعنى ، وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما ، والمعنى بحثت وأخرج موتاها . فالنسفى نقل عنه المعنى الأخير وفيه نظر فإن البحث التفتيش ، ولا تفتيش فى القيامة عن أماكن الموتى ليخرجوا ويبعثوا ، لأن الأرض تنشق عن أمواتها فيبعثون ، فالصواب أن المعنى قلب ترابها وأخرج من فيها .

(٥) أى على ذنوب عباده — يقصد غفرانه تعالى لذنوب عباده .

غرنى بركَ بى سالفاً وآنفاً[1] (فسواك) فجعلك مستوى الخلق سالم الأعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه ، فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع ، ولا بعض الأعضاء أبيض و بعضها أسود ، أو جعلك معتدل الخلق تمشى قائماً لا كالبهائم ، وبالتخفيف كوفى ، وهو بمعنى المشدد ، أى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسباً (فى أى صورة ما شاء ركبك) ما مزيد للتوكيد ، أى ركبك فى أى صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر ، ولم تعطف هذه الجملة كما عطف ما قبلها لأنها بيان لعدلك . والجار يتعلق بركبك ، على معنى وضعك فى بعض الصور ومكنك فيها[2] أو بمحذوف[3] أى ركبك حاصلا فى بعض الصور (كلا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء[4] أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وإن عليكم لحافظين) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) يعنى أنكم تكذبون بالجزاء ، والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها (يعلمون ما تفعلون) لا يخفى عليهم شىء من أعمالكم ، وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه[5] عند الله من جلائل الأمور : وفيه[6] إنذار

---

(١) سالفاً أى ماضياً من سلف الشىء مضى ، وآنفاً أى منذ ساعة أى فى أول وقت يقرب من وقت كلامه .

(٢) وجملة شاء صفة لأى والعائد محذوف أى شاءها .

(٣) على أنه حال .

(٤) من دنته جازيته ، ومنه الديان أى المجازى .

(٥) أن وما دخلت عليه فى تأويل المصدر معطوف على تعظيم الثانية ، أى وفى تعظيم الكتبة كون الجزاء عند الله من جلائل الأمور ، أى الإشعار بذلك حيث يستعمل الله سبحانه فيه هؤلاء الكرام .

(٦) أى فيما ذكر من أن علينا حافظين يحصون أعمالنا .

وتهويل للمجرمين[1] ولطف للمتقين[2] وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين (إن الأبرار لفى نعيم) إن المؤمنين لفى نعيم الجنة (وإن الفجار لفى جحيم) وإن الكفار لفى النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وما هم عنها بغائبين) أى لا يخرجون منها ، كقوله تعالى وما هم بخارجين منها . ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين)[3] فكرر للتأكيد والتهويل و بينه بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً) أى لا تستطيع دفعاً عنها ولا نفعاً لها بوجه ، و إنما تملك الشفاعة بالإذن ، يوم بالرفع مكى و بصرى ، أى هو يوم ، أو بدل من يوم الدين ، ومن نصب فبإضمار اذكر أو بإضمار يدانون[4] لأن الدين[5] يدل عليه (والأمر يومئذ لله) أى لا أمر إلا لله تعالى وحده فهو القاضى فيه دون غيره .

---

(١) ببيان أن جرائمهم مكتوبة كلها عليهم بقلم هؤلاء الكرام .

(٢) ببيان أن حسناتهم مسجلة غير ضائعة عليهم — ومن يكتب الأعمال ملكان كاتب الحسنات وهو على المشهور على العاتق الأيمن ، وكاتب ما سواها وهو على العاتق الأيسر ، والأول أمير على الثانى فلا يمكنه من كتابة السيئة إلا بعد مضى ست ساعات من من غير مكفر لها ، ويكتبان كل شىء حتى الاعتقاد والعزم والتقرير ، وحتى الأنين فى المرض ، ويكتبان حسنات الصبى على الصحيح ، ويفارقان المكلف عند الجماع ، ولا يدخلان مع العبد الخلاء ، ولا يمنعهما ذلك من أن يكتبا ما يصدر عن العبد .

(٣) تفخيم ليوم الدين الذى به يكذبون إثر تفخيم ، وتهويل لأمره بعد تهويل ، ببيان أنه خارج عن دائرة دراية المخلوقين ، فهو فوق مايدرى ويتخيل . وما الأولى استفهامية إنكارية تهويلية مبتدأ ، وجملة أدراك خبره ، وما الثانية استفهامية خبر مقدم ليوم الدين ، وقيل بالعكس والأول أولى ، لإن ما للتهويل والمقصود الحكم على يوم الدين بأنه هائل والجملة سدت مسد مفعولى أدراك الثانى والثالث .

(٤) أى يجازون .

(٥) وهو الجزاء .

سـورة المطففين

مكية وهى ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل)[1] مبتدأ خبره (للمطففين) للذين يبخسون حقوق الناس فى الكيل والوزن (الذين[2] إذا اكتالوا على الناس يستوفون) أى إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة ، ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم

سـورة المطففين

سبب نزولها ما أخرجه النسائى والبيهقى وصححه وغيرهما عن ابن عباس أنه قال « لما قدم النبى ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله تعالى « ويل للمطففين » فأحسنوا الكيل » .

وروى أنه قرأها عليهم وقال « خمس بخمس ، ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا نشأ فيهم الموت ، ولا طففوا إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر » ولهذا قيل إنها مدنية ، وقيل إنها مكية كلها ، وقيل إلا ثمانى آيات من آخرها « إن الذين أجرموا » الآيات ، وقيل غير ذلك .

وفيما قبلها ذكر يوم الدين أى يوم الجزاء وأهواله وأحواله ، وفى هذه ذكر شىء من جزاء الناس فيه على اختلاف أعمالهم ، فناسب ذكرها بعدها .

(١) الويل شدة الشر ، وقيل العذاب الأليم ، وقيل واد فى جهنم ، وفى المفردات للراغب قال الأصمعى — ويل . قبوح — وقد يستعمل للتحسر ، وأياما كان فهو مبتدأ وإن كان فيما عدا الوجه الثالث نكرة لوقوعه موقع الدعاء .

(٢) الذين اسم موصول بالصلتين الآتيتين ، وهو صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم .

ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من[1] للدلالة على ذلك[2] ويجوز أن يتعلق على يستوفون[3] ويقدم المفعول[4] على الفعل لإفادة الاختصاص ، أى يستوفون على الناس خاصة[5] وقال الفراء من وعلى يعتقبان[6] في هذا الموضع لأنه حق عليه[7] فإذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك ، وإذا قال اكتلت منك فكأنه قال استوفيت منك ، والضمير المنصوب فى (وإذا كالوهم أو وزنوهم) راجع إلى الناس ، أى كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل ، وإنما لم يقل أو اتزنوا[8] كما قيل[9] أو وزنوهم اكتفاء[10] ويحتمل أن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة، لأنهم يدعدعون[11] ويحتالون فى الملء[12] وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين (يخسرون) ينقصون يقال خسر[13] الميزان وأخسره[14] (ألا يظن

(١) أى عبر بعلى بدل من . (٢) أى على أنهم يضرونهم فإن على للغرم .

(٣) بدل تعلقه با كتالوا .

واعلم أن المراد من يستوفون يأخذون حقهم وافراً حسبما أرادوا بأى وجه من ضروب الحيل ، كالضرب على المكيل وتحريك المكيال وغير ذلك ، وليس المراد بالاستيفاء أخذ الحق كاملا من غير نقص .

(٤) وهو على الناس . (٥) وأما على أنفسهم فلا يستوفون بل ينقصون .

(٦) أى يستعملان فيه أحدهما عقب الآخر .

(٧) بموجب شرائه منه أو نحوه .

(٨) أى لم يقل فى عبارة الشراء أو اتزنوا بأن تكون العبارة هكذا — الذين إذا اكتالوا أو اتزنو على الناس يستوفون .

(٩) أى فى عبارة البيع حيث جمع بين الكيل والوزن فيه فقال — كالوهم أو وزنوهم .

(١٠) أى اكتفاء بذكرها فى جانب الإخسار ليعلم تقديرها فى جانب الاستيفاء .

(١١) أى يملئون ، تقول دعدع الجفنة ملأها .

(١٢) فلكونهم لا يستعملون فى الشراء سوى الكيل عبر فى جانبه بالاكتيال فقط.

(١٣) من باب ضرب ، متعد . (١٤) أى نقصه .

أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم)[1] يعنى يوم القيامة ، أدخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخاً ، وليست ألا هذه للتنبيه ، وفيه إنكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف ، كأنهم لا يُخطرون ببالهم ولا يخمنون تخميناً أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ، ولو ظنوا أنهم يبعثون ما نقصوا فى الكيل والوزن . وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابياً قال له لقد سمعت ما قال الله فى المطففين ـ أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به ـ فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ؟ ونصب (يوم يقوم الناس) بمبعوثون (لرب العالمين) لأمره وجزائه . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيباً[2] وامتنع من قراءة ما بعده (كلا) ردع وتنبيه ، أى رَدَعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ، ونبّهَهُم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ، ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (إن كتاب الفجار) صحائف[3] أعمالهم (لفى سجين * وما أدراك ما سجين * كتاب مرقوم) فإن قلت قد أخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بأنه فى سجين وفسر سجيناً بكتاب مرقوم ، فكأنه قيل إن كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه ؟ قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر ، دوّن الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس[4] وهو

---

(١) جملة ألا يظن إلخ كما قال أبو السعود استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف ، والتعجيب من اجترائهم عليه ، وأولئك إشارة إلى المطففين ، ووضعه موضع ضميرهم للإشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم ، فإن الإشارة إلى الشىء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه ، وأما الضمير فلا يتعرض لوصفه اه .

(٢) النحيب أشد البكاء ، ونحيباً مفعول مطلق لبكى لأنه نوع من البكاء .

(٣) فإضافة كتاب للفجار استغراقية ، لأنه مضاف إلى ما فيه ال الاستغراقية ، أى كتاب كل كافر .

(٤) فكتاب كل فرد من الكفار مظروف فى هذا الكتاب العام الذى هو سجين .

كتاب مرقوم مسطور بيِّن الكتابة[1] أو مُعَلَّم يعلم من رآه أنه لا خير فيه[2] مِن رقَمَ الثيابَ علَّمها، والمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان. وسمى سجيناً فِعِّيلا من السجن وهو الحبس والتضييق، لأنه سبب الحبس والتضييق فى جهنم، أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة فى مكان وحش مظلم، وهو مسكن إبليس وذريته[3] وهو اسم علم[4] منقول من وصف كخاتم[5] منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب (ويل يومئذ) يوم يخرج المكتوب[6] (للمكذبين * الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء والحساب (وما يكذب به) بذلك اليوم (إلا كل معتد) مجاوز للحد (أثيم) مكتسب للإثم (إذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الأولين) أى أحاديث المتقدمين[7] وقال الزجاج أساطير أباطيل واحدها أسطورة[8] مثل أحدوثة وأحاديث (كلا) ردع للمعتدى الأثيم عن هذا القول (بل) نفى[9]

---

(١) السطر الكتابة ، وفسر « مرقوم » بمكتوب كتابة بينة لأنه من رقم الكتاب أعجمه وبينه .

(٢) أى يعلم بسبب علامته أنه كذلك .

(٣) لا أصل لهذا الكلام فهو مدسوس على الدين .

(٤) أى علم لذلك الديوان .   (٥) منقول من حاتم بمعنى خالص أو قاض .

(٦) الأولى وصله بيقوم الناس ، وما بينهما اعتراض .

(٧) أى أحاديثهم المسطورة التى لم يظهر صدقها ، وهى جمع أسطُر وسطور وأسطار ، فهى جمع الجمع .

(٨) فليست عنده جمعاً لجموع بل لمفردات — والمآل فى كليهما من حيث المراد واحد ، فإنهم يعنون الأباطيل .

(٩) أى تكذيب له ببيان سببه ، فبَلْ إضراب ونفى لما قالوه ، وما بعدها بيان لما أدى بهم إلى التفوّه بتلك العظيمة ، أى ليس فى آياتنا ما يصح أن يقال فيه ذلك الباطل بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من المعاصى والكفر حتى صار كالصدإ فى المرآة فحال ذلك دون معرفتهم الحق ؛ قال ﷺ « إن العبد كلما أذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه » .

لما قالوا ، ويقف حفص على بل وقيفة[١] (ران[٢] على قلوبهم ما كانوا يكسبون) غطاها كسبهم ، أى غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كان يكسبون من المعاصى وعن الحسن[٣] الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب ، وعن الضحاك الرينُ موت القلب ، وعن أبى سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ، ودواؤهما إدمان الصوم ، فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام[٤] (كلا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (إنهم عن ربهم) عن رؤية ربهم (يومئذ لمحجوبون) لممنوعون ، والحجب المنع ، قال الزجاج فى الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم ، وإلا لا يكون التخصيص[٥] مفيداً ، وقال الحسين بن الفضل : كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده ، حجبهم فى العقبى عن رؤيته ، وقال مالك بن أنس رحمه الله : لما حجب أعداءه فلم يروه ، تجلى لأوليائه حتى رأوه ، وقيل عن كرامة[٦] ربهم لأنهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة ، والأول أصح لأن الرؤية أقوى الكرامات[٧] فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها (ثم إنهم لصالوا الجحيم) ثم إنهم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) أى هذا العذاب هو

(١) لتبيين الإظهار أى إظهار اللام من الراء ، ومعظم القراء غيره على إدغام اللام فى الراء .

(٢) الرين والغين الصدأ ، يقال ران عليه الذنب ريناً ، وكذا غان عليه غيناً .

(٣) يفسر الرين .

(٤) ما يؤتدم به ، يقصد أن يأكل الطعام الخشن دون ما يستساغ به من جبن ولحم وغير ذلك .

(٥) أى أن تخصيص الكفار بالحجب عن رؤية ربهم يكون لا معنى له فى مقام التهديد طالما أن المؤمنين مثلهم .

(٦) مقابل لقوله سابقاً عن رؤية ربهم وهذا تقدير من أنكر الرؤية كالمعتزلة .

(٧) فضلا عن أنها هى المتبادر عند أول النظر وإن كان المعتزلة يقولون فى مثل ذلك : الدليل متى تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ، فإن قيل هذا فلأهل السنة أدلة أخرى فراجعها فى باب رؤية الله فى التوحيد .

الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتنكرون وقوعه (كلا) ردع عن التكذيب (إن كتاب الأبرار) ما كتب من أعمالهم، والأبرار المطيعون الذين لا يطففون[1] و يؤمنون بالبعث ، لأنه ذكر فى مقابلة الفجار ، و بين الفجار بأنهم المكذبون بيوم الدين . وعن الحسن : البَرّ الذى لا يؤذى الذر[2] (لفى عليين) هو علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين ، منقول من جمع عِلِّيّ ، فِعِّيل من العلو ، سمى به لأنه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات فى الجنة ، أو لأنه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون[3] تكريماً له[4] (وما أدراك) ما الذى أعلمك يا محمد (ما عليون) أى شىء هو (كتاب مرقوم * [5] يشهده المقربون) تحضره الملائكة ، قيل يشهد عمل الأبرار مقربو كل سماء إذا رفع (إن الأبرار لفى نعيم) تنعم فى الجنان (على الأرائك) الأسرة فى الحجال[6] (ينظرون) إلى كرامة الله ونعمه ، و إلى أعدائهم كيف يعذبون (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق) شراب خالص لا غش فيه (مختوم * ختامه مسك) تختم أوانيه بمسك بدل الطين[7] الذى يختم به الشراب فى الدنيا ، أمر الله تعالى بالختم عليه

---

(١) فى النسخ المطبوعة لايطفقون — ولا معنى لها فضلا عن أن طفق لا تستعمل منفية ولها شروط فى استعمالها لم تتحقق هنا .

(٢) صغار النمل واحده ذرة ، مائة منها وزن حبة شعير .

(٣) هم سادة الملائكة .

(٤) وقال الفراء : عليون اسم موضوع على صيغة الجمع ولا واحد له من لفظه كعشرين وثلاثين .

(٥) مر الكلام على نظيره فى السورة فراجعه .

(٦) جمع مفرده الحَجَلة ، من معانيها أنها موضع يزين بالثياب والأسرة والستور وهو المراد هنا .

(٧) هذا على أن ختاماً ككتاب المادة التى يختم بها على الشىء ، لا على أنها مصدر خَتَم أى طبع فإنه غير لائق هنا .

إكراماً لأصحابه ، أو ختامه مسك مقطعه[1] رائحة مسك أى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه ،خاتمه[2] علىّ (وفى ذلك) الرحيق أو النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون ، وذا إنما يكون بالمسارعة إلى الخيرات ، والانتهاء عن السيئات (ومزاجه) ومزاج[3] الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنّمه إذا رفعه لأنها أرفع شراب فى الجنة ، أو لأنها تأتيهم من فوق وتنصبُّ فى أوانيهم (عينا) حال[4] أو نصب على المدح (يشرب بها) أى منها[5] (المقربون) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم « يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين » (إن الذين أجرموا)[6] كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فى الدنيا استهزاء بهم (وإذا مروا بهم يتغامزون) يشير بعضهم إلى بعض بالعين طعناً فيهم وعيباً لهم ، قيل جاء على رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الأصلع[7] فنزلت قبل أن يصل علىّ إلى رسول الله ﷺ (وإذا انقلبوا إلى أهلهم) أى إذا رجع الكفار إلى منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم ، وقرأ غير حفص فاكهين أى فرحين[8] (وإذا

---

(١) أى آخره ، ومنه مقطع الرمل كمقعد إذا كان لارمل خلفه .

(٢) آلة الختم التى توضع على المسك والطين والشمع ونحو ذلك ، والكلام على حذف مضاف ، أى موضع خاتمه مسك .

(٣) أى ما يمزج به .

(٤) مع جموده لوصفه بالجملة بعده ، أو لتأويله بالمشتق كجارية ، أو لأن اشتقاق الحال غير لازم .

(٥) ويجوز أن تكون الباء زائدة .

(٦) حكاية لشىء من آثام مشركى قريش تمهيداً لذكر بعض ألوان النعيم الذى أوتيه المؤمنون على صبرهم ، وأجرموا أذنبوا والمراد من ذنبهم كفرهم .

(٧) من لا شعر على مقدم رأسه لضعف جذوره عن الإنبات بسبب استيلاء الجفاف عليها .

(٨) وقيل هما بمعنى واحد .

رأوهم) وإذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا إن هؤلاء لضالون) أى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات ، فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال (وما أرسلوا) وما أرسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم ، بل أمروا بإصلاح أنفسهم ، فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه أحلامهم[1] (فاليوم) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ثَمَّ[2] كما ضحكوا منهم هنا مجازاة (على الأرائك ينظرون) حال ، أى يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والصغار ، بعد العزة والاستكبار ، وهم على الأرائك آمنون ؛ وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم هلموا إلى الجنة ، فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل ثوب[3] الكفار ما كانوا يفعلون) هل جُوزُوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا إذا فُعِل بهم ما ذكر . والله أعلم .

---

(١) الحلم بالكسر العقل ، وأما بالضم واللام ساكنة أو مضمومة فهو الرؤيا ويطلق ساكن اللام على الجماع فى النوم ، ومضمومها على أوان البلوغ والحاء فيهما مضمومة ، وتسفيه الحلم ادعاء خفة العقل ، فإن السفه خفة العقل .

(٢) اسم يشار به للمكان البعيد أى هناك أى فى الآخرة ، وهو ظرف لايتصرف .

(٣) التثويب إعطاء المثوبة والجزاء على العمل ، والاستفهام تقريرى ، يعنى جوزى الكفار بما كانوا يفعلون من السخرية فى الدنيـــا بالمؤمنين بأن سخر منهم المؤمنون فى الآخرة .

سورة الانشقاق

مكية وهى خمس وعشرين آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(إذا السماء[1] انشقت) تصدعت وتشققت[2] (وأذنت لربها)[3] سمعت وأطاعت وأجابت ربها إلى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت)[4] وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله ، إذ هى مصنوعة مربوبة لله تعالى (وإذا الأرض مدت) بسطت وسويت باندكاك جبالها وكلّ أمْت[5] فيها (وألقت ما فيها) ورمت ما فى جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شىء فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو ، يقال تكرم الكريم إذا بلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق ما فى طبعه[6] (وأذنت[7] لربها) فى إلقاء ما فى بطنها وتخليها

(سورة الانشقاق)

تعرضت لأحوال الآخرة فناسبت السور التى قبلها .

(١) فاعل لمحذوف يفسره ما بعده لأن الشرط لا يليه إلا الأفعال أى إذا انشقت السماء .

(٢) وأول ما تنشق من المجرة كما أخرجه ابن أبى حاتم عن على كرم الله وجهه .

(٣) أذنت قد تعدى بإلى وتكون أيضاً بمعنى السمع والطاعة ، أى وأطاعت بانشقاقها لربها ولم يكن ذلك لأى مؤثر آخر .

(٤) أى جعلت حقيقة بالاستماع وأنشئت ثابتاً لها الطاعة ، وأصل الكلام وحق استماعها فحذف المضاف وأسند الفعل الى الضمير فاستتر ، وهذا معنى ما ذكره النسفى وإن كان هذا أوضح ورجوعاً بالكلام الى أصله ، وجملة (وحقت) اعتراض مقرر لما قبلها .

(٥) الأمت المكان المرتفع والتلال الصغار .

(٦) فصيغة التفعّل للتكلف والمقصود منها المبالغة .

(٧) أى وأطاعت كسابقتها .

(وحقت) وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع . وحذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب ، أو اكتفاء بما علم بمثلها من سورتي التكوير والانفطار ، أو جوابه ما دل عليه فملاقيه ، أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه[1] (يأيها الإنسان)[2] خطاب للجنس (إنك كادح إلى ربك كدحا) جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) الضمير للكدح[3] وهو جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها ، والمراد جزاء الكدح : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح ، يدل عليه قوله (فأما من أوتي كتابه بيمينه) أي كتاب عمله (فسوف يحاسب حساباً يسيرا) سهلا هيناً[4] وهو أن يجازى[5] على الحسنات ويتجاوز عن السيئات وفي الحديث « من يحاسب يعذب ، فقيل فأين قوله فسوف يحاسب حساباً يسيراً ؟ قال ذلكم العرض ، من نوقش

---

(١) وتكرير إذا مع الأرض بعد السماء مع اتحاد الأفعال المنسوبة إليهما زمناً باعتباره وقتاً واحداً ممتدا ، لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة .

(٢) المراد من الإنسان الجنس كما يدل عليه التقسيم بعد ، وقال مقاتل المراد به الأسود بن هلال ، المخزومي جادل أخاه أبا سلمة في أمر البعث فقال أبو سلمة إي والذي خلقك لتركبن الطبقة ولتوافين العقبة ، فقال الأسود فأين الأرض والسماء ، وما حال الناس ؟ وكأنه أراد أنها نزلت فيه وهي تعم الجنس ، وقيل غير ذلك .

(٣) وقيل إنه يرجع إلى ربه بمعنى جزاء ربه .

(٤) أي بلا مناقشة ، وفسره عليه الصلاة والسلام بالعرض ، وبالنظر في الكتاب مع التجاوز ؛ فقد أخرج البخاري وغيره عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليس أحد يحاسب إلا هلك ، قلت يارسول الله ، جعلني الله تعالى فداك ، أليس الله تعالى يقول فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً قال ذلك العرض ، يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك » — وأخرج أحمد وغيره عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته « اللهم حاسبني حساباً يسيرا ، فلما انصرف عليه الصلاة والسلام قلت يارسول الله ما الحساب اليسير؟ قال أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه» .

(٥) تفسير للحساب بأثره .

فى الحساب عذب » (وينقلب إلى أهله) إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين[١] أو إلى فريق المؤمنين[٢] أو إلى أهله فى الجنة من الحور العين (مسرورا) فرحاً (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره)[٣] قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبورا) يقول يا ثبوراه ، والثبور الهلاك (ويصلى) عراقى غير على[٤] (سعيرا) أى ويدخل جهنم (إنه كان) فى الدنيا (فى أهله) معهم (مسرورا) بالكفر ، يضحك ممن آمن بالبعث ، قيل كان لنفسه متابعاً وفى مراتع هواه راتعاً[٥] (إنه ظن أن لن يحور) لن يرجع إلى ربه تكذيباً بالبعث ، قال ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت تفسيره حتى سمعت أعرابية تقول لبنتها حورى أى ارجعى (بلى) إيجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورن (إن ربه كان به) وبأعماله (بصيرا) لا تخفى عليه ، فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها (فلا أقسم بالشفق) فأقسم[٦] بالبياض بعد الحمرة ، أو الحمرة (والليل وما وسق)[٧]

---

(١) قائلا لهم هاؤم اقرءوا كتابيه .

(٢) وان لم يكونوا عشيرته فهم لمشاركتهم له فى الدين أهله .

(٣) هذا فى الكافر ، وما قبله فى المؤمن الصالح ولا تعرض فيهما للعصاة كما استظهره أبو حيان ، وقيل لا بُعد فى إدخال العصاة فى أهل اليمين ، إما لأنهم يعطون كتبهم باليمين بعد الخروج من النار كما اختاره ابن عطية ، أو لأنهم يعطونها بها قبل دخولهم النار لكن مع حساب فوق حساب المتقين ودون حساب الكافرين . ويكون قوله تعالى ، « فسوف يحاسب حساباً يسيراً » من وصف الكل بوصف البعض ، وقيل غير ذلك .

(٤) قرأ أكثر السبعة ويصَلّى من التصلية ، وقرأ جماعة ويُصْلى من الإصلاء .

(٥) هذا تفسير آخر لكونه مسروراً فى أهله أى لا يحزنه التفكير فى مستقبله فى الآخرة ، فهو لهذا يمتع نفسه ويعطيها هواها ، والرتع الأكل والشرب فى خصب وسعة والمرتع مكان الرتع .

(٦) يريد أن لا فى لا أقسم غير نافيه بل هى مزيدة لتوكيد الإقسام .

(٧) وبابه وعد ، تقول وسَقه وسقاً فاتسق واستوسق أى جمعه جمعاً فاجتمع .

جمع وضمّ ، والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم ، أو ما عُمل فيه[1] من التهجد وغيره (والقمر إذا اتسق) اجتمع وتم بدراً ، افتَعَل من الوسق (لتركبن) أيها الإنسان[2] على إرادة الجنس[3] (طبقاً عن طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها فى الشدة والهول ، والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا ، أى لا يطابقه ، ومنه قيل للغطاء الطبق ، ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة ، من قولهم هو على طبقات أى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض ، وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها . ومحل عن طبق نصب على أنه صفة لطبقاً أى طبقاً مجاوزاً لطبق ، أو حال من الضمير فى لتركبن أى لتركبن طبقاً مجاوزين لطبق . وقال مكحول فى كل عشرين عاما تجدون أمراً لم تكونوا عليه وبفتح الباء[4] مكى وعلى وحمزة والخطاب له عليه السلام ، أى طبقاً من طباق السماء بعد طبق ، أى فى المعراج[5] (فما لهم لا يؤمنون)[6] فما لهم فى أن لا يؤمنوا[7] (وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون)[8] لا يخضعون (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والقرآن (والله

---

(١) معطوف على الظلمة والنجم ، أى أو المراد ما جمعه مما عمل فيه من التهجد وغيره من الأعمال ، ولعل المراد بها ما يعم الخير والشر وهو قول مجاهد .

(٢) وهو المنادى سابقاً بيأيها الإنسان .

(٣) باعتبار شموله لأفراده ، ولذا أتى بصيغة الجمع بقوله لتركبن بضم الباء المشعرة بواو الجماعة المحذوفة تخلصاً من التقاء الساكنين ، والمراد من الركوب الملاقاة مجازاً .

(٤) فى لتركبن .

(٥) فتكون الآية تبشيراً به ، وقد روى هذا عن ابن عباس وابن مسعود كما أخرجه عبد بن حميد ويجوز أن يكون ركوبه ﷺ طبقاً عن طبق فى الجهاد ، ويجوز أن يكون الخطاب للإنسان باعتبار لفظه المفرد .

(٦) ما اسم استفهام إنكارى مبتدأ ولهم متعلق بمحذوف خبره ، أى فأى شىء ثبت لهم ، ولا يؤمنون متعلق بمحذوف حال من ضمير لهم .

(٧) هذا حل معنى لاحَلّ إعراب .

(٨) جملة شرطية محلها النصب على الحال من لهم كسابقتها أى فأى مانع ثبت لهم حال عدم خضوعهم للحق عند قراءة القرآن ، وقيل قرأ النبى صلى الله ذات يوم =

أعلم بما يوعون) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبى ﷺ أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء، ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب (فبشرهم[1] بعذاب أليم) أخبرهم خبراً يظهر أثره على بشرتهم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع[2] (لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع[3] أو غير منقوص[4] والله أعلم .

= « واسجد واقترب» فسجد هو ومن معه من المؤمنين، وقريش تصفق فوق رءوسهم وتصفر فنزلت — وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة ، وعن ابن عباس ليس فى المفصل سجدة ، والمسألة مختلف فيها فراجعها فى المبسوطات .

(١) التبشير فى المشهور الإخبار بما يسر ، فاستعماله فيما يؤلم تهكم .

(٢) من الضمير المنصوب فى فبشرهم لأنه للكافرين .

(٣) مِن مَنَّ الحبل قطعه .

(٤) لم أقف على استعمال المن بهذا المعنى .

سورة البروج

مكية وهى اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والسماء ذات البروج)[1] هى البروج الاثنا عشر[2] وقيل النجوم ، أو عظام الكواكب (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) أى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه ، والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم ، وبالمشهود فيه ما فى ذلك اليوم من عجائبه ، وطريق تنكيرهما[3] إما ما ذكرته فى قوله علمت نفس ما أحضرت[4] كأنه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود ، وإما الإبهام فى الوصف[5] كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما ، وقد كثرت أقاويل

سورة البروج

تشتمل على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين وتنوه بشأن القرآن العظيم فتناسب ما قبلها لاشتمالها على ذلك أيضاً .

(١) جمع برج ، وهو موضوع للأمر الظاهر ثم صار حقيقة للقصر العالى لأنه ظاهر للناظرين واستعيرت البروج من هذا المعنى إلى منازل الكواكب لشبهها بالقصور لعلوها ولأن النجوم نازلة فيها كسكان القصور .

(٢) وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت .

(٣) تنكير شاهد ومشهود .

(٤) وهو إرادة العموم والكثرة من النكرة وإن وقعت فى الإثبات — والواقع أن النسفى لم يذكر هناك إلا تقدير لفظ كل فهل نسى الشيخ أنه قصر فى الكلام عليها هناك ، وقد علقنا عليها بما فيه غناء .

(٥) أى الإبهام لقصد التعظيم .

المفسرين فيهما فقيل محمد صلى الله عليه وسلم[1] ويوم القيامة[2] أو عيسى وأمته لقوله «وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم» أو أمة محمد وسائر الأمم، أو الحجر الأسود والحجيج، أو الأيام والليالى[3] وبنو آدم[4] للحديث «ما من يوم إلا وينادى أنا يوم جديد وعلى ما يفعل فىّ شهيد، فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة» أو الحفظة وبنو آدم، أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى «وكفى بالله شهيدا» أو الأنبياء ومحمد عليهم السلام، وجواب القسم محذوف[5] يدل عليه (قتل أصحاب الأخدود) أى لعن، كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء إنهم ملعونون[6] يعنى كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود، وهو خَد أى شق عظيم فى الأرض، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم[7] أنه كان لبعض الملوك ساحر، فلما كبِر ضم إليه غلاماً ليعلمه السحر، وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه، فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست

---

(١) أى الشاهد. (٢) أى المشهود.

(٣) هى الشاهد.

(٤) هم المشهود والحديث التالى نسبه الآلوسى إلى الحسن.

(٥) هذا هو الأظهر، أما جملة قتل أصحاب الأخدود إلخ فالظاهر أنها دعائية دالة عليه، جىء بها لتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من الإيمان وتصبيرهم على أذية الكفرة والإيذان بأن مصير هؤلاء المشركين إلى لعنة الله تعالى كأصحاب الأخدود.

(٦) فجملة إن قريشاً ملعونون جواب القسم دل عليه قتل إلخ.

ورأى بعض العلماء أن جملة قتل هى الجواب، وحذفت اللام للطول، كما فى قول الشاعر:

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولاصالى

وقيل على حذف اللام وقد، أى لقد قتل، على المشهور من أن الماضى المثبت المتصرف الذى لم يتقدم معموله تلزمه اللام وقد إلى آخر ماذكروه فى شروح التسهيل وغيرها، والجملة على هذا خبرية والرأى السابق أظهر.

(٧) هذه خلاصة حديث أخرجه مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم من رواية صهيب يرفعها.

الناس ، فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها ، فقتلها ، فكان الغلام بعد ذلك يبرىء الأكمه والأبرص ، وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك ، فقال ربى فغضب فعذبه ، فدل على الغلام فعذبه ، فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه ، فقُدّ بالمنشار وأبى الغلام ، فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجَف[1] بالقوم فطاحوا[2] ونجا فذهب به إلى قُرقور[3] فلجَّجوا به[4] ليغرقوه ، فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا ، فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع ، وتأخذ سهماً من كنانتى[5] وتقول باسم الله رب الغلام ، ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات ، فقال الناس آمنا برب الغلام ، فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر ، فخدَّ أخدودا[6] وملأها[7] ناراً فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها ، حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها ، فقال الصبى يا أماه اصبرى فإنك على الحق ، فألقى الصبى وأمه فيها (النار) بدل اشتمال من الأخدود (ذات الوقود) وصف لها بأنها نار عظيمة لها[8] ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس (إذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها (هم عليها) أى الكفار على

---

(١) أى تحرك واضطرب شديداً ، ومصدره الرَّجْف والرَّجَفان والرُّجوف والرجيف

(٢) أى هلكوا ومضارعه يَطوح ويَطيح ، ومن معانيه الإشراف على الهلاك .

(٣) وزنه كعصفور ، ومعناه السفينة ، أو الطويلة ، أو العظيمة .

(٤) أى خاضوا به اللجة ، وهى معظم الماء .

(٥) الكنانة ما يجمع فيه السهام .

(٦) أى شق حفرة مستطيلة عظيمة فى الأرض .

(٧) أعاد الضمير بالتأنيث على الأخدود باعتبار أن معناه الحفرة المستطيلة .

(٨) يشير بقوله لها إلخ إلى وجه استفادة تعظيم النار من قوله تعالى (ذات الوقود) قال الآلوسى فى ذلك ووجه إفادته ذلك أنه لم يقل موقدة بل جعلت ذات الوقود أى مالكته ، وهو كناية عن زيادته زيادة مفرطة لكثرة ما يرتفع به لهبها وهو الحطب الموقد به لأن تعريفه استغراق ، وهى إذا ملكت كل موقود به عظم حريقها ولهبها .

ما يدنو منها من حافات الأخدود (قعود) جلوس على الكراسى (وهم) أى الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الإحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحداً منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب ، وفيه[1] حث المؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة ، (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا) وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان[2] كقوله * ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * وقوله

ما نقموا من بنى أمية إلا * أنهم يحملون إن غضبوا

وقرىء نقموا بالكسر[3] والفصيح هو الفتح (بالله العزيز الحميد) ذكر الأوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به ، وهو كونه عزيزاً غالباً قادراً يخشى عقابه ، حميداً منعماً يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (الذى له ملك السموات والأرض) فكل من فيها تحق عليه عبادته والخشوع له تقريراً[4] لأن ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه إلا مبطل ، وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم (والله على كل شىء شهيد) وعيد لهم يعنى أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة ، وبالذين آمنوا المطروحين فى الأخدود ، ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) فى الدنيا لما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ، ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالأذى على العموم

---

(١) أى فى عذاب للمؤمنين بالله تعالى رب الغلام بإحراقهم بنار الأخدود .

(٢) وهذا ليس بعيب فهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كقولى الشاعرين الآتيين .

(٣) للقاف فهو من بابى ضرب وعلم والمصدر نقْم وتِنِقَّام كتكلام .

(٤) تقريراً مفعول لأجله وناصبه كلمة (ذكر) فى قول النسفى عقب — العزيز الحميد — « ذكر الأوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به » إلخ .

والمؤمنين المفتونين ، وأن للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم وافتنهم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير) أى الذين صبروا على تعذيب الأخدود أو هو عام (إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بالعنف ، فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم ، والمراد أخذه الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام (إنه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد أن صيرهم ترابا ، دل باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه ، أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب ، العافى عن الذنوب (الودود) المحب لأوليائه[1] وقيل الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا[2] (ذو العرش)[3] خالقه ومالكه (المجيدُ) وبالجر حمزة وعلىّ على أنه صفة للعرش ، ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه أو عظمته (فعال) خبر مبتدأ محذوف[4] (لما يريد) تكوينه فيكون فيه دلالة على خلق أفعال العباد (هل أتاك حديث الجنود) أى قد أتاك[5] خبر الجموع الطاغية[6]

(١) أى لأحبائه من المؤمنين .

(٢) واستعمال الودود فى هذا المعنى كناية لأنه مستعمل فى لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الحقيق .

(٣) ذو بمعنى صاحب فحقه أن يقول صاحبه ولكنه فسره بخالقه أو مالكه تفسير مراد . عن على كرم الله وجهه لو جمعت مياه الدنيا ومسح بها سطح العرش الذى يلينا ، مااستوعب منه إلا قليل .

(٤) استحسن أبو حيان أنه هو والمرفوعات السابقة أخبار للضمير فى قوله هو الغفور ، وقول النسفى إن « فعال » خبر لمبتدأ محذوف أى هو فعال تبع فيه أصله الكشاف ، قال صاحب الكشف إنما لم يجعله خبر « هو » فى هو الغفور لأن قوله سبحانه « فعال لما يريد » تحقيق للصفتين البطش بالأعداء والغفر والود للأولياء ، ولو حمل عليه لفاتت هذه النكتة .

(٥) يعنى أن هل بمعنى قد ، راجع « هل أتاك حديث الغاشية » .

(٦) تفسير للجنود الذى هو جمع جند ، يقال للعسكر لغلظتهم ، من الجَنَد بالتحريك وهو الأرض الغليظة ويقال للأعوان ، ولصنف من الخلق على حدة ، ولكل مجتمع :

فى الأمم الخالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود ، وأراد بفرعون إياه وآله ، والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم[1] (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للعذاب ، ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم ، لكن يكذبونك عناداً (والله من ورائهم محيط) عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه . والإحاطة بهم من ورائهم مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائتٌ الشيءَ المحيط به (بل هو) بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه وإعجازه ، ليس كما يزعمون أنه مفترى وأنه أساطير الأولين (فى لوح محفوظ) من وصول الشياطين ، محفوظ نافع صفة[2] للقرآن ، أى من التغيير والتبديل ، واللوح عند الحسن شىء يلوح[3] للملائكة فيقرؤنه ، وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، قلمه نور وكل شىء فيه مسطور ، وعند مقاتل هو عن يمين العرش وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم[4] والله أعلم .

---

(١) أى فذكر قومك بأيام الله وشئونه ، وأنذرهم أن يصيبهم ما أصاب أمثالهم فى الأمم الخوالى ، فإنهم يمرون على بلادهم التى دمرها الله بكفرهم وقد وصلت إليهم أخبارها .

(٢) نافع مبتدأ بحذف مضاف أى قراءة نافع ، ومحفوظٌ خبره مقدم عليه ، يعنى أن نافعاً قرأ محفوظ بالرفع ولم يقرأه بالجر .

(٣) أى يبدو لهم .

(٤) يقال له ساطريون ، وهذا مروى عن ابن عباس بما لا يعول عليه .

سـورة الطارق

مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب *) عَظَّمَ قدرَ السماء في أعين الخلق لكونها معدن[1] رزقهم ومسكن ملائكته ، وفيها خلق الجنة ، فأقسم[2] بها وبالطارق[3] والمراد جنس النجوم ، أو جنس الشهب التي يرجم بها لعظم منفعتها ، ثم فسره بالنجم الثاقب أي المضيء ، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه[4]

سـورة الطارق

فيما قبلها ذكر الإنسان الكافر المكذب لربه ووعيده ، وفي هذه السورة نبه على حقارة أصل الإنسان ، وأن الله أفاض عليه نعمة الخلق ومثله لا ينبغي له أن يكفر بربه ، وبينت فيها قدرته تعالى على البعث ، وذكر فيها وعيد الإنسان الكافر ؛ فما أشد المناسبة بين السورتين!

(١) أي مكان رزقهم أي موطن أصل الرزق — فإن ارزاقهم في الأرض بأسباب سماوية من شمس وقمر وكواكب وسحاب إلى غير ذلك — والمعدن من معانيه مكان كل شيء فيه أصله كما هنا .

(٢) أقسم معطوف على عظم عطف مسبب على سبب ، فإن الإقسام بالسماء وما عطف عليها مترتب على إرادة تعظيمها عند الخلق .

(٣) الطارق في الأصل اسم فاعل من الطرق بمعنى الضرب بشدة مسمعة ، ومنه المطرقة والطريق لأن الناس يطرقونها ، ثم صار في عرف اللغة اسماً لسالك الطريق ، لتصور أنه يطرقها بقدمه ، واشتهر فيه حتى صار حقيقة ، ثم اختص بالآتي ليلا لأنه في الأكثر يجد الأبواب مغلقة فيطرقها ، ثم اتسع في كل ما يظهر بالليل ، حتى الصور الخيالية البادية فيه ، قال الشاعر :

طرق الخيال ولا كليلة مدلج *

والمراد به هنا عند الجمهور الكوكب البادي بالليل إما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود كما سيأتي في التعليق الآتي :

(٤) المراد بالنجم الثاقب الجنس فإن لكل كوكب ضوءاً ثاقباً للظلام نافذاً فيه لا محالة ، وبه قال الحسن ، وعليه الجمهور ؛ وعن ابن زيد أنه الثريا وقيل هو زحل ، وعليهما يكون كوكباً معهوداً.

ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل ، كما يقال للآتى ليلا طارق ، أو لأنه يطرق الجنىّ أى يصكه وجواب القسم (إن كل نفس لما عليها حافظ) لأن لما إن كانت مشددة بمعنى إلا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون إن نافية ، أى ما كل نفس إلا عليها حافظ ، وإن كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون إن مخففة من الثقيلة ، أى إنه [1] كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات ، أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها ، فإذا استوفى ذلك ماتت ، وقيل هو كاتب الأعمال ، فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة [2] والخفيفة [3] وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وأيتهما كانت [4] فهى مما يتلقى به القسم (فلينظر الإنسان مم خلق) لما ذكر أن على كل نفس حافظاً ، أمره بالنظر فى أول أمره ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه ، فيعمل ليوم الجزاء ولا يملى على حافظه إلا ما يسره فى عاقبته ، ومم خلق استفهام [5] أى من أى شىء خلق ، جوابه [6] (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع ، والدفق فى الحقيقة لصاحبه ، والإسناد إلى الماء مجاز [7] وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقاً صببته ، ودَفَق الماءُ بنفسه أى انصب [8] ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين

(١) تقدير ضمير الشأن فى إن المكسورة الهمزة من باب حل المعنى لا الإعراب إذ هى مهملة لا عاملة كما يشعر به آخر كلامه .

(٢) التى للتوكيد (٣) التى هى نافية .

(٤) أى سواء كانت سلبية أو إيجابية فهى جملة تامة ، والجمل التامة يتلقى ويجاب بها القسم .

(٥) فإن من الجارة دخلت على ما الاستفهامية فحذفت ألفها ، والجار والمجرور متعلق بخلق ، والجملة فى موضع نصب بينظر ، وهى معلقة بالاستفهام .

(٦) فجملة خلق من ماء دافق عند الشيخ جواب هذا الاستفهام وفيه مسامحة لأن الاستفهام متعلق بينظر ومرتبط به ، ولعله يريد أنها على صورة الجواب له — إذ هى استئناف وقع جواباً عن استفهام آخر مقدر ، كأنه قيل مم خلق ؟ فقيل خلق من ماء دافق ، قال الشيخ الآلوسى : وجعله جواباً له حقيقة على أنه مقطوع عن ينظر ليس بشىء .

(٧) أى عقلى ، وجعله السكاكى استعارة مكنية تخييلية ، وقيل إنه استعارة مصرحة بأن شبه بالذى يدفق لتتابع قطراته .

(٨) وعلى هذا يكون إسناد الدفق إلى الماء على الحقيقة .

ابتدىء فى خلقه[1] (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل[2] وترائب المرأة[3] وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة ، وقيل العظم والعصب[4] من الرجل واللحم والدم من المرأة[5] (إنه) إن الخالق لدلالة خُلق عليه[6] ومعناه إن الذى خلق الإنسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على إعادته خصـوصاً (لقادر)

---

(١) فكأنهما ماء واحد .

(٢) أى بالنسبة لمنى الرجل ، والصلب العظم من الكاهل إلى عَجْب الإنسان ، فإن أهم شىء فى خروج المنى الأعصاب وموطنها الصلب .

(٣) أى بالنسبة لمنى المرأة ، ولـكن هذا لم يصح طبياً ، بل هو باطل ، فإن عظام صدر المرأة ليست موضع منيها ، فلا يصح حمل القرآن الـكريم عليه ، ونحن نرشـدك إلى الصواب فنقول اعلم أن النطفة دم استحال إلى منى بمعونة الخصيتين فى الرجل والمبيضين فى المرأة ، وهـذا الدم الذى تحول إلى منى فيهما جاء الخصيتين أو المبيضين من جميع أجزاء الجسم فى كل من الرجل والمرأة لا من جزء بعينـه ، ولذا ترى الولد المخلوق منه محتفظاً بخصائص والديه ، فلا بد أن يكون معنى الآية — يخرج من جميع الجسد — فإن الترائب تطلق فى اللغة على اليـدين والرجلين والعينين كما فى القاموس ، فكأنه قيل خُلق من ماء دافق يخرج من بين الظهر واليدين والرجلين والعينين فى كل من الرجل والمرأة ، أى من جميع جسديهما ، وكان يمكن أن يقول يخرج من بين الترائب ، لـكنه زاد الظهر لأنه موطن العصب ، وله دخل هائل فى تحويل الدم إلى منى ، فإنه هو الذى يوصل إيحاء المخ إلى الدم فينصب إلى الأنثيين أو المبيضـين ليتحول بمعونة الأعصاب أيضاً إلى منى — وقد حكى مكى عن ابن عباس أنه حمل الترائب على الأطراف والعينين ، فما أجدر أن يصدر هذا عن ابن عباس الحبر العظيم .

(٤) هذا تفسير مراد من الصلب .

(٥) هـــذا تفسير مراد من الترائب غير لغوى — وهو مرجوح أيضاً ، فراجع ما كتب تحت رقم ٣

(٦) يعنى أن ضمير (إنه) يعود على الخالق سبحانه وإن لم يذكر لدلالة « خلق من ماء دافق عليه » .

لبين القدرة[1] لا يعجز عنه كقوله إننى لفقير[2] ونُصب (يوم تبلى) أى تكشف برجعه ، أو بمضمر دل عليه قوله رجعه أى بعثه يوم تبلى (السرائر) ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وما أخفى من الأعمال (فماله) فما للإنسان (من قوة) فى نفسه على دفع ما حل به (ولا ناصر) يعينه ويدفع عنه (والسماء ذات الرجع) أى المطر[3] وسمى به لعوده كل حين (والأرض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات[4] (إنه) إن القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) باللعب والباطل يعنى أنه جِد كله ، ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيباً فى الصدور ، معظماً فى القلوب ، يرتفع به قارئه وسامعه أن يُلمّ بهزل أو يتفكه بمزاح (إنهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيداً) يعملون المكايد فى إبطال أمر الله ، و إطفاء نور الحق (وأ كيد كيداً) وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجى لهم من حيث لا يعلمون ، فسمى جزاء الكيد كيداً كما سمى جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة ، و إن لم يكن اعتداء وسيئة[5] ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالى إلا على وجه الجزاء[6] كقوله « نسوا الله فنسيهم » « يخادعون الله وهو خادعهم »

---

(١) وإنما كان بيِّن القدرة لأن الإعادة أيسر من الابتداء عقلاً .

(٢) حيث أراد منه بيِّن الفقر فى قول الشاعر :

لئن كان تهدى برد أنيابها العلى ... لأفقر منى إننى لفقير

فإنه أراد إننى لبيِّن الفقر ، وإلا لم يصح إيراده فى مقابلة لأفقر منى — فكذلك ما هنا فإنه رتب قدرته على الإعادة على قدرته على الابتداء وجعلها فى مقابلتها فكانت أقوى برهاناً وأبين .

(٣) ومنه قول الخنساء :

يوم الوداع ترى دموعاً جارية ... كالرجع فى المدجنة السارية

(٤) وأصله الشق سمى به النبات مجازاً لأنه يشق الأرض .

(٥) وذلك كله على سبيل المشاكلة ، راجع ما كتب فى سورة — ن — على قوله تعالى « وأملى لهم إن كيدى متين » ص ٤٨ تعليق رقم ٨

(٦) أى على أنه بمعنى جزاء الوصف المذكور قبلاً من الكيد والاعتداء والسيئة ، وكذا الوصف المذكور بعداً من النسيان والخداع والاستهزاء — لأن حقيقته مستحيلة على الله تعالى .

«الله يستهزىء بهم» (فمهل الكافرين) أى لاتدع بهلاكهم ولاتستعجل به (أمهلهم) أنظرهم ، فكرر وخالف بين اللفظين[1] لزيادة[2] التسكين والتصبير (رويداً)[3] إمهالا يسيراً[4] ولا يتكلم بها إلا مصغرة ، وهى من رادت[5] الريح ترود روداً تحركت حركة ضعيفة .

---

(١) مَهِّل وأمهل .

(٢) تعليل للتكرير الذى خولف فيه بين اللفظين .

(٣) مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدر محذوف أى أمهلهم إمهالا رويدا أى قريباً ، عن ابن عباس ، أو قليلاً ، عن قتادة .

(٤) أى قليلاً .

(٥) لم يقل هذا أصله ولم أجده لغيره — قال أبو عبيد هو فى الأصل تصغير رُودٍ على وزن عُودٍ بضم العين ، وأنشد * كأنها ثمل تمشى على رود * أى على مهل . وقال أبو حيان تصغير إرواد مصدر أروَد يُروِد بالترخيم وهو تصغير تحقير وتقليل اه ، وأروَد معناه مشى على مهل .

سورة الأعلى

مكية وهى تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح اسم ربك الأعلى) نزه ذاته عما لا يليق به ، والاسم صلة [1] وذلك بأن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقتدار ، لا بمعنى العلو فى المكان ، وقيل قل سبحان ربى الأعلى [2] وفى الحديث [3] « لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها فى

سورة الأعلى

مدارها كالتى قبلها على التعريف بالخالق سبحانه ، وإقامة الدليل على تفرده تعالى بالخلق ، والتخويف من يوم البعث وإقامة الدليل عليه . وما عدا ذلك فهو تابع لتلك المقاصد ، فلذا ناسب أن تكون إلى جانب السورة السابقة .

وسورة الأعلى من فضليات السور ، وكان يقرؤها النبى ﷺ هى و « هل أتاك حديث الغاشية » فى العيدين وفى يوم الجمعة ، ولو كان العيد فى يوم جمعة قرأهما فى العيد وفى الجمعة ، روى ذلك أحمد ومسلم وغيرهما .

(١) أى يمكن الاستغناء عنه لكنه زيد لتأكيد التنزيه ، ويدل على زيادته ما أخرجه أحمد وغيره عن ابن عباس « أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربى الأعلى » فكون الرسول لا يذكر الاسم دليل على أن المراد تسبيح الذات وتنزيهه ، والمراد تنزيهه تعالى وتسبيحه فى الصلاة وغيرها .

(٢) أى فى سجود الصلاة ، فتكون الآية نادبة للتسبيح فى الصلاة داعية إليه وقت نزولها ، أما على الوجه السابق فإنها تكون داعية للتسبيح عند نزولها فى الصلاة وغيرها ، وتدخل الصلاة دخولا أوليا .

(٣) أخرجه أحمد وغيره عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ، فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم » ومعلوم أن التسبيح فيهما سبحان ربى العظيم =

سجودكم (الذى[1] خلق فسوى) أى خلق كل شىء فسوى خلقه تسوية[2] ولم يأت به متفاوتاً غير ملتئم[3] ولكن على إحكام واتساق[4] ودلالةٍ على أنه صادر عن عالم حكيم ، أو سوّاه على ما فيه منفعة ومصلحة (والذى قدر فهدى) أى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به ، أو فهدى وأضل ولكن حذف وأضل اكتفاء ، كقوله « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » قدَر علىّ (والذى أخرج المرعى) أنبت ما ترعاه الدواب (فجعله غثاء) يابساً هشيا (أحوى) أسود[5] فأحوى صفة لغثاء (سنقرئك فلا تنسى) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (إلا ما شاء الله) أن ينسخه . وهذا بشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحى حتى لاينفلت منه شىء ، إلا ما شاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته ، وسأل ابن كيسان النحوى جنيداً عنه فقال فلا تنسى العمل به ، فقال مثلك يُصَدّر[6] وقيل قوله فلا تنسى على النهى ، والألف مزيدة للفاصلة[7] كقوله السبيلا ، أى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته (إنه يعلم الجهر وما يخفى) أى إنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك إلى الجهر ، أو ما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان[8] أو يعلم

= وسبحان ربى الأعلى دون ذكر الاسم فيكون مقحما ، ويجوز كون الاسم أصلياً غير زائد ، وتسبيحه على ما فى الكشاف تنزيهه عما لا يصح فيه من المعانى التى هى إلحاد فى أسمائه سبحانه كالجبر والتشبيه مثلا ، وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم .

(١) صفة لربك . (٢) أى جعله لا عوج فيه .

(٣) بأن تكون أذن فى الكتف وأخرى فى الجبين مثلا .

(٤) أى انتظام .

(٥) من الحُوّة وهى السواد ، ومنه أمةٌ حواء أى سوداء .

(٦) أى يسبق ، من صدَّر الفرس ، سبق .

(٧) ليكون آخر الآية مثل سابقاتها .

(٨) فلذا بشرك بأنه سيقرئك ليخفف عنك .

ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم ، وما ظهر وما بطن من أحوالكم[1] (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك ، وقوله إنه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض[2] ومعناه ونوفقك للطريقة التي هى أيسر وأسهل ، يعنى حفظ الوحى ، وقيل للشريعة السمحة التي هى أيسر الشرائع ، أو نوفقك لعمل الجنة (فذكر) عظ بالقرآن (إن نفعت الذكرى) جواب إن مدلول قوله فذكر[3] قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم[4] وقيل هو أمر بالتذكير على الإطلاق[5] كقوله « فذكر إنما أنت مذكر »[6] غير مشروط بالنفع[7] (سيذكر) سيتعظ ويقبل التذكرة (من يخشى) الله وسوء العاقبة (ويتجنبها) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها (الأشقى) الكافر ، أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله ﷺ ،

---

(١) وفى جملة ذلك جهر الرسول بالقراءة وإخفاؤه بها مخافة التفلت فيعامل كل عامل بما يقتضيه عمله .

(٢) جىء به لتعليل ما قبله .

(٣) أى إن نفعت الذكرى فذكر ، وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه .

(٤) وإخبار عن حالهم بأنهم غير منتفعين بالذكرى ، وذم لهؤلاء المذكَّرين الذين لم ينتفعوا بما ذكِّروا ، وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم ، كقولك عظ المكاسين إن سمعوا منك ، تقصد أنهم لا سبيل إلى سماعهم وانتفاعهم .

(٥) لم يقل ذلك أصله وما رأيته لأحد ، وعلى أى أساس يهدر الشرط ، إنك تراه فى الوجه الذى قبله ذكر وجه إهدار الشرط ، وأما هذا فإنه تركه مطلقاً غير موجه فلا يقبل .

(٦) قياس مع الفارق فليس هنا شرط .

(٧) قال فى الكشاف فى تقييد التذكير بنفعه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده فى تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتواً وطغياناً ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفاً ويزداد جداً فى تذكيرهم وحرصاً عليه ، فقيل له وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ، وذكر إن نفعت الذكرى ، وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير اهـ بقليل من الاختصار .

قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) يدخل نار جهنم ، والصغرى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة يتلذذ بها ، وقيل ثم لأن الترجح[1] بين الحياة والموت أفظع من الصلىّ فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة (قد أفلح) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك ، أو تطهر للصلاة ، أو أدى الزكاة ، تفعّل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وذكر اسم ربه) وكبر للافتتاح[2] (فصلى) الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح[3] وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة عطفت عليها ، وهو يقتضى المغايرة ، وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له ، وعن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون مابه تفلحون والمخاطب به الكافرون ، دليله قراءة أبى عمرو يؤثرون[4] بالياء (والآخرة خير وأبقى) أفضل فى نفسها وأدوم (إن هذا لفى الصحف الأولى) هذا إشارة إلى قوله « قد أفلح » إلى « أبقى » أى أن معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف ، أو إلى ما فى السورة كلها ، وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ، لأنه جعله مذكوراً فى تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صحف إبراهيم

---

(١) الترجح الميل ، والأولى حذفه فإنه لا يميل فى النار بين الحياة والموت ولا يتردد بل هو حى دائماً لا يموت ، والحياة المنفية عنه هى الحياة اللذيذة ، فحقه أن يقول لأن الحياة الدائمة فى النار أشد من مجرد الدخول فيها .

(٢) الأولى التعميم ، أى ذكره بلسانه وقلبه كل حين .

(٣) لوقوع الذكر أى تكبير الإحرام بين التزكى من الشرك والصلاة ، ولأنه نيط به الفلاح ، وأقول إن ذلك لا يصلح أن يكون حجة .

(٤) فضمير يؤثرون يعود على من سبق من الكافرين دون المؤمنين فإنهم ذكروا قبلاً بعنوان المتزكين الذاكرين لاسم ربهم المفلحين فكيف يؤثرون الحياة الدنيا ؟

وموسى) بدل من الصحف الأولى . وفى الأثر[1] وفى صحف إبراهيم : ينبغى للعاقل أن يكون حافظاً للسانه ، عارفا بزمانه ، مقبلا على شأنه .

---

(١) من حديث طويل أخرجه ابن مردويه وابن حميد وابن عساكر عن أبى ذر قال « قلت يا رسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب ؟ قال مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل على شيث خمسين صحيفة ، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف ، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، قال فما كانت صحف إبراهيم قال أمثال كلها » ثم ذكر بعد سرد أمثال ما أتى به النسفى ويليه « فإن من حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلا فيما يعنيه » إلى آخر ماذكر من الحكم ، والله أعلم بصحة هذا الحديث .

سورة الغاشـــــية

مكية وهى ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(هل) بمعنى قد[1] (أتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم[2] أهوالها يعنى القيامة ، وقيل النار ، من قوله « وتغشى وجوههم النار » (وجوه)[3] أى وجوه الكفار ، وإنما خص الوجه لأن الحزن والسرور إذا استحكما فى المرء أثرا فى وجهه (يومئذ) يوم إذ غشيت (خاشعة) ذليلة لما اعترى أصحابها من الخزى والهوان (عاملة ناصبة) تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال ، وخوضها فى النار كما تخوض الإبل فى الوحل . وارتقاؤها دائبة[4] فى صَعود من نار ، وهبوطها فى حَدور[5] منها ، وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها

سـورة الغاشية

فيها تفصيل لما أجمل من حال الجنة والنار فى سورة الأعلى مع اشتراكهما فى إقامة الدليل على البعث فناسب أن تذكر بعدها .

(١) راجع مثلها فى سورة الدهر .

(٢) تفسير لتغشى .

(٣) استئناف جواب عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويق ، كأنه قيل من جهته صلى الله عليه وسلم ، ما أتانى حديثها فما هو ؟ فقيل وجوه يومئذ إلخ — قال ابن عباس لم يكن أتاه عليه الصلاة والسلام حديثها فأخبره الله تعالى عنها فقال وجوه إلخ ، ووجوه مبتدأ وإن كان نكرة لقصد التنويع منه ، وخاشعة ومابعدها أخباره ، والمراد من الوجوه أصحابها .

(٤) من دأب بمعنى تعب لابمعنى جد .

(٥) الحَدُور مكان ينحدر منه والصَّعُود ضده

وتنعمت فهى فى نصب منها فى الآخرة ، وقيل هم أصحاب الصـوامع ، ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونَصِبَتْ فى أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب[1] (تَصْلَى ناراً حامية) تدخل ناراً قد أحميت مدداً طويلة ، فلا حر يعدل حرها ، تُصْلَى أبو عمرو وأبو بكر (تسقى من عين آنية) من عين ماء قد انتهى حرها[2] وعلامات التأنيث فى هذه الصفات والأفعال راجعة إلى الوجوه والمراد أصحابها بدليل قوله (ليس لهم طعام إلا من ضريع) وهو نبت يقال له الشِبْرِق[3] فإذا يبس فهو ضريع ، وهو سم قاتل ، والعذاب ألوان والمعذبون طبقات ، فنهم أكلة الزقوم ، ومنهم أكلة الغسلين ، ومنهم أكلة الضريع ، فلا تناقض بين هذه الآية و بين قوله « ولا طعام إلا من غسلين » (لا يسمن) مجرور المحل لأنه وصف ضريع (ولا يغنى من جوع) أى منفعتا الغذاء منتفيتان عنه ، وهما إماطة[4] الجوع و إفادة السمن فى البدن (وجوه يومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ، ولم يقل ووجوه لأن الكلام الأول قد طال وانقطع[5] (ناعمة) متنعمة فى لين العيش (لسعيها راضية) رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما أداهم[6] إليه من الكرامة والثواب (فى جنة عالية) من علو المكان أو المقدار (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه[7] (فيها لاغيـة) أى لغواً[8] أو كلمة ذات لغو ،

---

(١) نصبت كتعبت ، والواصب الدائم كالدائب .

(٢) تفسير لآنية ، من أنىَ الماء بلغ حره منتهاه فهو آنٍ .

(٣) كزِبْرِج . وهو شجر ذو شوك ترعاه الإبل رطباً فإذا يبس تحامته ، ويسمى حينئذ ضريعاً ، وفى ذلك يقول أبو ذؤيب :

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى وصار ضريعاً بان عنـه النحائص

(٤) أى إزالة ، ويستعمل لازماً كماط ، تقول ماط الرجل عنى وأماط أى تنحى وزال ، وماط الأذى وأماطه نحّـاه وأزاله .

(٥) فاستحسن الفصل عن الوصل .

(٦) ضمير الفاعل المستتر يعود على العمل ، أى ما أداهم العمل إليه إلخ .

(٧) والفاعل على الأول مستتر وجوباً تقديره أنت ، وعلى الثانى مستتر جوازاً تقديره هى

(٨) فهو مصدر سماعى على هذا الوزن .

أو نفساً تلغو[١] لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم ، لا يُسمع فيها لاغيةٌ مكى وأبو عمرو لا تُسمع فيها لاغيةٌ نافع (فيها عين جارية) أى عيون كثيرة[٢] كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السَّمك[٣] ليرى المؤمن[٤] بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (وأكواب) جمع كوب وهو القَدَح[٥] وقيل آنية لا عُرْوة[٦] لها (موضوعة) بين أيديهم ليتلذذوا بها بالنظر إليها ، أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (ونمارق) وسائد[٧] (مصفوفة) بعضها إلى جنب بعض مساند[٨] ومطارح[٩] أينما أراد أن يجلس جلس على مُوَسَّدة[١٠] واستند إلى الأخرى (وزرابى) وبُسُط عراض فاخرة جمع زربية[١١] (مبثوثة) مبسوطة أو مفرقة فى المجالس ، ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات فى صفة الجنة ، وفسر[١٢] النبى عليه السلام بأن ارتفاع السرير يكون مائة

---

(١) وعلى الأخيرين تكون لاغية وصفاً لمحذوف من لغا يلغو إذا تكلم بما لا خير فيه

(٢) فالتنكير للتكثير واختاره الزمخشرى ، وقيل للتعظيم .

(٣) وهو ارتفاع المكان — تقول سمكه سمكاً فسمك أى رفعه فارتفع .

(٤) بسبب ارتفاع مكانه .

(٥) إناء يروى الرجلين ، أو إناء الشرب صغر أو كبر ، جمعه أقداح ، ومتخذه قدّاح ، وصنعته القِداحة .

(٦) لا مقبض لها .

(٧) جمع وساد أو وسادة ، وهى المخدّة والمتكأ .

(٨) يستند إليها .

(٩) يجلس عليها ، فإن الوسادة تطلق على الفراش المعد للجلوس عليه وهو المتكأ ، من اتكأ أى جلس على هيئة المتمكن التربع — كما تطلق الوسادة على المخدة كما فى رقم (٧)

(١٠) أى على متكأ أى فراش ، من وسَّدته الفراش جعلته له وسادة أى متكأ ، أى مجلساً كما فى رقم ٩

(١١) بكسر الزاى وتضم البساط .

(١٢) معطوف على أنزل مدخول لمّا ، أى لما أنزل الله وفسر النبى إلخ .

فرسخ ، والأكواب الموضوعة لاتدخل فى حساب الخلق لكثرتها، وطول النمارق كذا، وعرض الزرابى كذا ، أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير ، وكيف تكثر الأكواب هذه الكثرة ، وتطول النمارق هذا الطول وتنبسط الزرابى هذا الانبساط ؟ ولم نشاهد ذلك فى الدنيا ؛ فقال الله تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) طويلة ثم تبرك[١] حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم ، فكذا السرير يطأطىء[٢] للمؤمن كما تطأطىء الإبل (وإلى السماء كيف رفعت) رفعاً بعيد المدى بلا إمساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل فى حساب الخلق ، فكذا الأكواب (وإلى الجبال كيف نصبت) نصباً ثابتاً فهى راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق (وإلى الأرض كيف سطحت) سطحاً بتمهيد وتوطئة ، فهى كلها بساط واحد تنبسط من الأفق إلى الأفق فكذا الزرابى ، ويجوز أن يكون المعنى ، أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه ، وتخصيص هذه الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال ، والمرء إنما يستدل بما تكثر مشاهدته له ، والعرب تكون فى البوادى ونظرهم فيها إلى السماء والأرض والجبال والإبل ، فهى أعز أموالهم وهم لها أكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ، ولأنها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهى النسل والدر والحمل والركوب والأكل بخلاف غيرها ، ولأن خلقها أعجب من غيرها ، فإنه سخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمَّتها لا تمازُّ ضعيفاً[٣] ولا تمانع صغيراً ، وبرأها[٤] طوال الأعناق لتنوء بالأوقار[٥] وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت ، وتجرها إلى البلاد الشاحطة ،

---

(١) من باب دخل .
(٢) ينخفض .
(٣) لا تمانع .
(٤) خلقها .
(٥) أى لتنهض بالأحمال الثقال — جمع وِقر بوزن حمل ، ولا ريب أن طول أعناقها يساعدها على ذلك .

وصبّرها على احتمال العطش حتى إن ظِمْأها ليرتفع إلى العِشر[1] فصاعدا[2] وجعلها ترعى كل نابت فى البرارىّ مما لا يرعاه سائر البهائم (فذكر) فذكرهم بالأدلة ليتفكروا فيها (إنما أنت مذكر) ليس عليك إلا التبليغ (لست عليهم بمسيطر) بمسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار بمصيطر مدنى و بصرى وعلى وعاصم (إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر) الاستثناء منقطع ، أى لست بمستول عليهم ، ولكن من تولى منهم وكفر بالله فإن لله الولاية عليه والقهر ، فهو يعذبه العذاب الأكبر وهو عذاب جهنم ، وقيل هو استثناء من قوله فذكر ، أى فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر ، وما بينهما اعتراض (إن إلينا إيابهم) رجوعهم ، وفائدة تقديم الظرف التشديد فى الوعيد ، وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام (ثم إن علينا حسابهم) فنحاسبهم على أعمالهم ، ونجازيهم بها جزاء أمثالهم وعلى[3] لتأكيد الوعيد لا للوجوب ، إذ لا يجب على الله شىء .

---

(١) بكسر العين فسكون الشين ، وهو ثمانية أيام بين الوِردين .

(٢) فإن تجاوزت العِشر فالحوازى .

(٣) أى على فى قوله علينا يفيد ظاهرها أنه يجب على الله حسابهم ، ولكن هذا الظاهر غير مراد ؛ لأنه تعالى لايجب عليه شىء ، بل هى لتأكيد حصول مدلول الوعيد بجعله شبيهاً فى حصوله — ولابد — بالواجب .

سورة الفجر

مكية وهى تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والفجر) أقسم بالفجر وهو الصبح ، « كقوله والصبح إذا أسفر » أو بصلاة الفجر (وليال عشر) عشر ذى الحجة [1] أو العشر الأول من المحرم [2] أو الآخر من رمضان [3] وإنما نكرت لزيادة فضيلتها (والشفع [4] والوتر) شفع كل الأشياء ووترها ،

سورة الفجر

أرشدَتْ إلى وجود الله وعظمته ودعت إلى توحيده وخوفت من عاقبة الشرك والفساد وبرهنت على البعث . وقد اشتركت معها السورة السابقة فى ذلك فناسب أن تتلوها .

(١) أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس، وأخرجه أحمد والنسائى وغيرهما عن جابر يرفعه ، وفى فضلها أخرج أحمد والبخارى عن ابن عباس مرفوعاً « ما من أيام فيهن العمل أحب إلى الله عز وجل وأفضل من أيام العشر ، قيل يارسول الله ، ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد فى سبيل الله ، إلا رجل جاهد فى سبيل الله بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء » .

(٢) روى عن يمان وجماعة ، وفيه يوم عاشوراء ، وفى فضله أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس قال « قدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة ، واليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال عليه الصلاة والسلام ، ماهذا اليوم الذى تصومونه؟ قالوا هذا يوم عظيم أنجى الله تعالى فيه موسى وأغرق آل فرعون فيه ، فصامه موسى عليه السلام شكراً ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن أحق بموسى منكم ، فصامه صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه » وأخرج فيه أحمد وغيره عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود. وصوموا قبله يوماً وبعده يوماً» .

(٣) روى عن ابن عباس والضحاك واستدل له بعضهم بالحديث المتفق على صحته — قالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » .

(٤) الشفع هو الزوج ويقابل الوتر .

أو شفع هذه الليالى ووترها ، أو شفع الصلاة ووترها ، أو يوم النحر لأنه اليوم العاشر[1] ويوم عرفة لأنه اليوم التاسع ، أو الخلق[2] والخالق[3] والوِتر حمزة وعلى ، و بفتح الواو[4] غيرهما ، وهما لغتان فالفتح حجازى والكسر تميمى ، و بعدما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (والليل) وقيل أريد به ليلة القدر (إذا يسر) إذا يمضى ، وياء يسر تحذف فى الدرج[5] اكتفاء عنها بالكسرة وأما فى الوقف فتحذف مع الكسرة[6] وسأل واحد الأخفش[7] عن سقوط الياء فقال لا ، حتى تخدمنى سنة ؛ فسأله بعد سنة فقال الليل لايسرى[8] وإنما يُسرى فيه[9] فلما عُدل عن معناه[10] عدل عن لفظه موافقة[11] وقيل معنى يسرى يُسرَى فيه[12] كما يقال ليل نائم أى ينام فيه (هل فى ذلك) أى فيما أقسمت به من هذه

---

(١) فهو شفع والتاسع وتر.

(٢) فهم شفع لكونهم أزواجاً : ذكراً وأنثى ، وطوالاً وقصاراً ، وذوى حسن وذوى قبح ، وهكذا .

(٣) فهو سبحانه وتر أى فرد فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله لاشركه فى شىء من ذلك شريك .

(٤) أى وقرأ بفتح الواو غيرُهما .

(٥) تخفيفاً وموافقة لرءوس الآى ؛ لأنه لا جازم تحذف له ، وكون يسرى بمعنى يمضى فيه مجاز مرسل أو استعارة .

(٦) وخص نافع وأبو عمرو فى روايةٍ هذا الحذفَ بالوقف مراعاة للفواصل ، ولم يحذف مطلقاً ابن كثير ويعقوب .

(٧) جاء هذا فى تفسير البغوى .

(٨) جرى الأخفش على تفسير يسرى بمعنى يسير ليلا فلذا قال ما قال .

(٩) أى وإنما يمشى فيه الناس .

(١٠) بإسناد السير للزمان بدل إسناده للشخص الذى يسير فيه على سبيل المجاز العقلى .

(١١) أى فى مطلق العدول عن الأصل .

(١٢) إن كان يريد أنه مجاز بالحذف والإيصال فهو وجه آخر غير ما ذكر عن الأخفش ، وإلا كان هو عين ما مر عنه فلا داعى لذكره هنا .

الأشياء (قسم) أى مقسَم به (لذى حجر) عقل سمى به لأنه يحجر[١] عن التهافت فيما لا ينبغى، كما سمى عقلا ونهيه لأنه يعقل وينهى، يريد هل تحقق عنده أن تُعظَّم هذه الأشياء بالإقسام بها؟ أو هل فى إقسامى بها إقسام لذى حجر؟ أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله[٢] المقسم عليه؟ أو هل فى القسم بهذه الأشياء قسم مقنع لذى عقل ولبّ؟ والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبُنّ، يدل عليه قوله ألم تر إلى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب، ثم ذكر تعذيب الأمم التى كذبت الرسل فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد) أى ألم تعلم يا محمد علماً يوازى العيان فى الإيقان؟ وهو استفهام تقرير[٣] قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عاد، كما يقال لبنى هاشم هاشم، ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى والإرم تسمية لهم باسم جدهم، ولمن بعدهم عاد الأخيرة، فإرم عطف بيان لعاد وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة وقيل إرم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها، ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة، وتقديره بعاد أهل إرم، كقوله واسأل القرية، ولم تنصرف قبيلةً كانت أو أرضاً للتعريف والتأنيث، وذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد[٤] أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم[٥] بالأعمدة، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين[٦] وروى[٧] أنه كان لعاد ابنان شدّاد وشديد فملكا وقهرا، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد، فملك الدنيا ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها، فبنى إرم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة، قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها

---

(١) أى يمنع، وبابه نصر.
(٢) أى يؤكد بمثله لذى العقل المقسم عليه.
(٣) وحاصل معناه قد علمته.
(٤) ينصبون عليها خيامهم.
(٥) جمع قدّ وهو القامة.
(٦) جمع أسطوانة وهى السارية.
(٧) هو والذى بعده موضوعان كما قال الآلوسى وابن كثير.

من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الأشجار والأنهار ، ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا ، وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثَمَّ[1] وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه ، فبعث إلى كعب فسأله ، فقال هى إرم ذات العماد ، وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال ، وعلى عقبه خال ، يخرج فى طلب إبل له ، ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم ، كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع[2] أو لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال[3] واتخذوا فيها بيوتاً[4] قيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود ، وبنوا ألفاً وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة[5] (بالواد) بوادى القرى (وفرعون ذى الأوتاد) أى ذى الجنود الكثيرة[6] وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها إذا نزلوا ، وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية (الذين) فى محل النصب على الذم[7] أو الرفع على هم الذين[8] أو الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طغوا فى البلاد) تجاوزوا

---

(١) أى هناك .

(٢) هذا باطل ، وفى الصحيح « خلق الله آدم طوله ستون ذراعا ، فلم يزل الخلق ينقصون إلى الآن .

(٣) وبابها قال ، تقول جبت الشجرة قطعتها والجدارَ خرقته ومصدره الجوْب .

(٤) فهم أهل حضارة وعمارة . (٥) شكك الآلوسى فى صحة هذا الخبر .

(٦) فالأوتاد كناية عن الجنود وال فى الأوتاد للاستغراق على سبيل المبالغة ، والمراد ذو الجنود الكثيرة ، فإن كثرة الأوتاد تستلزم كثرة الخيام التى تستلزم كثرة الجنود .

(٧) فهو منصوب بأذم مقدرا .

(٨) مرادا بذلك الذم فهو من مقاصد قطع الوصف عن النعت سواء نصبت أو رفعت .

الحد (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والقتل والظلم (فصب عليهم[١] ربك سوط[٢] عذاب) مجاز عن إيقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه ، إذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الإيلام ، أى عذبوا عذاباً مؤلماً دائماً (إن ربك لبالمرصاد) وهو المكان الذى يترقب فيه الرصَد ، مِفعال من رصده[٣] وهذا مثل لإرصاده[٤] العباد ، وأنهم لا يفوتونه ، وأنه عالم بما يصدر منهم وحافظه ، فيجازيهم عليه إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر (فأما[٥] الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) أى ضيق عليه وجعله بمقدار بُلغته[٦] فقدَّر شامى ويزيد (فيقول ربى أهانن) أى الواجب لمن ربه بالمرصاد أن يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة ، وهو قد عكس ، فإنه إذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر

موضع سؤال

---

(١) أى على كل طائفة من المذكورين .

(٢) الإضافة بمعنى من ، أى سوطاً من عذاب ، والمراد من العذاب ماعذب به ، والسوط الجلد الضفور الذى يضرب به ، والتعبير عن إنزاله بالصب للإيذان بكثرته وتتابعه واستمراره ، فإنه إراقة شىء مائع أو ما يماثله كالحب وإنزاله بشدة وكثرة وتتابع مستمر بحسبه ، فإنزال العذاب مشبه بالصب فى الكثرة والتتابع والاستمرار ؛ وتسمية ما أنزل سوطاً قيل للإيذان بأنه على عظمته بالنسبة إلى ما أعد لهم فى الآخرة كالسوط بالنسبة إلى سائر ما يعذب به ، ولا يأبى ذلك التعبير عن الإنزال بالصب المؤذن بالكثرة ، لأن الكثرة بالنسبة لعذاب الدنيا والقلة بالنسبة لعذاب الآخرة .

(٣) أى رقبه ، ومصدره الرصْد ، وقوله الرصَد مفرد بمعنى الراصد وقيل اسم جمع له .

(٤) أى مكافأتهم ، من أرصد له أى كافأه بالخير أو بالشر ، وحقه أن يقول من إرصاده للعباد .

(٥) الفاء مرتبة مابعدها على قوله تعالى « إن ربك لبالمرصاد » أى إنه كذلك من أجل الآخرة فلا يطلب سبحانه إلا السعى لها ، فأما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا ، فإن نالها رضى وإلا سخط ، وكان اللائق أن يكون عند رضا ربه سبحانه وتعالى .

(٦) أى ما يتبلغ به من العيش ، أى ما يكتفى به منه .

قال ربى أكرمنى ، أى فضلنى بما أعطانى فيرى الإكرام فى كثرة الحظ من الدنيا ، وإذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال ربى أهاننى ، فيرى الهوان فى قلة الحظ من الدنيا لأنه لا تهمه إلا العاجلة وما يَلَذُّه[1] وينعِّمه فيها ، فرد عليه زعمه بقوله (كلا) أى ليس[2] الإكرام والإهانة فى كثرة المال وقلته ، بل الإكرام فى توفيق الطاعة ، والإهانة فى الخِذلان . وقوله تعالى فيقول خبر المبتدأ الذى هو الإنسان ، ودخول الفاء لما فى أما من معنى الشرط[3] والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر فى تقدير التأخير[4] كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربى أكرمن وقت الابتلاء ، وكذا فيقول الثانى خبر لمبتدأ تقديره : وأما هو إذا ماابتلاه ربه ، وسمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لأن كل واحد منهما اختبار للعبد ، فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر ؟ وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ؟ ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة . وإنما أنكر قوله ربى أكرمن مع أنه أثبته بقوله فأكرمه لأنه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته ، وهو قصده أن الله

---

(١) هو من باب سلم ، تقول لذِذْتُ الشىءَ وجدته لذيذاً أى والذى يجده لذيذا .

(٢) فسر كلا وهى للردع بالنفى ، وهذا تفسير للمسبب بسببه ؛ وقد قال غيره : ردع للإنسان عن قوليه المحكيين ، وتكذيب له فيهما .

(٣) فهى حرف شرط وتوكيد دائماً وتفصيل غالباً ، وتلزم الفاء بعدها ، ويجب الفصل بينها وبين الفاء بفاصل من الجملة التى وقعت جواباً عنها إما المبتدأ كما هنا أو الخبر نحو أما فى الدار فإبراهيم ، أو الشرط نحو « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان » أو باسم منصوب بالجواب نحو فأما اليتيم فلا تقهر ، أو باسم معمول لمحذوف يفسره مابعد الفاء نحو أما من قصدك فأغثه ، أو بظرف معمول لأما نحو أما اليوم فإنى ذاهب ، والجملة التى بعدها جوابها سواء وقعت الفاء فى وسطها مزحلقة عن موضعها أو فى أولها ، وهى مستغنية عن الشرط لأنها قائمة مقام مهما يكن من شىء بعد .

(٤) متعلق بيقول ، ولا تمنع الفاء من ذلك كما ذهب إليه الزمخشرى وأبو حيان وغيرهما ، وخالف فى ذلك الرضى وغيره ، راجع شرح المغنى والأشمونى .

أعطاه ما أعطاه إكراما له لاستحقاقه، كقوله: إنما أوتيته على علم عندى، وإنما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل[1] لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون[2] على طعام المسكين) أى بل هناك شر من هذا القول، وهو أن الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالمبرة، وحض أهله[3] على طعام المسكين (وتأكلون التراث[4]) أى الميراث (أكلا لما) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون تراثهم مع تراثهم[5] (وتحبون المال) يقال حبّه وأحبه بمعنى (حباً جماً) كثيراً شديداً مع الحرص ومنع الحقوق، ربىّ حجازى وأبو عمرو، يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصرى (كلا) ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم؛ ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال (إذا دكت الأرض) إذا زلزلت (دكا دكا) دكا بعد دك[6] أى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثاً (وجاء ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه، فإن واحداً من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة مالا يظهر بحضور عساكره وخواصه، وعن ابن عباس أمره وقضاؤه[7] (والملك صفاً صفاً) أى ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف محدقين

---

(١) بل للانتقال والترق من ذمه بالقبيح من القول إلى الأقبح من الفعل .

(٢) ولا تحاضون أى لا يحض بعضكم بعضاً ويحثه .

(٣) الضمير للغنىّ السابق، أى وحض أهل الغنى على إطعام المسكين، فطعام مصدر أطعم بحذف الزائد، أو اسم عين وفى الكلام مضاف مقدر، أى على بذل طعام .

(٤) أصله وُراث فأبدلت الواو تاء .

(٥) أى تراث النساء والصبيان مضموما إلى ميراثهم أنفسهم .

(٦) فالتكرير ليس للتوكيد بل هو نظير تكرير الحال فى نحو قولك جاءوا رجلا رجلا، أى رجلا بعد رجل .

(٧) أى جاء أمره وقضاؤه، فالكلام عنده على تقدير مضاف، وقال منذر بن سعيد معناه ظهر سبحانه للخلق هنالك، وليس ذلك بمجىء نُقلة .

بالجن والإنس (وجيء يومئذ بجهنم) قيل إنها بُرِّزت لأهلها[١] كقوله « وبرزت الجحيم للغاوين » وقيل هو مجرى على حقيقته ففى الحديث[٢] « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها (يومئذ يتذكر الإنسان) أى يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى[٣] (يقول يا ليتنى قدمت لحياتى) هذه وهى حياة الآخرة ، أى ياليتنى قدمت الأعمال الصالحة فى الحياة الفانية ، لحياتى الباقية (فيومئذ لايعذب عذابه أحد) أى لايتولى عذاب الله أحد[٤] لأن الأمر لله وحده فى ذلك اليوم (ولا يوثِق) بالسلاسل والأغلال (وثاقه أحد) قال صاحب الكشف لايعذب أحد أحداً كعذاب الله ولا يوثق أحد أحداً كوثاق الله[٥] لايعذَّب[٦] ولا يوثَق على ، وهى قراءة رسول الله ﷺ ، ورجع إليها أبو عمرو فى آخر عمره ، والضمير يرجع إلى الإنسان الموصوف وهو الكافر ، وقيل هو أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ، ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده ، ثم يقول الله تعالى للمؤمن (يٰأيتها النفس) إكراما له كما كلم موسى

---

(١) أى أظهرت لهم ، فالإتيان بها مجاز عن إظهارها .

(٢) رواه مسلم والترمذى وغيرهما عن ابن مسعود مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى أنه لامانع من أن يكون الكلام على التمثيل لا على الحقيقة .

(٣) بعد أن فات الأوان فهذا وقت الجزاء .

(٤) فالضمير فى عذابه لله تعالى ، والعذاب بمعنى التعذيب ، وإضافة العذاب إليه تعالى من إضافة المصدر إلى الفاعل ، وقوله « لا يعذب » مراد منه مطلق الفعل ولذا وقع عذاب مفعولاً به ليعذب ، أى لايفعل تعذيب الله لعصاة الإنسان أحد ، فإن الأمر له تعالى وحده فى ذلك اليوم — هذا حلُّ ما قيل وكذا الجملة الآتية — ولكن الله تعالى لايباشر تعذيب أحد فى الآخرة كما كان غير مباشر له فى الدنيا ، فإن النار هى التى تعذب ، يشرف عليها زبانيتها فهذا الوجه غير مسلم .

(٥) فالكلام هنا على التشبيه .

(٦) مع نصب عذاب على المصدرية ، وضمير عذابه للإنسان ، وأحد نائب الفاعل ، أى لايعذَّب أحد تعذيب الإنسان المفرط النادم المتذكر يومئذ ، والمراد به الكافر مطلقا

عليه السلام ، أو يكون على لسان ملك (المطمئنة) الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ، وهي النفس المؤمنة ، أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ، ويشهد للتفسير الأول قراءة أُبَيّ «يأيتها النفس الآمنة المطمئنة» ، وإنما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة (ارجعي إلى) موعد (ربك) أو ثواب ربك (راضية) من الله بما أوتيت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخلي في عبادي) في جملة عبادي الصالحين فانتظمي في سلكهم (وادخلي جنتي) معهم ، وقال أبو عبيدة أي مع عبادي أو بين عبادي أي خواصي ، كما قال «وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين»[1] وقيل النفس الروح[2] ومعناه فادخلي في أجساد عبادي ، كقراءة عبد الله بن مسعود في جسد عبدي ، ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل في نعشه ، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها[3] قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب ، وقيل في خبيب بن عدى الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فقال اللهم إن كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله ، وقيل هي عامة في المؤمنين إذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب .

(١) لا داعي لهذا المعنى الذي ذكره عن أبي عبيدة فهو مثل ما ذكره سابقا .

(٢) والمراد منها الجنس الشامل لكل روح معين صاحب جسد معين .

(٣) ذكر هذه الرواية ابن كثير عن ابن أبي هاشم ولم يعقب عليها ، وفي النفس من صحتها شيء .

سورة البلد

مكية وهى عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً فى مكابدة[1] المشاق ، واعترض بين القسم[2] والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) أى ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل[3] بهذا البلد يعنى مكة كما يستحل الصيد فى غير الحرم ، عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ويستحلون إخراجك وقتلك ، وفيه تثبيت لرسول الله ﷺ وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة ، وتعجيب من حالهم فى عداوته ، أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد ، واعترض[4] بأن وعده فتح

سورة البلد

ذكر فى السورة السابقة مايذم به الإنسان فى دينه وخلقه من كفر وعدم إكرام لليتيم وعدم الحض على طعام المسكين وأكل للميراث وحب للمال ، ومن الوعيد على ذلك ، وذكر هنا الحض على طائفة من المكارم من فك الرقبة وإطعام اليتيم والمسكين وأن يكون من المؤمنين الصالحين المتواصين بالخير فكانت كالتتمة لما قبلها فناسب ذكرها بعدها .

(١) مغمورا أى مغطى من غمره الماء غطاه ، والمراد مغلوبا ، ولو قال مغموراً بالمشاق لكان أحسن وأنسب للآية « لقد خلقنا الإنسان فى كبد » أى أنه خلق مظروفا فى المشقة ، والمكابدة المقاساة .

(٢) وهو أقسم بهذا البلد ، وأما لا فهى زائدة لتوكيده .

(٣) فالحل هنا بمعنى الحلال أى وأنت حلال تستحل حرماتك ، مع أنك فى بلد حرام يحرم الصيد فيه ، فكيف يجعلونك دون الصيد فيتناولونك بالأذى فى البلد الحرام .

(٤) أى جاء بجملة معترضة بين القسم وجوابه .

مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد ، أى وأنت حِلٌ[1] به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ، وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له ، فأحل ما شاء وحرم ما شاء ، قتل ابن خَطَل وهو متعلق بأستار الكعبة[2] ومقيس[3] بن صبابة وغيرهما[4] وحرم دار أبى سفيان[5] ونظير قوله وأنت حل فى الاستقبال[6] قوله « إنك ميت وإنهم ميتون » وكفاك دليلا على أنه للاستقبال أن السورة مكية بالاتفاق ، وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح[7] (ووالد وما ولد) هما آدم وولده ، أو كل والد وولده ، أو إبراهيم وولده ، وما بمعنى مَن[8] أو بمعنى الذى[9] (لقد خلقنا الإنسان) جواب القسم (فى كبد) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ، وعن ذى النون لم يزل مربوطاً بحبل القضاء ، مدعواً إلى الائتمار والانتهاء ، والضمير فى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله يكابد منهم ما يكابد ثم قيل هو أبو الأشد ، وقيل الوليد بن المغيرة ، والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى

---

(١) أى ذو حل ، أى يحل لك بفتحه ما كانت حرمته معروفة .

(٢) لأنه أظهر الإسلام وكتب شيئاً من الوحى ثم ارتد وشنع على النبى صلى الله عليه وسلم بأن القرآن كلامه لا كلام الله تعالى .

(٣) كِنشِر .

(٤) لأسباب اقتضت ذلك ، راجع كتب السير .

(٥) أى حرم قتل داخليها لائذين بها تأليفاً لقلبه لأنه أسلم يومئذ .

(٦) أى فى أن المراد به مستقبل .

(٧) ويجوز أن يكون الحِل بمعنى الحال المقيم ، أى أقسم بهذا البلد وأنت مقيم به فتكون جملة « وأنت حل » إلخ حالا من هذا البلد الأول جىء بها لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله بمكة مناطاً لتعظيمها بالإقسام بها ، ولا فى « لا أقسم » زائدة لتوكيد الإقسام كما سبق .

(٨) أى يراد بها العاقل وهذا قليل .

(٩) أى يراد بها العقلاء وغيرهم ونسب هذا لابن عباس .

قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يُقدر على الانتقام منه ؟ ثم ذكر مايقوله فى ذلك اليوم[1] وأنه (يقول أهلكت مالا لبدا) أى كثيراً جمع لُبْدة وهو ما تلبد أى كثر واجتمع ، يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالى (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخاراً ؟يعنى أن الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيباً ،ثم ذكر نعمه عليه فقال (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولساناً) يعبر به عما فى ضميره (وشفتين) يستر بهما ثغره ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ (وهديناه النجدين) طريق الخير والشر المفضيين إلى الجنة والنار ، وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ماالعقبة * فك رقبة* أو إطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيما ذا مقربة* أو مسكينا ذا متربة* ثم كان من الذين آمنوا) يعني فلم يشكر تلك الأيادى والنعم بالأعمال الصالحة ، من فك الرقاب ، أو إطعام اليتامى والمساكين،ثم بالإيمان الذى هو أصل كل طاعة وأساس كل خير ، بل غَمِط النعم[2] وكفر بالمنعم . والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه مرضىّ نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبداً[3] فى الرياء والفخار ، وقلما تستعمل لا مع الماضى إلا مكررة ، وإنما لم تكرر فى الكلام الأفصح[4] لأنه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء ، صار كأنه أعاد لا ثلاث مرات ، وتقديره فلا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً ولا آمن ، والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة ، والقُحمة الشدة فجعل الصالحة[5]

---

(١) الظاهر أن ذلك فى الدنيا ، يريد بقوله هذا كثرة ما أنفقه فيها مما كانوا يسمونه فى الجاهلية مكارم ومعالى ، يريد الفخر والسمعة بما يقول ، أو يريد كثرة ما أنفقه فى معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) أى بطرها ولم يشكرها ، وبطر من باب سمع . وغمط من بابى فهم وضرب .

(٣) أى جميعاً ، وأصله من تلبد الشىء إذا اجتمع .

(٤) الكلام الأفصح هو القرآن الكريم ، أى لم يؤت بها فيه مكررة حيث قيل فلا اقتحم العقبة ، ولم يعد (لا) مرة أخرى بعدها .

(٥) أى الأعمال الصالحة .

عقبة وعملها اقتحاماً لها ، لما فى ذلك[1] من معاناة المشقة ومجاهدة النفس ، وعن الحسن: عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان ، والمراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها[2] ومعناه : إنك لم تدر كُنْهَ[3] صعوبتها على النفس وكُنْهَ ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق، والإعانة فى مال الكتابة ، فَكَّ رقبةً أو أطعم مكّى وأبو عمرو وعَلِىٌّ على الإبدال من اقتحم العقبة ، وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض[4] غيرُهم[5] فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ علَى[6] اقتحامُها فكُّ رقبة أو إطعامٌ والمسغبة المجاعة ، والمقربة القرابة ، والمتربة الفقر ، مفعلات[7] من سَغِبَ إذا جاع وقرب فى النسب ، يقال فلان ذو قرابتى وذو مقربتى ، وترب إذا افتقر ، ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه المزابل[8] ووصف اليوم بذى مسغبة كقولهم هَمٌّ ناصب أى ذو نصب[9] ومعنى ثم كان من الذين آمنوا أى داوم على الإيمان ، وقيل ثم بمعنى الواو ، وقيل إنما

---

(١) الإشارة راجعة إلى عملها . (٢) فالكلام على حذف مضاف .

(٣) كُنْه الشىء جوهره وحقيقته ونهايته .

(٤) بين البدل والمبدل منه . (٥) أى قرأ غيرهم .

(٦) أى على تقدير (اقتحامُها فكُّ رقبة) إلخ يريد أن رفع فك رقبة على أنه خبر لمبتدإ محذوف تقديره اقتحام العقبة ، أى وما أدراك ما اقتحام العقبة : اقتحامها فك رقبة أو إطعام ، وإنما قدر اقتحام لأنه هو الذى يفسر بالفك والإطعام ، لا نفس العقبة . والزمخشرى قدره خبراً لضمير محذوف مذكر ، وتقديره هو ، أى هو فك رقبة أو إطعام، وذكر الضمير مع عوده إلى العقبة لأن المراد اقتحامها لقوله تعالى «فلا اقتحم العقبة » ، ولأن اقتحام العقبة هو الذى يفسر بفك الرقبة إلخ لا نفس العقبة كما قلنا .

(٧) جمع مَفْعلة ، أى أن كل صيغة مما سبق على زنة مَفْعلة ، فجمعها على مفعلات والأولى من سغب كفرح ونصر ، والثانية من قرب على وزن كرم ، وإنما قال قرب فى النسب لإفادة أن القرب ليس قرب الجوار بل قرب النسب ، والثالثة من ترِب من باب طرِب .

(٨) ينحو بذلك منحى ابن عمر الذى فسر المسكين ذا المتربة بالذى مأواه المزابل .

(٩) وذو بمعنى صاحب ، وصحبة اليوم لما فيه هى صحبة الظرف للمظروف .

جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا فى الوقت ، إذ الإيمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) بالتراحم فيما بينهم (أولئك أصحاب الميمنة) أى الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة (والذين كفروا بآياتنا) بالقرآن أو بدلائلنا (هم أصحاب المشأمة) أصحاب الشمال ، والميمنة والمشأمة اليمين والشمال[1] أو اليُمن[2] والشؤم[3] أى الميامين على أنفسهم[4] والمشائيم عليهن[5] (عليهم نار موصدة) وبالهمز أبو عمرو وحمزة وحفص أى مطبقة من أوصدت الباب[6] وآصدته[7] إذا أطبقته وأغلقته والله أعلم .

---

(١) أى جهة اليمين وفيها السعداء ، وجهة الشمال وفيها الأشقياء .

(٢) أى البركة . (٣) أى الشر .

(٤) أى أصحاب البركة على أنفسهم ، وهم أصحاب اليمين .

(٥) أى أصحاب الشؤم على أنفسهم ، وهم أصحاب الشمال ، وأنث ضمير عليهن لعوده على الأنفس .

(٦) واسم المفعول منه موصَد .

(٧) واسم المفعول منه مؤصَد ، وهى لغة قريش ، وجوز أن تكون مؤصدة بالهمزة من أوصد ، وهمزت الواو فى اسم المفعول كما فى قراءة « بالسؤق والأعناق » .

سورة الشمس

مكية وهى خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والشمس وضحاها) وضوئها[1] إذا أشرقت وقام سلطانها[2] (والقمر إذا تلاها) تبعها فى الضياء والنور ، وذلك فى النصف الأول من الشهر ، يخلف القمر الشمس فى النور (والنهار إذا جلاها) جلى الشمس وأظهرها للرائين ، وذلك عند انفتاح النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء ، وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله «ماترك على ظهرها من دابة» (والليل إذا يغشاها) يستر الشمس فتظلم الآفاق ، والواو الأولى فى نحو هذا للقسم بالاتفاق ، وكذا الثانية [3] عند البعض ، وعند الخليل الثانية للعطف ، لأن إدخال القسم على القسم

سورة الشمس

هى كالتى قبلها فى أنها مفتتحة بالقسم ، ومقسمة الناس إلى قسمين مؤمنين سعداء وكافرين أشقياء ، وداعية إلى توحيد الله والعمل للآخرة ، ومبشرة بسعادة المؤمنين ومحذرة من شقاوة الكافرين ، فناسب أن تكون إلى جانبها .

(١) أخرجه الحاكم عن ابن عباس وصححه .

(٢) يريد إذا اشتد ارتفاعها ، ونقل عن المبرد أن الضحى مشتق من الضح وهو نور الشمس ، والألف مقلوبة من الحاء الثانية اهـ والمراد من الاشتقاق على رأيه الأخذ وقال بعض المحققين ، حقيقة الضحى تباعد الشمس عن الأفق الشرقى المرئى وبروزها للناظرين ، ثم صار حقيقة فى وقته ، وأول وقته ضحوة ، وما يليه ضحى ، وما يليه إلى قريب من الزوال ضحاء بفتح الضاد والمد ، فإذا أضيف إلى الشمس فهو مجاز عن إشراقها كما هنا .

(٣) أى وما بعدها فى باقى ما أقسم به ، واقتصر على الثانية من باب المثال .

قبل تمام الأول[1] لا يجوز ، ألا ترى أنك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو ثم لكان المعنى على حاله[2] وهما حرفا عطف فكذا الواو ، ومن قال إنها للقسم احتج بأنها لو كانت للعطف لكان[3] عطفاً على عاملين[4] لأن قوله والليل مثلا مجرور بواو القسم وإذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذى هو أقسم ، فلو جعلت الواو فى والنهار إذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفاً على الليل جراً ، وإذا تجلى معطوفاً على إذا يغشى نصباً فكان كقولك إن فى الدار زيداً والحجرة عمراً[5] وأجيب بأن واو القسم تنزلت منزلة الباء والفعل[6] حتى لم يجز إبراز الفعل معها[7] فصارت كأنها العاملة نصباً وجراً أو صارت كعامل واحد له عملان ، وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق ، نحو ضرب زيد عمراً و بكر خالداً فترفع بالواو وتنصب ، لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما فكذا هنا، وما مصدرية فى (والسماء ومابناها * والأرض وماطحاها * ونفس وما سواها) أى و بنائها وطحوها أى بسطها وتسوية خلقها[8] فى أحسن صورة عند البعض ، وليس بالوجه[9] لقوله فألهمها[10] لما فيه من فساد

---

(١) وتمامه بجوابه ، أى قبل الجواب عنه .

(٢) المراد أن المعنى القسمى يبقى على حاله أى بسبب العطف بهما على القسم السابق وإلا فالفاء تزيد على الواو الترتيب والتعقيب ، وثم الترتيب والتراخى .

(٣) الواجب أن يقول لكانت عطفاً أى عاطفة لأن الفعل المسند إلى ضمير مجازى التأنيث يجب تأنيثه ، إلا إن كان المعنى لكان المذكور فيذكر الفعل لتذكير مرجع ضميره بحسب المعنى .

(٤) أى على معمولى عاملين مختلفين .

(٥) بعطف الحجرة مجرورة على الدار، وعمراً منصوباً على زيداً ، والعاملان إن وفى

(٦) أى تنزلت منزلة باء القسم وفعل القسم .

(٧) بحيث يقال أقسم والشمس .

(٨) الضمير فى بسطها عائد على الأرض وفى تسوية خلقها عائد على النفس .

(٩) أى ليس جعل ما مصدرية بالوجه المقبول .

(١٠) فإن ضمير ألهمها يعود على نفس لا على تسويتها .

النظم[1] والوجه أن تكون موصولة ، وإنما أوثرت على مَنْ لإرادة معنى الوصفية ، كأنه قيل : والسماء والقادر العظيم الذى بناها ، ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها ، وإنما نكرت النفس لأنه أراد نفساً خاصة من بين النفوس ، وهى نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس ، أو أراد كل نفس والتنكير للتكثير كما فى علمت نفس (فألهمها فجورها وتقواها) فأعلمها طاعتها ومعصيتها ، أى أفهمها أن أحدهما حسن والآخر قبيح (قد أفلح) جواب القسم والتقدير لقد أفلح ، قال الزجاج صار طول الكلام عوضاً عن اللام ، وقيل الجواب محذوف وهو الأظهر ، تقديره ليدمدن الله عليهم[2] أى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ ، كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً ، وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد ، وليس من جواب القسم فى شىء (من زكاها) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية (وقد خاب من دساها) أغواها الله ، قال عكرمة أفلحت نفس زكاها الله ، وخابت نفس أغواها الله ، ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد[3] والتدسية النقص والإخفاء بالفجور ، وأصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة[4] (كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها[5] إذ الحامل لهم على التكذيب

---

(١) تعليل لقوله ليس بالوجه ، أى فى جعل ما مصدرية فساد النظم بسبب عود ضمير ألهمها على النفس لا على تسويتها .

(٢) دمدم عليه كلمه مغضباً ، والمراد ما يترتب على ذلك من العقوبة .

(٣) فمن زكاها ومن دساها هو العبد .

(٤) أى أن السين الثالثة أبدلت ياء ، ثم أبدلت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها ودسس مبالغة فى دس بمعنى أخفى قال الشاعر :

ودسست عمرا فى التراب فأصبحت   حلائله منه أرامل ضُيَّعا

ثم أريد من التدسية الإغواء لأنه إخفاء للنفس فى حمأة الآثام .

(٥) والطَّغْوى مصدر طَغوْتَ كما أن الطغيان مصدر طغيت فإنه يأتى واويا ويأتى يائياً كما قال الراغب . والطغيان مجاوزة الحد .

طغيانهم (إذ انبعث) حين قام بعقر[١] الناقة (أشـقاها) أشقى ثمود قدار بن سالف وكان أشقر[٢] أزرق قصيراً وإذ منصوب بكذبت أو بالطغوى (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السـلام (ناقة الله) نصب على التحذير أى احـذروا عقرها[٣] (وسقياها)[٤] كقولك[٥] الأسد الأسـد (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا (فعقروها) أى الناقة ، أسند الفعل إليهم وإن كان العاقر واحداً لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربهم) أهلكهم هلاك استئصال[٦] (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة ، أى فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك ، لأنه فعل فى مُلكه ومِلكه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، فلا يخاف مدنى وشامى .

---

(١) فعله من باب ضرب .

(٢) الشقرة فى الإنسان حمرة صافية وبشرته تميل إلى البياض ، وفى الخيل حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب .

(٣) فناقة منصوب على التحذير على تقدير مضاف ، وعقرها نحرها أو قتلها ، وأصله الجرح :

(٤) فلا تمنعوها من مائها فى اليوم المخصص لها ، وسقياها معطوف على ناقة .

(٥) فى أنه نصب على التحذير.

(٦) فى القاموس معناه أتم العذاب عليهم اهـ وكأنه متعد ، وقيل أطبق عليهم العذاب من قولهم دمدم عليه القبر أى أطبقه .

سورة الليل

إحدى وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والليل إذا يغشى)[١] المُغْشِيُّ إما الشمس[٢] من قوله «والليل إذا يغشاها»[٣] أو النهار من قوله « يُغشى الليل النهار »[٤] أو كل شيء يواريه بظلامه[٥] من قوله «إذا وقب»[٦] (والنهار إذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وماخلق الذكر والأنثى) والقادر العظيم[٧] القدرة الذى قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وجواب

سـورة الليل

ذُكر فيها خصال يزكى بها الإنسان نفسه وينال بها الفلاح والفوز فى الآخرة فى دار النعيم ، وأخرى يدسى بها نفسه ويغويها ويحصل من ورائها على الخيبة فى النار مقر الشقاء ، وذلك كالتفصيل للإجمال فى قوله تعالى فى السورة السابقة « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

(١) من غشيه الشيء أى غطاه ، وهو من باب علم .

(٢) يريد به وبما بعده أن يبين ما يغطيه الليل مستأنساً بالقرآن الكريم ، فإن خير ما فسرته بالوارد ، والمغشى المغطى .

(٣) أى يغطى الليل الشمس فلا تبدو .

(٤) أى يغطى الله تعالى النهار بالليل .

(٥) أى المغشى كل شيء يغطيه الليل بظلامه .

(٦) من قوله فى سورة الفلق « ومن شر غاسق إذا وقب » أى ومن شر ليل إذا أظلم وغطى بظلامه كل شيء .

(٧) يريد أن ما موصولة بمعنى مَن ولذا فسرها بقوله والقادر العظيم ، واختيرت بدل مَن لإرادة الوصفية .

القسم (إن سعيكم لشتى[1]) إن عملكم لمختلف، و بيان الاختلاف فيما فصل على أثره (فأما من أعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهى ملة الإسلام ، أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة ، أو بالكلمة الحسنى وهى لا إله إلا الله (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة[2] اليسرى وهى العمل بما يرضاه ربه (وأما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بالإسلام أو الجنة (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية إلى النار[3] فتكون الطاعة أعسر شىء عليه وأشد ، أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر[4] وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبتها العسر[5] أو أراد بهما طريقى الجنة والنار (وما يغنى عنه ماله إذا تردى) ولم ينفعه ماله إذا هلك وتردى تفعّل من الردى وهو الهلاك أو تردى فى القبر أو فى قعر جهنم أى سقط (إنّ علينا للهدى[6]) إنّ علينا إلا الإرشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وإن لنا للآخرة والأولى) فلا يضرنا ضلال من ضل ، ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى، أو إنهما لنا فمن طلبهما من غيرنا[7] فقد أخطأ الطريق (فأنذرتكم) خوفتكم (ناراً تلظى[8]) تتلهب (لا يصلاها) لا يدخلها للخلود فيها (إلا الأشقى * الذى كذب وتولى) إلا الكافر الذى كذب الرسل وأعرض عن الإيمان (وسيجنبها) وسيُبْعَد منها (الأتقى) المؤمن (الذى يؤتى

---

(١) جمع شتيت بمعنى متفرق ، والمراد بتفرق السعى اختلاف العمل فى الجزاء كما سيفصله سبحانه بقوله « فأما من أعطى » الخ .

(٢) أى الخصلة .

(٣) وهى خَلّة المعصية ، وذلك بأن يتركه دون توفيق بسبب سوء اختياره .

(٤) أى الرخاء والخير .

(٥) أى الشدة والشر .

(٦) استئناف مقرر لما قبله .

(٧) أى طلب شيئاً من الآخرة والدنيا من ألوان السعادة فيهما من غير الله تعالى بعبادته لذلك الغير أو الاعتماد عليه .

(٨) أصله تتلظى فحذفت إحدى التاءين تخفيفا

ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاء[1] أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا[2] لايريد به رياء ولا سمعة، أو يتفعل من الزكاة[3] ويتزكى إن جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له ، لأنه داخل فى حكم الصلة، والصلات لا محل لها، وإن جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب . قال أبو عبيدة الأشقى بمعنى الشقى وهو الكافر ، والأتقى بمعنى التقى[4] وهو المؤمن لأنه لا يختص بالصلى[5] أشقى الأشقياء[6] ولا بالنجاة أتقى الأتقياء[7] وإن زعمت أنه نكر النار فأراد ناراً مخصوصة بالأشقى[8] فما تصنع بقوله وسيجنبها الأتقى لأن التقى يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة[9] وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما فقيل الأشقى وجعل مختصاً بالصلى كأن النار لم تخلق إلا له ، وقيل الأتقى وجعل مختصاً بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له ، وقيل هما أبو جهل وأبو بكر ، وفيه بطلان زعم المرجئة لأنهم يقولون لا يدخل النار إلا كافر[10] (وما

---

(١) هو الزيادة . (٢) أى زائد الأجر .

(٣) وهى الطهارة ، أى يتطهر من ذنوبه بإيتائه ماله للفقراء ، يريد بقوله يتفعل، أنّ يتزكى على وزنها .

(٤) فأفعل التفضيل فيهما على غير بابه .

(٥) الصلىّ ، بضم الصاد وكسرها واللام مكسورة مقاساة حر النار يريد دخول النار بطريقة أبدية .

(٦) بل كل شقى بكفره ، زادت شقاوته أو نقصت .

(٧) بل كل تقى بإيمانه ، زاد تقاه أو نقص .

(٨) يريد أبو عبيد إن زعمت بقاء أفعل التفضيل على بابه ،وأن المراد بالنار التى يصل بها الأشد شقاء ناراً خاصة شديدة إلخ .

(٩) فيدل ذلك على أن أفعل التفضيل على غير بابه .

(١٠) حبذا لو قدم هذا الكلام عند تفسيره « لا يصلاها » بقوله لا يدخلها للخلود فيها ، بأن يقول عقبه وفيه بطلان زعم المرجئة إلخ ، أى وفى حمل الدخول على الدخول مع الخلود — فلو أن المفسر فعل ذلك لارتبط الضمير بمرجعه .

لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه[1]) أى وما لأحد عند الله نعمة يجازيه بها إلا أن يفعل فعلا يبتغى به وجه ربه فيجازيه عليه (الأعلى) هو الرفيع بسلطانه، المنيع[2] فى شأنه و برهانه، ولم يرد به العلو من حيث المكان فذا آية الحدثان[3] (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذى يرضيه و يقر عينه، وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ولسوف يعطيك ربك فترضى .

واعلم أن المرجئة قالوا إن المراد بالأشقى الكافر ، وقد قصرت الآية دخول النار عليه ، فيدل ذلك على أن عصاة المؤمنين لا يدخلونها ، فإذا حملنا الدخول على دخول خاص ، وهو الدخول مع الخلود ، لا يتم لهم دليلهم ، لأن ذلك القصر لا يمنع مطلق الدخول من غير خلود للعصاة ، والذى حمل على جعل الدخول دخولا مع الخلود أحاديث صحيحة فيها تعذيب بعض عصاة المؤمنين .

(١) بين الله تعالى فى الآية قبلها أن التقى الذى يعطى ماله لمستحقه يتطهر به من درن المعاصى يجنبه الله تعالى ناراً تلظى ، وهذه الآية أعنى « وما لأحد » إلخ استئناف مبين لطريقة إيتاء المال المحصل للتقوى المزكى لصاحبه الذى يجنبه النار ويجزى به فى الجنة والنعمة اسم مصدر لأنعم وهى المعبر عنها فى الآية السابقة بإيتاء المال ، وابتغاء استثناء متصل من نعمة على حذف مضاف أى إلا إنعامَ ابتغاء إلخ والمعنى وليس لأحد عند الله تعالى من إنعام يجزى أى يكافأ عليه إلا أن ينعِم هذا الأحدُ ابتغاء وجه ربه ، والضمير فى تجزى نائب فاعل راجع إلى نعمة ، أى تقابل بالثواب لصاحبها — وهذا أحسن وجه أراه لإعراب ابتغاء ، ولم أره لغيرى — والكثيرون على إعرابه استثناء منقطعا ، ولم أجده مستساغا بغير تكلف ثقيل — وكلام النسفى يشعر بأن الاستثناء منقطع .

(٢) أى القوى العزيز .

(٣) أى أن العلو المكانى علامة الحدوث ، فهو مستحيل عليه تعالى .

سورة والضحى

مكية وهى إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس ، وإنما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام ، وألقى فيها السحرة سجداً أو النهار كله لمقابلته بالليل فى قوله (والليل إذا سجى) سكن والمراد سكون الناس والأصوات فيه وجواب القسم (ما ودعك ربك وما قلى) ما تركك منذ اختارك ، وما أبغضك منذ أحبك ، والتوديع مبالغة فى الوَدْع[1] لأن من ودعك[2] مفارقا فقد بالغ فى تركك[3] روى أن الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون إن محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت ، وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، يريد

سورة الضحى

جاءت للحض على طائفة من مكارم الأخلاق كالتى قبلها فناسب أن تكون بجانبها ، ودوفع فيها عن النبى صلى الله عليه وسلم بصدد اتهاماتهم له وهو يدعوهم إلى التوحيد ومكارم الأخلاق .

(١) أى الترك . (٢) أى من تركك مفارقا .

(٣) هذا رأى الزمخشرى ، وهو يقتضى أن يكون المعنى ، ما بالغ ربك فى تركك ، وذلك يقتضى أن يكون أصل الترك موجوداً مع أنه تعالى لم يترك نبيه صلى الله عليه وسلم اللهم إلا أن يقال — إن المشركين ادعوا أن ربه بالغ فى تركه فنفى ما ادعوه ، وقيل إن التوديع فى الأصل من الدعة وهى خفض العيش فهو دعاء للمسافر بخفض العيش وبعد كآبة السفر عنه ، كما أن التسليم دعاء بالسلامة ، ثم صار متعارفا فى تشييع المسافر وتركه ، ثم استعمل فى الترك مطلقا ، وقد استعمل هنا كذلك .

والذا كرانه ، ونحوه فآوى ، فهدى ، فأغنى : وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف [١]
(وللآخرة خير لك من الأولى) أى ما أعد الله لك فى الآخرة من المقـام المحمود ،
والحوض المورود ، والخير الموعود ، خير مما أعجبك فى الدنيا ، وقيل وجه اتصاله بما
قبله أنه لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحى إليك ، وأنك
حبيب الله ، ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ، أخبره أن حاله فى الآخـرة أعظم من
ذلك ،لتقدمه على الأنبياء ، وشهادة أمته على الأمم ،وغير ذلك[٢] (ولسوف يعطيك
ربك) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) ولما نزلت قال
صلى الله عليه وسلم إذاً لا أرضى قط وواحد من أمتى فى النار[٣] واللام الداخلة على
سوف لام الابتـداء المؤكدة لمضمون الجملة ، والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف
يعطيك ، ونحوه لأقسم فيمن قرأ كذلك لأن المعنى لأنا أقسم ، وهذا لأنها إن كانت
لام قسم فلامه لا تدخل على المضـارع إلا مع نون التوكيد ، فتعين أن تكون لام
الابتداء ، ولامه لا تدخل إلا على المبتدأ والخبر ، فلا بد من تقدير مبتـدإ وخبر كما

(١) أى ما قلاك ، فأواك ، فهداك ، فأغناك .

(٢) أرى أن قوله تعالى « وللآخرة خير لك من الأولى » جملة استئنافية لتقرير
ما قبلها ببيان ما هو من آثار عدم ترك الله له وعدم إبغاضه ، وهو أنه فى الآخرة فى نعم
من الله تعالى لا حد لها وأنها دار الجزاء الأوفى له ، وأن قوله تعالى « ولسوف يعطيك
ربك فترضى » معطوفة على ما قبلها ومضمونها من آثار عدم توديع الله وعدم قلاه
كسابقتها — مجملة ما أعد له فى الآخرة ، ومبشرة بنعم فى الدنيا عظيمة ، أى لسوف
يعطيك فى الآخرة وفى الدنيا مايرضيك ، ومايرضيه فى الدنيا نصر كلمة الله على كلمة الشرك ،
والكمالات النفسية التى لا حد لها .

(٣) أى خالد فيها ، وإن كان يعذب شيئاً من العذاب على بعض تفريطاته ، وأخرج
مسلم فى الدر المنثور عن ابن عمر أنه صلى الله عليـه وسلم تلا قول الله تعالى فى إبراهيم
عليه السلام « فمن تبعنى فإنه منى » وقوله تعالى فى عيسى «إن تعذبهم فإنهم عبادك» الآية
فرفع عليه الصلاة والسلام يديه وقال « اللهم أمتى أمتى وبكى فقال الله تعالى يا جبريل
اذهب إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك » .

ذكرنا، كذا ذكره صاحب الكشاف، وذكر صاحب الكشف هي لام القسم، واستغنى عن نون التوكيد لأن النون إنما تدخل ليؤذن أن اللام لام القسم لا لام الابتداء، وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على سوف، لأن لام الابتداء لا تدخل على سوف[1] وذكر أن الجمع بين حرفى التأكيد والتأخير يؤذن بأن العطاء كائن لامحالة وإن تأخر، ثم عدد عليه نعمه من أول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه، لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال (ألم يجدك يتيما) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه، والمعنى ألم تكن يتيما حين مات أبواك (فآوى) أى فآواك إلى عمك أبى طالب وضمك إليه حتى كفلك ورباك[2] (ووجدك ضالا) أى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة، وما طريقه السمع[3] (فهدى) فعرفك الشرائع والقرآن، وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده إلى القافلة، ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق، ووقوع فى غىّ، فقد كان عليه السلام من أول حاله إلى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الأوثان، وقاذورات أهل الفسق والعصيان ووجدك عائلا) فقيراً (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم[4]

---

(١) هذه إحدى صورتين ذكرها النحاة للاستغناء عن توكيد الفعل الواقع جوابا للقسم، والصورة الثانية أن يفصل بين اللام وبين الفعل معموله كقوله تعالى: « لإلى الله تحشرون » فلا يؤكد الفعل فى هاتين الصورتين.

(٢) روى أن أباه مات وهو جنين له فى بطن أمه ستة أشهر، وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك إيواؤه، وهمزة ألم يجدك إلخ لإنكار النفى.

(٣) كما فى قوله تعالى « ما كنت تدرى ما الكتاب » وقوله سبحانه « وإن كنت من قبله لمن الغافلين ».

(٤) أو فأغناك بالقناعة فهى أعظم الغنى.

(فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجره ؛ فابذل قليلا ، أو رد جميلا ، وعن السدى المراد طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك فحدث) أى حدث بالنبوة التى آتاك الله ، وهى أجل النعم ، والصحيح أنها تعم جميع نعم الله عليه ، ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم[1] .

---

(١) والخطاب فيما سبق وإن كان للنبى صلى الله عليه وسلم إلا أنه تعليم للأمة فى شخصه صلى الله عليه وسلم فالحكم عام ، فما منا إلا وقد أنعم ربه عليه ، وقد طلب منا ماطلب منه صلى الله عليه وسلم شكراً لنعمة الله تعالى ، أخرج البخارى فى الأدب وأبو داود وغيرهما عن جابر بن عبد الله مرفوعاً « من أعطى عطاء فوجد فليجز به ، فإن لم يجد فليثن به ؛ فمن أثنى به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره ، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور » .

سورة ألم نشرح

مكية وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(ألم نشرح لك صدرك) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار ، فأفاد إثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ، ولذا عطف عليه وضعنا اعتباراً للمعنى أى فسّحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين وأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل[1] وعن الحسن ملىء حكمة وعلما (ووضعنا عنك وزرك) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها ، وقيل هو زلة لاتعرف بعينها وهى ترك الأفضل مع إتيان الفاضل ، والأنبياء يعاتبون بمثلها ، ووضعه عنه أن غفر له ، والوزر الحمل الثقيل (الذى أنقض ظهرك) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض[2] (ورفعنا لك ذكرك) ورفعُ ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والأذان والإقامة والخطب والتشهد وفى غير موضع من القرآن « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » « ومن يطع الله ورسوله » « والله ورسوله أحق أن يرضوه » وفى تسميته رسول الله ونبى الله ، ومنه ذكره فى كتب الأولين . وفائدة لك ما عرف فى

سورة ألم نشرح

نزلت بعد الضحى كما أخرجه ابن الضريس والنحاس والبيهقى وغيرهم عن ابن عباس وهى شديدة الاتصال بما قبلها ، فهى فى النبى صلى الله عليه وسلم مثلها ، ولهذا روى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يقولان هما سورة واحدة ، وكانا يقرآنها فى الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم .

(١) عطف تفسير للعمى ، فإن الجهل عمى القلب .

(٢) أى الانفكاك ، يسمع من الرحل المتداعى إلى الانتقاض أى الانفكاك من فوق البعير من ثقل الحمل ، وليس المراد سماع النقيض على الحقيقة بل على المبالغة .

طريقة الإبهام[1] والإيضاح[2] لأنه يفهم بقوله ألم نشرح لك أن ثم مشروحا[3] ثم أوضح بقوله صدرك ماعلم مبهماً ، وكذلك لك ذكرك ، وعنك وزرك (فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) أى إن مع الشدة التى أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسراً ، بإظهارى إياك عليهم حتى تغلبهم ، وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله ، فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ، ثم قال إن مع العسر يسراً ، كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيئس من فضل الله فإن مع العسر الذى أنتم فيه يسراً ، وجيء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب ، وإنما قال عليه السلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين ، لأن العسر أعيد معرفا فكان واحداً ، لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى ، واليسر أعيد نكرة والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى فصار المعنى إن مع العسر يسرين قال أبو معاذ يقال إن مع الأمير غلاما إن مع الأمير غلاما ، فالأمير واحد[4] ومعه غلامان[5] وإذا قال إن مع أمير غلاما وإن مع الأمير الغلام ، فالأمير واحد والغلام واحد[6] وإذا قيل إن مع أمير غلاما وإن مع أمير غلاما فهما أميران وغلامان[7] كذا فى شرح التأويلات (فإذا فرغت فانصب) أى فإذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد فى عبادة الرب[8] وعن ابن عباس رضى الله عنهما فإذا فرغت من صلاتك

---

(١) أولا .   (٢) ثانياً .

(٣) فهذا إبهام .

(٤) لأنه أعيد معرفة فيكون هو الأول .

(٥) لأن الغلام أعيد نكرة فيكون غير الأول .

(٦) لإعادة كل من الأمير والغلام معرفة فكل منهما عين الأول .

(٧) لإعادة كل منهما نكرة فكان الثانى غير الأول .

(٨) النصَب التعب ، وأريد منه هنا الاجتهاد مجازاً من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم أى فاجتهد فى العبادة بعد فراغك من دعوة الخلق أو من شئون الدنيا .

فاجتهد فى الدعاء ، واختلف أنه قبل[1] السلام أو بعده . ووجه الاتصال بما قبله أنه لما عدد عليه نعمه السالفة ، ومواعيده الآتية ، بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة ، والنصَب فيها ، وأن يواصل بين بعضها و بعض ، ولا يخلى وقتاً من أوقاته منها ، فإذا فرغ من عبادة ذَنَّبها[2] بأخرى (وإلى ربك فارغب) واجعل رغبتك إليه خصوصاً ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه ،وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

---

(١) أى اختلف فى أن الدعاء قبل السلام وبه قال قوم ، أو بعده وبه قال آخرون — واعلم أن السلف يكرهون الفراغ ، روى عن عمر أنه قال « إنى لأ كره أن أرى أحدكم فارغاً سبهللاً ، لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة».

(٢) أى أتبعها .

ســورة والتين

مكية وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(والتين والزيتون) أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة ، روى[1] أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه ، لأن فاكهة الجنة بلا عجم[2] فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النِقْرِس[3] وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة ، يطيب الفم ويذهب بالحفرة ، وقال هى سواكى وسواك الأنبياء قبلى[4] وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم هذا ، وقيل هما

سورة التين

كانت سورتا الضحى والشرح كالجملة بين قوسين بالنظر لما قبلهما وما بعدها سيقتا لمناسبات اقتضتهما كما بينا فى صدريهما ، وقد رجع الحديث للتذكير بما بعد الحياة الأولى والوعد للصالحين ، والتهديد للمتمردين بسيطرة احكم الحاكمين — وصلتها بما قبلها ، أن ماقبلها فيها توجيهات سامية لنبى هذه الأمة بعد تعداد النعم عليه صلى الله عليه وسلم وهذه فيها إرشاد الأمة إلى العمل الصالح المستتبع لخير الجزاء، بعد تذكير الإنسان بنعمة خلقه .

(١) رواه أبو نعيم فى الطب والثعلبى من حديث أبى ذر ، وفى إسناده من لايعرف.

(٢) العجم هو النوى واحده عجمة كقصب وقصبة .

(٣) أى إذا ضمد به نضيجاً مدقوقاً مع دقيق الشعير أو القمح أو الحلبة ، وهذا الخليط ينفع ضماداً كذلك من الأورام الغليظة وأوجاع المفاصل، وإذا ضمد به فِجًّا أى من غير نضج مع الخليط السابق نفع من الثآليل والبهق ، راجع ما كتبه الطبيب داود فى تذكرته ، فقد ذكر له فوائد غاية فى النفع يستحق من أجلها أن يقسم به .

(٤) عن معاذ بن جبل أنه مر بشجرة الزيتون وأخذ منها قضيباً فاستاك به وقال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون » إلخ أخرجه الطبرانى فى الأوسط والثعلبى من حديث معاذ بن جبل وإسناده واه .

جبلان ، بالشأم منبتاهما[1] (وطور سينين) أضيف الطور وهو الجبل[2] إلى سينين[3] وهى البقعة ، ونحو سينين يبرون[4] فى جواز الإعراب بالواو والياء[5] والإقرار[6] على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب (وهـذا البلد) يعنى مكة (الأمين) من أَمُن الرجل أمانة فهو أمين[7] وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ، ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والأولياء فمنبت[8] التين والزيتون مهاجَر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه ، والطور المكان الذى نودى منه موسى ، ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ، ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين ، أو الأولان قسم بمهبط الوحى على عيسى ، والثالث على موسى ، والرابع على محمد عليهم السلام وجواب القسم (لقد خلقنا الإنسان) وهو جنس (فى أحسن تقويم) فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه (ثم رددناه أسفل سافلين)[9]

---

(١) من إطلاق الحال وإرادة المحل ثم اشتهر ذلك فصار كل لمسماه من قبيل الأعلام .

(٢) يطلق الطور لغة على كل جبل ، وقد أصبح علماً لجبل خاص بسيناء تجلى الله تعالى فيه على موسى ، فإذا أطلق انصرف إليه ، وهو علم منقول كما رأيت وال فيه للمح الأصل .

(٣) هى سيناء من أرض مصر الشرقية القريبة من فلسطين .

(٤) من بلاد الهند .

(٥) فتكون ملحقة بجمع المذكر السالم .

(٦) أى الإبقاء عليها . (٧) أى ثقة .

(٨) فى النسخ المطبوعة التى بأيدينا نبت وهذا خطأ والصواب منبت .

(٩) ردّ إما بمعنى جعل فينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر كقوله :

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

وهما هنا الهاء وأسفل — وإما بمعنى غيّر الحال ، فينصب مفعولا واحداً هو الهاء وأسفل حال منه .

أى ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقاً وتركيباً ، يعنى أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار[1] أو أسفل من سفل من أهل الدركات[2] أو ثم رددناه[3] بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكّسناه[4] فى خلقه فقُوِّس[5] ظهره بعد اعتداله ، وابيض شعره بعد سواده ، وتشنَّن[6] جلده ، وكَلَّ سمعه وبصره ، وتغير كل شىء منه ، فمشيه دَليف[7] وصوته خُفات[8] وقوته ضعف ، وشهامته خَرَف[9] (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق[10] للجمع بين اللغتين[11] والاستثناء على

---

(١) فإن النار بإحراقها لهم تقبح صورتهم وتنزل بها إلى مالا يطاق النظر إليه .

(٢) دركات النار منازل أهلها ، ويقابلها فى الجنة درجاتها ، والفرق بين هذا وما قبله أن هذا لم ينظر فيه إلى قبح الصورة بل إلى تسفل المنزلة .

(٣) أى فى الدنيا . (٤) أى قلبناه .

(٥) أى انحنى ومصدره التقويس ، كتقوس ومصدره التقوس .

(٦) أى تجعّد أو بلى .

(٧) مصدر دلف يدلف كضرب يضرب ومن مصادره الدلَفان ، وهو أن يمشى مشى المقيد وفوق الدبيب .

(٨) مصدر خفت من باب نصر — والخُفات كما فى القاموس الموت فجأة ، والنسق يريد أن صوته ساكن ، فحبذا لو وضع مكان الخفاتِ الخفُوتَ فهو سكون الصوت .

(٩) الشهامة ذكاء الفؤاد ، وفعله ككرُم ، والخرف فساد العقل ، وفعله كنصر وفرح وكرم .

(١٠) فى آخرها فى قوله تعالى « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » .

(١١) يعنى أن المبتدأ إذا كان اسماً موصولا جاز تجريد خبره عن الفاء على الأصل كآخر الانشقاق ، وجاز اقترانه بها لشبه الموصول بالشرط . فى العموم كما هنا ، فالذين آمنوا مبتدأ وجملة لهم أجر خبره — وهذا إنما يتم على جعل الاستثناء منقطعاً ، أما على جعله متصلا ، فالذين آمنوا منصوب على الاستثناء ، ولهم خبر مقدم وأجر غير ممنون =

الأول[1] متصل وعلى الثانى[2] منقطع ، أى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم، وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة ، والخطاب فى (فما يكذبك بعد بالدين) للإنسان على طريقة الالتفات[3] أى فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع ، والبرهان الساطع بالجزاء ، والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه ، بشراً سوياً ، وتدريجه فى مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوى ، ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق ، وأن من قدر على خلق الإنسان وعلى هذا كله لم يعجز عن إعادته ؛ فما سبب تكذيبك بالجزاء ، أو لرسول[4] الله صلى الله عليه وسلم ، أى فمن ينسبك إلى الكذب بعد هذا الدليل ، فما بمعنى مَنْ (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله ، وهو من الحكم والقضاء والله أعلم .

= مبتدأ مؤخر ، والجملة استئناف مقرر لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ، ومبين لكيفية حالهم ، والفاء لإفادة الترتب فإن ما بعدها مترتب على الاستثناء السابق .

(١) أى على الوجه الأول بقسميه وهو جعل السافلين أهل النار كما تقدم .

(٢) وهو جعل السافلين أهل الكبر والزمانة فى الدنيا .

(٣) من الغيبة إلى الخطاب لتشديد التوبيخ .

(٤) معطوف على للإنسان فى قوله سابقاً « والضمير فى فما يكذبك بعد بالدين للإنسان» .

سورة العلق

مكية وهى تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس ومجاهد هى أول سورة نزلت ، والجمهور على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم[1] (اقرأ باسم ربك الذى خلق) محل باسم ربك النصب على الحال ، أى اقرأ مفتتحاً باسم ربك ، كأنه قيل قل بسم الله ثم اقرأ الذى خلق ، ولم يذكر لخلق مفعولا لأن المعنى الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه ، أو تقديره خلق كل شىء[2] فيتناول كل مخلوق ، لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات

سورة العلق

ذهب الكثيرون إلى أنها أول مانزل من القرآن فقد أخرج الطبرانى فى الكبير بسنده على شرط الصحيح عن أبى رجاء العطاردى قال « كان أبو موسى الأشعرى يقرئنا فيجلسنا حلقا عليه ثوبان أبيضان ، فإذا تلا هذه السورة « اقرأ باسم ربك » قال هذه أول سورة أنزلت على محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم » .

ولما بين فى السور السابقة أن الإنسان خلق فى أحسن تقويم ، ذكر هنا مبدأ خلقه وهو العلق .

وفى السورة السابقة توجيه إلى الإيمان والعمل الصالح وتذكير بأحكم الحاكمين وفى هذه توجيه إلى الصلاة والأمر بالتقوى وتقريع على من ينهى عنهما ، ونعى على من كذب وتولى ووعيده ، فلهذا التناسب ذكرت إلى جانبها .

(١) الأصح أن أول ما نزل هو سورة اقرأ ، أو على الأقل صدرها لما ذكرناه عن أبى موسى الأشعرى ، ولأنه قد ورد عن عائشة فى حديث بدء الوحى المروى للشيخين وغيرهما « فجاءه الملك فقال اقرأ فقال قلت ما أنا بقارىء إلى أن قال له اقرأ باسم ربك » إلى قوله مالم يعلم ، ودعوى أن الفاتحة أول ما نزل بينة البطلان كما فى شرح مسلم ، وكون هذا رأى الجمهور لا أصل له .

(٢) فيكون مفعوله عاماً محذوفاً .

بتقديره[1] أولى من بعض[2] وقوله (خلق الإنسان) تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لشرفه ، ولأن التنزيل إليه ، ويجوز أن يراد الذى خلق الإنسان إلا أنه ذكر مبهماً ثم مفسراً تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق)[3] وإنما جمع[4] ولم يقل من علقة لأن الإنسان فى معنى الجمع[5] (اقرأ وربك الأكرم) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم ، ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه ، وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال (الذى علم) الكتابة (بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده مالم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة ، وما دونت العلوم ، ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين. ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولاها لما استقامت أمور الدين والدنيا ، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه ، وإن لم يذكر[6] لدلالة الكلام عليه (إن الإنسان ليطغى) نزلت فى أبى جهل إلى آخر

---

(١) أى بتقديره مفعولاً لخلق .

(٢) فلذا جعل خلق منزلا منزلة اللازم غير ملاحظ المفعول أو قدر له مفعول عام كما مر .

(٣) العلق فى اللغة الدم عامة ، أو الشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد ، وهو اسم جنس جمعى واحده علقة ومن معانيه كل ماعلق ، وقد ثبت أن المنى حيوانات ترى بالمجهر ، وهى التى يتكون منها الجنين بعد التقائها من منى الرجل بمثلها من منى المرأة فى الرحم ، فمن الممكن أن يراد من العلق تلك الحيوانات المنوية لأنها تعلق بالرحم ولا تنفك عنه وذلك أول شئون خلقه — فتلتقى هذه الآية مع قوله تعالى « من نطفة خلقه » .

(٤) أى لم يقل علقة واحدة العلق بل جمع أى أتى باسم جنس جمعى إذ ليس جمعاً بل مفردا .

(٥) فكلٌ خلق من علقة .   (٦) أى وإن لم يذكر من كفر بنعمة الله .

السورة (أن رآه) أن رأى نفسه ، يقال فى أفعال القلوب رأيتنى وعلمتنى ، ومعنى الرؤية العلم ، ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين[1] (استغنى) هو المفعول الثانى (إن إلى ربك الرجعى) تهديد للإنسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات[2] والرجعى مصدر بمعنى الرجوع أى إن رجوعك إلى ربك فيجازيك على طغيانك (أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا صلى) أى أرأيت أبا جهل ينهى محمداً عن الصلاة[3] (أرأيت إن كان على الهدى) أى إن كان ذلك الناهى[4] على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله[5] (أو أمر بالتقوى) أو كان آمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد (أرأيت إن كذب وتولى) أرأيت إن كان ذلك الناهى مكذبا بالحق متولياً عنه كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب

---

(١) تختص أفعال القلوب بجواز كون الفاعل والمفعول ضميرى شخص واحد ، كما فى علمتُنى ، وكما فى رآه ، على معنى رأى نفسه . ولا يجوز حمل رأى هنا على الرؤية البصرية ؛ لعدم جواز ذلك فى غير أفعال القلوب عند الجمهور ، وأما عند من جوزه فيجوز ، ودا ا ، من جوز ذلك قول عائشة رضى الله عنها « لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا الأسودان » .

(٢) تشديداً فى التهديد .

(٣) أخرج أحمد ومسلم والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة « أن أبا جهل حلف باللات والعزى لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ليطأن على رقبته ، وليعفرن وجهه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليفعل ، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيديه ، فقيل له مالك ؟ فقال إن بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضوا ، وأنزل الله تعالى « كلا إن الإنسان ليطغى » إلى آخر السورة .

(٤) وهو أبو جهل .

(٥) على سبيل الفرض .

حاله وهذا[1] وعيد ، وقوله الذى ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا أرأيت [2] وجواب الشرط[3] محذوف تقديره إن كان على الهدى أوأمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى [4] وإنما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى ، وهـذا كقولك إن أكرمتك أتكرمنى ، وأرأيت الثانيـة مكررة زائدة للتوكيد[5] (كلا) ردع لأبى جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الأصنام ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعاً بالناصية) لنأخذن بناصيته[6] ولنسحبنه بهـا إلى النار ، والسفع القبض على الشىء وجذبه بشدة ، وكتبها[7] فى المصحف بالألف على حكم الوقف ، واكتفى بلام العهد عن الإضافة للعلم بأنها ناصية المذكور (ناصية) بدل من الناصيـة لأنها[8] وصفت

---

(١) أى قوله ألم يعلم إلخ وعيد ، يعنى أنه سيعاقبه .

(٢) فالذى ينهى المفعول الأول والشرط وجوابه فى محل النصب على أنه مفعول ثان

(٣) أى جواب إن كان على الهدى محذوف .

(٤) فقوله « ألم يعلم بأن الله يرى » المحذوف جواب إن كان على الهدى .

(٥) وكأنه قيل أرأيت أبا جهل الذى ينهى النبى عن الصلاة إذا صلى إن كان ذلك الناهى وهو أبو جهل على الهـدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى ويعلم كل شىء فيدافع عن أوليائه ويجازى من يحاول الإضرار بهم فكيف اجترأ على أن يحلف ليطأن رقبة الرسول صلى الله عليه وسلم،أرأيت ذلك الناهى عن الصلاة إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى ؛ والمفعول الأول لأرأيت الثالث ضمير يعود على الذى ينهى ومفعوله الثانى جملة الشرط المذكورة هى وجوابها أعنى قوله تعالى «إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى».

والمراد من أرأيت أخبرنى ، فإنه لما كانت الرؤية سبباً للعلم أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها وهو جملة الاستفهام الواقع موقع المفعول الثانى والذى وقع فى خصوص هـذا المقام جوابا للشرط ، والخطاب لكل من يصلح للخطاب ، والرؤية فى المواضع الثلاثة هل هى قلبية أو الأولى بصرية وما بعدها قلبى خلاف،وفى الآية وجوه إعرابية ومذاهب مختلفة ومعان متعددة يطول الكلام عليها فراجعها فى مظانها .

(٦) شعر مقدم رأسه . (٧) أى كتابة نون التوكيد الخفيفة فى لنسفعا .

(٨) يعلل كون ناصية النكرة بدلا من الناصية المعرفة بأنها لما خصصت بالوصفين بعدها ساغ إبدالها لقربها من المعرفة حينئذ .

بالكذب والخطأ بقوله (كاذبة خاطئة) على الإسناد المجازىّ وهما لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك ناصيةِ كاذبٍ خاطىء[1] (فليدع ناديه* سندع الزبانية) النادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم والمراد أهل النادى ، روى أن أبا جهل مر بالنبى عليه السلام وهو يصلى فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله عليه السلام ، فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا[2] فنزل ، والزبانية لغةً الشرط[3] الواحد زبنية[4] من الزَّبْن وهو الدفع ، والمراد ملائكة العذاب ، وعنه عليه السلام : لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً (كلا) ردع لأبى جهل (لا تطعه) أى اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب إلى ربك بالسجود فإن أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد كذا الحديث والله أعلم .

---

(١) فهذا التعبير القرآنى يفيد أن الكذب تعداه إلى أعضائه حتى الناصية ، وفيه إسناد ما للكل للجزء .

(٢) أى رجالا ، فأطلق المحل وأراد الحال .

(٣) كصرد الجند ، واحده شُرْطة وشُرْطىّ .

(٤) كعِكرمة .

سورة القدر

مكية وقيل مدنية وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنا أنزلناه فى ليلة القدر) عظم القرآن حيث أسند إنزاله إليه [١] دون غيره [٢] وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه [٣] ورفع مقدار الوقت الذى أنزله فيه [٤] روى أنه أنزل جملة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث

سورة القدر

فى صدر السورة السابقة أمر بقراءة القرآن ، وفى هذه تعظيم شأنه ، فكانت كالتعليل للأمر بالقرآن فى السورة السابقة ، فناسب أن تكون تالية لها .

(١) أى إلى الله تعالى .

(٢) يشير بذلك إلى أن فى الآية قصرا ، وكأنه قيل ما أنزله إلا نحن ، وجاء القصر من تقديم المسند إليه وهو اسم إن على المسند وهو أنزلنا ، بدل من أن يقال من أول الأمر أنزلناه — بدون إنا ، وهذا التركيب فيه التأكيد بإنّ ، وإسناد الإنزال إلى نون العظمة مرتين ، وكل ذلك إلى جانب القصر فيه تعظيم للقرآن أىّ تعظيم .

(٣) يريد أن يقول إن قوله أنزلناه بدل أنزلنا القرآن فيه تعظيم آخر للقرآن بالإشارة إلى أنه مستغن عن التصريح باسمه ، وأن مجرد الإضمار إليه كاف فى الدلالة عليه لعظمته واشتهاره .

(٤) هذا هو الوجه الثالث من وجوه تعظيم القرآن التى ذكرها النسفى أخذاً عن الزمخشرى ، وحاصله أنه أعلى منزلة الوقت الذى أنزل فيه ، حيث جعل ليلة إنزاله ليلة القدر والشرف العظيم .

وعشرين سنة[١] ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها[٢] والقدر بمعنى التقدير ، أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالى[٣] وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان ، كذا روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن ذر أن[٤] أبى بن كعب كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان[٥] وعليه الجمهور ، ولعل الداعى إلى إخفائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلباً لموافقتها ، وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى ، واسمه الأعظم ، وساعة الإجابة فى الجمعة ، ورضاه فى الطاعات ، وغضبه فى المعاصى وفى الحديث: من أدركها يقول اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى (وما أدراك ما ليلة القدر) أى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ، ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر . وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم ، وذكر فى تخصيص هذه المدة أن[٦] النبى عليه السلام ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم ، فأعطوا ليلة هى خير

---

(١) أى ينزله فيها جزءاً حسب الوقائع ، وقال الشعبى معنى الآية : ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر .

(٢) فعن ابن عباس وغيره أنه يقضى فيها ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى السنة القابلة ، أى يسجل ما قضاه أزلا لتلك السنة المقبلة فى ليلة القدر لينفذ فى مواقيته .

(٣) فالقدر على هذا بمعنى الشرف ، وكيف لا تشرف وفيها أنزل القرآن دستور الإصلاح العام فى نظام العقيدة والأخلاق ، والجماعة والفرد ، ونواميس العمران والسعادة العاجلة والآجلة .

(٤) الصواب زِر بالزاى المكسورة وهو ابن حبيش ، تابعى كما ذكره الآلوسى .

(٥) وأخرج ابن أبى شيبة عن أبى ذر أنه سئل عن ليلة القدر فقال كان عمر وحذيفة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم وغيره عن على بن عروة .

من مدة ذلك الغازى[١] (تنزل الملائكة) إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض (والروح) جبريل ، أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ، أو الرحمة (فيها بإذن ربهم من كل أمر) أى تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل[٢] وعليه وقف (سلام هى) ما هى إلا سلامة[٣] خبر ومبتدأ أى لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير ، ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة ، أو ماهى إلا سلام لكثرة مايسلمون على المؤمنين ، قيل لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه فى تلك الليلة[٤] (حتى

---

(١) فى هذا الحديث ضعف ، ولا يعقل أن يقول الرسول كلاماً كهذا ، فالجهاد الخالص فى سبيل الله لا تعدله عبادة فما ظنك وقد استمر نيفاً وثمانين عاماً ، وهذا كتاب الله خير شاهد « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله »الآية .إنما هى ليلة الشرف بنزول القرآن والملائكة وفصل كل أمر حكيم فيها ، فكانت فى شرفها وفضلها بين الليالى خيراً من ألف شهر بسبب ماذكر ، وإذا كانت شريفة إلى هذا الحد ينبغى إحياؤها بالعبادة لكن لا على أن العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر فى غيرها ، وإلا لاكتفى المؤمن بعبادة سنة كاملة عن عبادة العمر إذ أنه مصادف فيها ليلة القدر ولو بصلاة المغرب والعشاء ، وينبغى أن يكون القرآن هو مخ العبادة فيها لأنه نزل فيها ، وهى تلتمس فى وتر العشر الأخير من رمضان فهو أرجى أوقاتها ، ومن عبد الله تعالى فيها كان لعبادته قدر كريم لأنه يكرم ليلة نزول القرآن الكريم ، والفصل فى شئون الخلق وزيارات الملائكة ، فهو بتلك النية الصالحة يرجو مزيد الخير من الله المنان .

(٢) قوله ، إلى قابل ، متعلق بقضاه ، أى قضاه إلى عام قابل ، أى أوله ، ولعل المراد أن ينزل رؤساء الملائكة بما عهد إليهم تنفيذه مدة العام الذى يبدأ من تلك الليلة ليبلغوه إلى من دونهم .

(٣) يعنى أن هذا التركيب فيه قصر حيث قدم فيه الخبر على المبتدأ ، كما فى تميمى أنا .

(٤) أفضل أن يكون السلام بمعنى السلامة ، وأن المعنى ماهى إلا سبب للسلامة وللنجاة من المكاره يوم القيامة بمضاعفة الأجور وغفران الذنوب لمن أحياها ، أو أن الملائكة المدبرين الرؤساء ينزلون بكل أمر على مرءوسيهم فيبلغونهم ما أمروا بتنفيذه =

مطلع الفجر) أى إلى وقت طلوع الفجر ، وبكسر اللام[1] علىّ وخلف ، وقد حرم من السلام الذين كفروا ، والله أعلم .

= ويسلمون عليهم، وهؤلاء الرءوسون رؤساء لمن دونهم يبلغونهم ويسلمون عليهم وهكذا حتى مطلع الفجر .

(١) فيكون اسم زمان على هذا لا مصدراً ميميا كما فى قراءة الفتح .

ســورة البينة

مختلف فيها وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى ، وأهل الرجل أخص الناس به ، وأهل الإسلام من يدين به (والمشركين) عبدة الأصنام (منفكين) منفصلين عن الكفر وحذف[1] لأن صلة الذين تدل عليه[2] (حتى تأتيهم البينة) الحجة الواضحة ، والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض (رسول من الله) أى محمد عليه السلام وهو بدل من البينة[3] (يتلوا) يقرأ عليهم (صحفاً) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها) فى

سورة البينة

هى كالتعليل لإنزال القرآن الذى جاء فى السورة قبلها ، كأنه قيل أنزلنا القرآن لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى يأتيهم رسول يتلو صحفاً مطهرة ، فناسب أن تليها .

(١) أى وحذف قوله عن الكفر .

(٢) فقد صرح فيها بكفرهم فأغنى ذلك عن أن يقال منفكين عن الكفر ، ويرى غيره أن المعنى لم يكونوا منفكين عما كانوا عليه من الوعد بالإيمان بالرسول الذى سيبعث فى آخر الزمان والعزم على إنجازه ، ولذا كان أهل الكتاب يقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث آخر الزمان ، ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وأما المشركون فقد تأثروا بما كان أهل الكتاب يقولونه واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم ، فكانوا هم الآخرون منتظرين مبعثه صلى الله عليه وسلم ليبادروا باتباعه قبلهم .

(٣) وساغ إبداله وهو نكرة من المعرفة لتخصصه بالوصف .

الصحف (كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) فمنهم من أنكر نبوته بغياً وحسداً ومنهم من آمن ، وإنما أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع أولا بينهم وبين المشركين ، لأنهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم ، فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (وما أمروا) يعنى فى التوراة والإنجيل (إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير شرك ونفاق (حنفاء)[1] مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة[2] (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ونافع يهمزها[3] والقراء على التخفيف ، والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) إقامة (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها (ذلك) أى الرضا[4] (لمن خشى ربه) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لأن البرية الخلق[5] واشتقاقها من برأ الله الخلق ، وقيل اشتقاقها من البرى وهو التراب[6] ولو كان كذلك لما قرؤا البريئة بالهمز[7] كذا قاله الزجاج والله أعلم .

---

(١) جمع حنيف أى مائل ، وفعله حنف من بابى فرح وكرم فهو أحنف . أى مال فهو أميل ، والمؤمنون حنفاء لميلهم عن الأديان الباطلة إلى دين الحق .

(٢) أى المستقيمة التى لاعوج فيها .

(٣) أى يهمز البرية فى الموضعين وهو الأصل إذ فعله برأ بمعنى خلق ، أى الخليقة .

(٤) بقسميه .

(٥) وهو يعم الملائكة .

(٦) صاحب هذا القول ينفى فضل مؤمنى البشر على الملائكة ويمنع دلالة الآية على هذا الفضل بحمل البرية على المخلوقين من التراب على أن البرية من البرى وهو التراب .

(٧) وذلك يدل على أنها من برأ بمعنى خلق ويشهد للرأى الأول ، لكن يلاحظ إدخال الأنبياء فى عموم الذين آمنوا حتى يفضل المجموع على المجموع إذ أن خواص الملائكة أفضل من عوام البشر .

سورة الزلزلة

مختلف فيها وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(إذا زلزلت الأرض زلزالها) أى حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال [١] وقرئ بفتح الزاى ، فالمكسور مصدر والمفتوح اسم [٢] (وأخرجت الأرض أثقالها) أى كنوزها وموتاها ، جمع ثقل وهو متاع البيت [٣] جعل ما فى جوفها من الدفائن أثقالا لها (وقال الإنسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها ، وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع ، كما يقولون من بعثنا من مرقدنا ، وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث ، فأما المؤمن فيقول : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يومئذ) بدل من إذا وناصبها (تحدث) أى تحدث الخلق (أخبارها) فحذف أول المفعولين لأن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق ، قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ، وفى الحديث تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها [٤] (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها أى إليها وأمره إياها بالتحديث [٥] (يومئذ

سورة الزلزلة

(١) فكأن جميع ما أصابها من الزلزال ليس بزلزال إلى جانب هذا ، والإضافة للعهد أى زلزالها المعهودة شدته فى القرآن الكريم .

(٢) أى للحركة المعروفة ، وانتصب ههنا على المصدر تجوزاً لسده مسده .

(٣) الأولى أن يجعله جمع ثـقَـل بمعنى كل شىء نفيس فإنه المناسب للكنوز — وهو من معانيه لغة ، ويجوز أن يكون جمع ثقل كحمل وزناً ومعنى .

(٤) ويجوز أن يكون ذلك بلسان الحال ، حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لأجله زلزالها وإخراج أثقالها .

(٥) ويجوز فى « بأن ربك » إلخ أن يكون بدلا من أخبارها ، كأنه قيل تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها ، لأن التحديث يستعمل بالباء وبدونها ، واللام بمعنى إلى أى أوحى إليها ، كقوله تعالى « وأوحى ربك إلى النحل » .

يصدر الناس) يصدرون[1] عن مخارجهم من القبور[2] إلى الموقف (أشتاتاً)[3] بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين ، أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار (ليروا أعمالهم) أى جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة) نملة صغيرة (خيراً) تمييز (يره) أى ير جزاءه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قيل هذا فى الكفار ، والأول فى المؤمنين ، ويروى أن أعرابياً أخر خيراً يره فقيل له قدمت وأخرت فقال :

خذا بطن هَرْشَى[4] أو قفَاها فإنه ... كِلا جانبى هرشى لهن طريق

وروى أن جد[5] الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبى حسبى ، وهى أحكم آية[6] وسميت الجامعة[7] والله أعلم .

---

(١) أى يخرجون . وهو من باب نصر ودخل

(٢) بيان لمخارجهم .

(٣) أى متفرقين بحسب طبقاتهم . جمع شتيت وهو المفترق

(٤) هرشى كسكرى ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها شجرها ، ولها طريقان — عبر عنهما الشاعر ببطنها وقفاها ، يريد أنه لا بأس بالتقديم والتأخير طالما أن الغرض لا يتغير ، كما يؤدى أى طريق هرشى إلى الغرض — ولكن هذا غفلة عن أن العبث بالقرآن حتى بالتقديم والتأخير لا يجوز ، وغفلة كذلك عن اللطائف القرآنية وقد توسعت المطولات فى الكلام على الآيتين الأخيرتين من جهة أجزية الأعمال فراجعها فإنها تشفى الغليل .

(٥) اسمه صعصعة بن معاوية ، وهو عم الفرزدق لا جده ، رواه أحمد عنه ، وتمامه « فقال حسبى ، لا أبالى أن لا أسمع من القرآن غيرها » .

(٦) فلا تجد فيها منفذاً لتأويل ، ولا يشذ عمل عن أن تتناوله قاعدتاها .

(٧) أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحُمُر أى صدقتها « قال لم ينزل علىّ فيها شىء إلا هذه الآية الجامعة الفاذّة — أى المتفردة فى معناها — فتلاها صلى الله عليه وسلم . » يريد النبى صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية تدل على إثابة المتصدق بالحمر من النعم نظراً لعمومها لجميع أنواع الخير .

سورة العاديات

مختلف فيها وهى احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والعاديات ضبحاً) أقسم بخيل الغزاة تعدو[١] فتضبح والضبح صوت أنفاسها إذا عدون ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه حكاه فقال أح أح[٢] وانتصاب ضبحاً على يضبحن ضبحاً[٣] (فالموريات) تورى نار الحُباحِب[٤] وهى ما ينقدح من حوافرها[٥] (قدحا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة ، والقدح الصك[٦] والإيراء إخراج النار ، تقول قدح فأورى وقدح فأصلد[٧] وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحاً (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحاً) فى وقت الصبح (فأثرن به نقعاً) فهيجن بذلك الوقت[٨] غباراً (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعاً) من جموع

سورة العاديات

(١) العدو ارتفاع الفرس فى جريه .

(٢) أخرجه عنه ابن المنذر وغيره — وأخرج ابن جرير عن على كرم الله وجهه الضبح من الخيل الحمحمة ، ومن الإبل التنفس .

(٣) فهو مفعول مطلق لذلك الفعل المحذوف .

(٤) الحباحب اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان ، فضربوا بها المثل حتى قالوا ذلك لما تقدحه الخيل بحوافرها ، والإبل بأخفافها .

(٥) أى ما يتقد منها وقت اصطدامها بصخر الطريق أثناء عدوها .

(٦) الصك الضرب وبابه ردّ ، وقوله سابقاً قادحات يشير بذلك إلى أن قدحا مع كونه منصوبا على المصدر لفعل محذوف تقديره تقدح إلا أن الجملة فى موقع الحال ، فكأنه قيل قادحات .

(٧) أى صوّت ولم يخرج النار .

(٨) يشير بذلك التعبير إلى أن الباء فى قوله « فأثرن به » للظرفية وأن الضمير يعود إلى الصبح .

الأعداء وسَطَه بمعنى توسطه وقيل الضمير[1] لمكان الغارة أو للعَدْو الذى دل عليه والعاديات وعطف فأثرن على الفعل الذى وضـع اسم الفاعل موضعه[2] لأن المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن ، وجواب القسم (إن الإنسان لربه لكنود[3]) لكفور ، أى إنه لنعمة ربه خصوصاً[4] لشديد الكفران (وإنه) وإن الإنسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه ، أو وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد[5] (وإنه لحب الخير لشـديد) وإنه لأجل حب المال لبخيل ممسك[6] أو إنه لحب المال لقوى وهو لحب عبادة الله ضعيف (أفلا يعلم) الإنسان (إذا بعثر) بعث (ما فى القبور) من الموتى ، وما بمعنى من (وحصل ما فى الصدور) مُيز[7] ما فيها من الخير والشر (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر ، وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم فى جميع الأزمان لأن الجزاء يقع يومئذ والله أعلم .

---

(١) أى ضمير فأثرن به .

(٢) لاحاجة إلى ذلك فقد أجازوا عطف الفعل على الوصف لاشتراكهما فى الاشتقاق

(٣) صيغة مبالغة من كند النعمة كفرها ، وبابه دخل .

(٤) أخذ هذا التخصيص من تقديم المعمول وهو «لربه» على العامل وهو «لكنود»

(٥) يقصد أن إرجاع ضمير (إنه) لله تعالى يجعل الكلام على سبيل الوعيد .

(٦) كما يقال للبخيل أنت شديد ، والضمير هنا عائد إلى الإنسان قطعا .

(٧) أى ميز خير ما فيها من شره ، قال أبو حيان إن استعمال التحصيل بمعنى التمييز جائز ، وأصل التحصيل إخراج نحو اللب من القشر كاخراج الذهب من المعدن ، والبر من التبن ، ثم استعمل فى التمييز ، وقد يراد منه الجمع لأنه مترتب على المعنى الأصلى ، أى جمع ما فى القلوب من العزائم المصممة وأظهر كجمع اللب من القشر وإظهاره منه .

سورة القارعة مكية

وهى ثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره، والجملة خبر المبتدإ الأول ، وكان حقه ما هى ، وإنما كرر تفخيما لشأنها[1] (وما أدراك ما القارعة) أى أى شىء أعلمك ما هى ، ومن أين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دلت عليه القارعة ، أى تقرع يوم (يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار ، وسمى فراشاً لتفرشه وانتشاره (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصَبَّغ ألواناً لأنها ألوان « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها »[2] وبالمنفوش[3] منه لتفرق أجزائها (فأما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق ، وهى جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله ، أو جمع ميزان[4]

سورة القارعة

(١) تقدم مثله فى الحاقة فراجعه .

(٢) أى طرائق على هذه الألوان مخالفة للون الجبل ، جمع جُـدة بمعنى طريقة .

(٣) معطوف على بالعهن .

(٤) قال ابن‌عباس إنه ميزان له كفتان ولسان لا يوزن فيه إلا الأعمال ، قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر إليه الخلائق إظهاراً للعـدلة وقطعاً للمعذرة ، وقيل الوزن ليس حسياً فهو القضاء العادل ، وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك ، واختاره كثير من المتأخرين ، لأن الميزان الحسى تعرف به الأمور الحسية أما الأعمـال فأمور معنوية لا توزن إلا بالحكمة والعدل، وقد أجاب أصحاب القول الأول بأن الأعمال تجسم فى صورة حسنة إن كانت الأعمال حسنة وفى صورة قبيحة إن كانت الأعمال قبيحة ، ومن ثم يمكن وزنها ، ولكنى إلى الرأى الأخير أميل .

وثقلها رجحانها (فهو فى عيشة راضــية) ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) باتباعهم الباطل (فأمه هاوية) فسكنه ومأواه النار[1] وقيل للمأوى أم على التشبيه ، لأن الأم مأوى الولد ومفزعه (وما أدراك ما هيه) الضمير يعود إلى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نار حامية) بلغت النهاية فى الحرارة والله أعلم .

(١) سميت النار هاوية لغاية عمقها وبعد مهواها .

سورة التكاثر مكية

وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(ألهاكم التكاثر) شغلكم التبارى فى الكثرة ، والتباهى بها فى الأموال والأولاد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) حتى أدرككم الموت على تلك الحال ، أو حتى زرتم المقابر وعددتم من فى المقابر من موتاكم (كلا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) فى القبور (كلا) تكرير الردع للإنذار والتخويف (لو تعلمون) جواب لو محذوف ، أى لو تعلمون ما بين أيديكم (علم اليقين) علم الأمر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر[1] أو لفعلتم مالا يوصف ، ولكنكم ضُلاَّل جهلة (لترون الجحيم) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد ، لتُرون بضم التاء شامى وعلى (ثم لترونها) كرره معطوفاً بثم تغليظاً فى التهديد وزيادة فى التهويل ، أو الأول بالقلب والثانى بالعين (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته[2] (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) عن الأمن والصحة فيم أفنيتموهما ، عن ابن مسعود رضى الله عنه ، وقيل عن التنعم الذى شغلكم الالتذاذ به

سورة التكاثر

(١) هذا هو الجواب المقدر للو .

(٢) يريد أن عين اليقين صفة لرؤية محذوفة هى مفعول مطلق لترونها ، أى لترونَّها رؤيةً عينَ اليقين ونفسَه .

عن الدين وتكاليفه ، وعن الحسن ما سوى كن[1] يؤويه ، وثوب يواريه ، وكسرة تقويه وقد روى مرفوعا[2] والله أعلم .

(١) ألكنّ البيت وجمعه أكنان .

(٢) الحديث الذى رأيته فى ذلك مرفوعاً يجعل هذه الثلاثة مسئولا عنها ، وذلك نقيض ماذكره النسفى ، أخرج ابن جرير عن ثابت البنانى مرفوعاً «والنعيم المسئول عنه يوم القيامة كسرة تقوته ، وماء يرويه ، وثوب يواريه » ، وأخرج ابن مردويه عن أبى الدرداء مرفوعاً « أكل خبز البر والنوم فى الظل وشرب ماء الفرات مبرداً » .

وقال العلامة أبو السعود الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء الملذات ، ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ، ويقطع أوقاته باللهو والطرب ، لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما ، فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته ، وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد .

سورة والعصر

مختلف فيها وهى ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(والعصر) أقسم بصلاة العصر لفضلها، بدليل قوله تعالى «والصلاة الوسطى صلاة العصر» فى مصحف حفصة، ولأن التكليف فى أدائها أشق، لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم ، أو أقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيها من دلائل القدرة ، أو أقسم بالزمان لما فى مروره من أصناف العجائب[1] وجواب القسم (إن الإنسان لفى خسر) أى جنس الإنسان لفى خسران من تجاراتهم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وتواصوا بالحق) بالأمر الثابت الذى لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى[2] وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده ، وتواصوا فى الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله أعلم .

---

(١) فالخلاصة أن العصر إما بمعنى الصلاة المعروفة وإما بمعنى العشى وهو مابين الزوال وإما بمعنى الدهر لانطوائه على أصناف العجائب .

(٢) أى البعد عنها .

سورة الهمزة مكية

وهى تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل) مبتدأ[1] خبره (لكل همزة) أى الذى يعيب الناس من خلفهم (لمزة)[2] أى من يعيبهم مواجهة ، و بناء فُعَلة يدل على أن ذلك عادة منه ، قيل نزلت فى الأخنس بن شريق ، وكانت عادته الغيبة والوقيعة ، وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد ، ويجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح (الذى) بدل من كل أو نصب على الذم (جمع مالا) جَمَّع شامى وحمزة وعلى ، مبالغة جَمَع وهو مطابق لقوله (وعدده) أى جعله عُدة لحوادث الدهر (يحسب أن ماله أخلده) أى تركه خالداً فى الدنيا لا يموت ، أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم ، فأما المال فما أخلد أحداً فيه (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن)[3] أى الذى جمع (فى الحطمة) فى النار التى شأنها أن تحطم[4] كل ما يلقى فيها (وما أدراك ما الحطمة) تعجيب وتعظيم (نار الله) خبر مبتدأ محذوف ، أى هى نار الله (الموقدة) نعتها (التى تطلع على الأفئدة) يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهى أوساط القلوب ، ولا شىء فى بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألماً منه بأدنى أذى

سورة الهمزة

(١) وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة أنه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر .

(٢) الهمز الكسر واللمز الطعن ، وشاعا فى الكسر من أعراض الناس والطعن فيها.

(٣) ليطرحن .

(٤) أى تكسر ، وماضيه حطم من باب ضرب .

بمسه فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ، وقيل خص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ، ومعنى اطلاع النار عليها أنها تشتمل عليها (إنها عليهم) أى النار أو الحطمة (مؤصدة) مطبقة (فى عمد) بضمتين كوفى غير حفص، الباقون فى عَمَد وهما لغتان فى جمع عماد كإهاب وأهب[1] وحمار وحمر[2] (ممددة) أى توصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد استيثاقا فى استيثاق ، فى الحديث المؤمن كيِّس فطن[3] وقاف[4] متثبت[5] لا يعجل ، عالم ، ورع ، والمنافق همزة لمزة حطمة[6] كحاطب الليل[7] لا يبالى من أين اكتسب ؟ وفيم أنفق ؟ والله أعلم .

---

(١) الإهاب الجلد ويجمع على أهب بضمتين وبفتحتين .

(٢) يجمع على حمر بضمتين ولا يجمع عليها بفتحتين .

(٣) تفسير للكيس .

(٤) اسم فاعل من قفوته أى تبعته .

(٥) تفسير لما قبله .

(٦) أى محطم ومكسر لأعراض الناس ، أو كثير الأكل .

(٧) مخلط فى كلامه .

سورة الفيل مكية

وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(ألم تر كيف فعل ربك) كيف فى موضع نصب بفعل[1] لا بألم تر[2] لما فى كيف من معنى الاستفهام[3] والجملة سدت مسد مفعولى تر ، وفى ألم تر تعجيب ، أى عجّب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله ، والمعنى أنك رأيت آثار صنع الله بالحبشة ، وسمعت الأخبار به متواترة ، فقامت لك مقام المشاهدة (بأصحاب الفيل) روى أن أبرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد[4] فيها ليلا فأغضبه ذلك ، وقيل أجّجت رفقة من العرب ناراً فحملتها الريح فأحرقتها ، فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قوياً عظيما واثنا عشر فيلا غيره ، فلما بلغ المُغَمَّس[5] خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة[6] ليرجع فأبى وعبى جيشه[7] وقدم الفيل . وكانوا كلما وجهوه إلى

سورة الفيل

(١) أى أن ناصبه فعَل الذى بعده إما على أنه مفعول مطلق ، أى أىَّ فِعل فعَل ، أو على الحالية من فاعل فعل .

(٢) أى وليس منصوباً بترى المجزوم بلم .

(٣) فلا يعمل فيه ماقبله عملاً مباشراً لأن له الصدارة ، وجوز بعضهم نصب كيف بتر لانسلاخ معنى الاستفهام عنه فى الآية ، ومنع ذلك أبو حيان إبقاء لحكمه باعتبار أصله .

(٤) يكنى بذلك عن أنه أحدث فيها .

(٥) موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رُغال الخائن العربى، فقد كان دليل أبرهة، والعرب يرجمونه لخيانة الثاوى فيه .

(٦) المراد بها هنا مكة . (٧) أى هيأه فى مواضعه .

لحرم برك ولم يبرح ، وإذا وجهوه إلى اليمن هرول[1] فأرسل الله طيراً مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه ، أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة ، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ، ففروا وهلكوا وما مات أبرهة حتى انصدع صدره عن قلبه ، وانفلت[2] وزيره أبو يَكسومَ وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة ، فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه ، وروى أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير ، فخرج إليه فيها[3] فعظم فى عينه ، وكان رجلا جسيما وسيما[4] وقيل هذا سيد قريش وصاحب عيرمكة[5] الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال ، فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وشرفكم فى قديم الدهر ، فألهاك عنه ذودٌ أُخذلك[6] فقال أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه[7]

---

(١) أى أسرع فى مشيه . (٢) أى رجع .

(٣) أى خرج إليه فى شأنها ليطلبها منه .

(٤) فيه وسامة أى حسن وجمال . (٥) أى إبلها .

(٦) الذَّود القليل من الإبل ، وهى فى الأصل من الثلاث إلى العشر من الإبل ،

(٧) ثم انصرف عبد المطلب وأخبر قريشاً الخبر ، ثم أخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله تعالى ويستنصرونه فقال وهو آخذ بالحلقة :

لا هم إن المرء يمـــنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـــب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ومِحالهم عَدوا مِحالك
جروا جموع بلادهم والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعـــبتنا فأمر ما بدالك

وقال أيضاً :

يارب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع عنهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا فناكا

(ألم يجعل كيدهم فى تضليل) فى تضييع و إبطال ، يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعاً ، وقيل لامرىء القيس الملك الضِّلّيل لأنه ضلل ملك أبيه أى ضيعه ، يعنى أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج إليه ، فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه ، وكادوه ثانياً بإرادة هدمه فضُلِّل كيدهم بإرسال الطير عليهم (وأرسل عليهم طيراً أبابيل) حزائق[1] الواحد إبالة[2] قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميهم) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه يرميهم أى الله أو الطير ، لأنه اسم جمع مذكر ، وإنما يؤنث على المعنى[3] (بحجارة من سجيل) هو معرب من سَنْك كِل وعليه الجمهور أى الآجر[4] (فجعلهم كعصف مأكول) زرع أكله الدود .

---

(١) أى جماعات ، جمع حَزيقة وهى الجماعة .

(٢) الإبَالة كالإجَّانة القطعة من الطير والإبل أو المتابعة منها ، وليست مفرد أبابيل ، فهو جمع بلا واحد كما قال صاحب القاموس .

(٣) لتأويله بالجماعة .

(٤) هو ما يبنى به ، فارسى معرب ، والمراد من السجيل حجارة كالمدر .

سورة قريش

مكية وهى أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(لإيلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا[1] أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين ، ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط ، أى أن نعم الله عليهم لا تحصى ، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة أو بما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ، يعنى أن ذلك الإتلاف[2] لهذا الإيلاف ، وهذا كالتضمين فى الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقاً لا يصح[3] إلا به ، وهما فى مصحف أبىّ سورة واحدة بلا فصل ، ويروى عن الكسائى ترك التسمية بينهما . والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن فى رحلتيهم فلا يجترىء أحد عليهم[4] وقيل المعنى اعجبوا لإيلاف قريش[5] لإلاف قريش شامى[6] أى لمؤالفة قريش ، وقيل يقال ألفته إلفا وإلافا ، وقريش ولد النضر بن كنانة سموهم بتصغير

سورة قريش

(١) الذى سيجىء آخر هذه السورة .

(٢) أى الإهلاك لجيش أبرهة .

(٣) الضمير لمعنى البيت ، أى تعلقاً لا يصح معنى البيت إلا به .

(٤) يريد أن الإيلاف بمعنى الطمأنينة والأمن ، وقال الهروى الإيلاف عهود بينهم وبين الملوك ، فكان هاشم يؤالف ملك الشام ، والمطلب كسرى ، وعبد شمس ونوفل يؤالفان ملك مصر والحبشة قال ، ومعنى يؤالف يعاهد ويصالح .

(٥) صاحب هذا القول يعلق « لإيلاف » بفعل محذوف تقديره اعجبوا .

(٦) أى قرأ شامى لإلاف بغير ياء .

القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا نطاق[1] إلا بالنار والتصغير للتعظيم ، فسموا بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها ، وقيل من القَرْش وهو الجمع والكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) أطلق الإيلاف[2] ثم أبدل عنه المقيد[3] بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيراً لعظيم النعمة فيه ، ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به ، وأراد رحلتى الشتاء والصيف ، فأفرد[4] لأمن الإلباس ، وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام ، فيمتارون[5] ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين ، لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) والتنكير فى جوع وخوف لشدتهما ، يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما ، وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل ، أو خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم ، وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة ، وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم ، وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام .

---

(١) أى لا يقدر عليها إلا باستعمال النار .

وعن معاوية أنه سأل ابن عباس رضى الله عنهما بم سميت قريش ، قال بدابة فى البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى ، وأنشد :

وقريش هى التى تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشاً

والتصغير للتعظيم .

(٢) فى قوله لإيلاف قريش .

(٣) أى جعل الإيلاف المقيد بالمفعول وهو إيلافهم رحلة الخ بدلا من إيلاف قريش الذى أطلق عن هذا التقييد .

(٤) بأن قال رحلة الشتاء بدل رحلتى بياء التثنية .

(٥) الامتيار جلب الطعام .

سورة الماعون

مختلف فيها[1] وهى سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(أرأيت[2] الذى يكذب بالدين) أى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء من هو؟ إن لم تعرفه (فذلك الذى) يكذب بالجزاء هو الذى (يدع اليتيم) أى يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى ، ويرده رداً قبيحاً بزجر وخشونة (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين ، جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف ، والإقدام على إيذاء الضعيف ، أى لو آمن بالجزاء ، وأيقن بالوعيد ، لخشى الله وعقابه، ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه دل أنه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله(فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون) يعنى بهذ المنافقين ، أى لا يصلونها سراً لأنهم لا يعتقدون وجوبها ، ويصلونها علانية رياء ، وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم فى جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم ، وأنهم لا يريدون بها قربة إلى ربهم ولا تأدية لفرض ، فهم ينخفضون ويرتفعون

سورة الماعون

(١) فالجمهور على أنها مكية وأخرج ذلك ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير ، وقيل إنها مدنية ، وقال هبة الله المفسر الضرير نزل نصفها بمكة فى العاص بن وائل ونصفها فى المدينة فى عبد الله بن أبى المنافق .

(٢) الخطاب فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لكل من يصلح له ، والرؤية بمعنى المعرفة وهى تتعدى لواحد ، وقال الحوفى يجوز أن تكون بصرية ، وعلى الوجهين يجوز أن يتجوز بذلك عن الإخبار فيكون المراد أخبرنى ، وحينئذ تكون متعدية لاثنين أولهما الموصول وثانيهما محذوف تقديره من هو ، أو أليس مستحقا للعذاب اهـ من الآلوسى .

ولا يدرون ماذا يفعلون ، و يظهرون للناس أنهم يؤدون الفرائض و يمنعون الزكاة وما فيه منفعة ، وعن أنس والحسن قالا الحمد لله الذى قال عن صلاتهم ولم يقل فى صلاتهم ، لأن معنى .عن. أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها ، وذلك فعل المنافقين ، ومعنى .فى. أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس ، وذلك لا يخلو عنه مسلم ، وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو فى صلاته[1] فضلا عن غيره[2] والمراآة مفاعلة من الإراءة لأن المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به ، ولا يكون الرجل مرائياً بإظهار الفرائض فمن حقها الإعلان بها لقوله ﷺ ولا غمة[3] فى فرائض الله والإخفاء فى التطوع أولى ، فإن أظهره قاصداً للاقتداء به كان جميلا ، والماعون الزكاة ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما يُتَعاور[4] فى العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة[5] ونحوها ، وعن عائشة رضى الله عنها الماء والنار والملح ، والله أعلم .

---

(١) لاشتغال قلبه بربه ، فلذا يسهو عن أفعال جوارحه فى الصلاة ، أما سهونا فهو مربوط بالتفكير فى شئون الدنيا فى الأعم الأغلب ، نسأل الله الغفران .

(٢) أى من الناس فما أكثر سهوهم .

(٣) يريد لا استخفاء فيها . (٤) أى ما يتداول بين الناس .

(٥) كمكنسة آلة إيقاد النار وتكون مؤلفة من حجرين ونحوهما يضرب أحدهما بالآخر فتخرج النار من بينهما .

سورة الكوثر

مكية وهى ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنا أعطيناك الكوثر) هو فوعل من الكثرة ، وهو المفرط الكثرة[1] وقيل هو نهر فى الجنة[2] أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد ، حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة[3] وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخير الكثير ، فقيل له إن ناساً يقولون هو نهر فى الجنة ، فقال هو من الخير الكثير (فصل لربك) فاعبد ربك الذى أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن[4] الخلق مراغماً[5] لقومك الذين يعبدون غير الله (وانحر) لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفاً[6]

سورة الكوثر

(١) فهو صيغة مبالغة سماعية — قيل لأعرابية رجع ابنها من سفر ، بم آب ابنك قالت بكوثر ، وقال الكميت :

وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وفى حذف موصوفه تأكيد للمبالغة .

(٢) إلى هذا ذهب أكثر المفسرين ، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة منها ما أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى إلى ما يجرى فيه الماء فإذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر أعطاكه الله تعالى » .

(٣) جاء هذا الوصف فى حديث أخرجه الحاكم من رواية أبى برزة يرفعه .

(٤) أى من عطاياهم جمع منة .

(٥) المراغمة الهجران والتباعد والمغاضبة .

(٦) حال من فاعل انحر — والمراد بالصلاة قيل المفروضة وذهب جمع إلى أنها =

لعبدة الأوثان فى النحر لها (إن شانئك) إن من أبغضك من قومك بمخالفتك لهم
(هو الأبتر) المنقطع عن كل خير لا أنت ، لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من
المؤمنين فهم أولادك وأعقابك ، وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم
وذاكر إلى آخر الدهر ، يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ، ولك فى الآخرة مالا يدخل
تحت الوصف ، فمثلك لا يقال له أبتر إنما الأبتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة ،
قيل نزلت فى العاص بن وائل ، سماه الأبتر والأبتر الذى لا عقب له ، وهو خبر
إن وهو فصل .

= جنس الصلاة ، وقيل هى صلاة عيد الأضحى ، وعلى الأخير يكون النحر للضحية — أخرج
ابن جرير وابن مردويه عن سعيد بن جبير قال « كانت هذه الآية يوم الحديبية أتاه
جبريل عليهما الصلاة والسلام فقال انحر وارجع فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخطب خطبة الأضحى ثم ركع ركعتين ثم انصرف إلى البدن فنحرها فذلك قوله تعالى
« فصل لربك وانحر » — راجع المطولات ففيها شفاء الغليل .

سورة الكافرين

ست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل يأيها الكافرون) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لايؤمنون روى أن رهطاً من قريش[1] قالوا يامحمد هلُم[2] فاتبع ديننا ونتبع دينك ، تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلهك سنة ، فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره ، قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت ، فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد ماتعبدون) أى لست فى حالى هذه عابداً ما تعبدون (ولا أنتم عابدون) الساعة (ما أعبد) يعنى الله (ولا أنا عابد ما عبدتم) ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ماعبدتم (ولا أنتم) فيما تستقبلون (عابدون ماأعبد) وذكر بلفظ ما[3] لأن المراد به الصفة ، أى لا أعبد الباطل ، ولا تعبدون الحق ، أو ذكر بلفظ ما ليتقابل

سورة الكافرين

تسن قراءتها مع سورة الإخلاص فى ركعتى سنة الفجر التى هى أفضل السنن الرواتب عند الأكثرين وكذا فى الركعتين بعد المغرب ، وعند النوم فقد أخرج أبو يعلى والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا « ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشراك بالله تعالى ، تقرءون « قل يأيها الكافرون » عند منامكم » .

(١) هم الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف كما أخرجه ابن جرير وغيره .

(٢) أى تعال وأقبل .

(٣) أى ذكر المعبود بلفظ ما مع أنه لما لا يعقل .

اللفظان، ولم يصح فى الأول مَن وصح فى الثانى مابمعنى الذى[1] (لكم دينكم ولى دين) لكم شرككم ولى توحيدى ، وبفتح الياء نافع وحفص ، وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبى صلى الله عليه وسلم جالس ، فقال له نابذ[2] يا ابن مسعود فقرأ « قل يأيها الكافرون » ثم قال له فى الركعة الثانية أخلص فقرأ « قل هو الله أحد » فلما سلم قال يا ابن مسعود تجب والله سل أعلم .

---

(١) يريد صاحب هذا الوجه أنه قصد تقابل ما يدل على المعبود بحق وبغير حق بأن يدل على كل منهما بلفظ مشترك ، ولما كان استعمال من فى المعبود بغير حق وهو المذكور أولا لا يصح لغة استعمل معه لفظ ما لحسن استعمال ما أيضاً فى المعبود بحق وهو المذكور ثانياً رعاية للتقابل ، على أن تكون بمعنى الذى وهو يستعمل مع العالم وغير العالم ، وأجاز بعضهم جعل ما مصدرية فى الكل .

(٢) أى كاشف وصارح وأظهر ما عندك .

سورة النصر

مدنية وهى ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(إذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة [1] ، وروى أنها نزلت فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع [2] (جاء نصر الله والفتح) النصر الإغاثة والإظهار على العدو ، والفتح فتح البلاد . والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة أو جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم [3] (ورأيت الناس يدخلون) هو حال من الناس على أن رأيت بمعنى أبصرت أوعرفت أومفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فى دين الله أفواجاً) هو حال من فاعل يدخلون وجواب إذا فسبح ، أى إذا جاء نصر الله إياك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن [4] يدخلون فى ملة الإسلام جماعات كثيرة بعدما

سورة النصر

(١) هذا على أنها نزلت قبل فتح مكة وعليه الأكثر — وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان .

(٢) وعلى هذا تكون قد نزلت بعد الفتح والأول أرجح .

(٣) فإن فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها جعل مجيئه بمنزلة مجىء سائر الفتوح

(٤) يريد أن المراد من الناس الداخلين فى دين الله أفواجاً هم أهل اليمن دليله ما أخرجه ابن جرير من طريق الحصين بن عيسى عن معمر عن الزهرى عن أبى حازم عن ابن عباس قال « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة إذ قال الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن ، قيل يارسول الله وما أهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم ، الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية » وقيل المراد بالناس الذين دخلوا فى الدين أفواجاً جماعات كثيرة أسلموا بغير قتال بعد فتح مكة وقبل انتقاله صلى الله =

كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين ، (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله ، حامداً له ، أو فصل له (واستغفره) تواضعاً وهضماً للنفس ، أو دم على الاستغفار (إنه كان) ولم يزل (تواباً) التواب الكثير القبول للتوبة وفى صفة العباد[1] الكثير الفعل للتوبة ، ويروى أن عمر رضى الله عنه لما سمعها بكى ، وقال الكمال دليل الزوال[2] وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين ، والله أعلم .

= عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وقد كانوا قبل الفتح يدخلون واحداً واحداً ، واثنين اثنين أخرج البخارى عن عمرو بن سلمة قال « لما كان الفتح بادر قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها قبل فتح مكة فيقولون دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم فهو نبى » . راجع المطولات ففيها للمستزيد ما يريد .

(١) يعنى أنه إذا وصف العبد بتواب فمعناه أنه كثير الفعل للتوبة .

(٢) يقصد أنه إذا كان الدين قد كمل فمهمة الرسول قد انتهت وعلى هذا يكون قريب الوفاة ، فتكون السورة على هذا نعياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم — وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع — روى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إن عبداً خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى ، فعلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وآبائنا وأولادنا » ، وعنه عليه الصلاة والسلام: أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال « إنه نعيت إلى نفسى فبكت ، فقال لاتبكى فإنك أول أهلى لحوقاً بى » .

سورة أبي لهب

مكية وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبت يدا أبى لهب) التباب الهلاك ، ومنه قولهم أشابة أم تا بة ، أى هالكة من الهرم، والمعنى هلكت يداه ، لأنه فيما يروى أخذ حجراً ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ، ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله :

جزانى جزاه الله شر جـــزائه   جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقد دلت عليه قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وقد تب، روى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى الصفا وقال ياصباحاه[2] فاستجمع إليه الناس من كل أوب[3] فقال عليه الصلاة والسلام « يابنى عبد المطلب يابنى فهر، إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى ، قالوا نعم قال فإنى نذير لكم بين يدى الساعة[4]، فقال أبولهب تباً لك ألهذا دعوتنا فنزلت » وإنما كنّاه والتكنية تكرمة لاشتهاره[5] بها دون الاسم، أو لكراهة اسمه فاسمه عبد العزى، أو لأن مآله إلى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته، أبى لَهْبٍ مكى (ما أغنى عنه ماله) ما للنفى (وما كسب) مرفوع ومامو صولة

سـورة تبّت

(١) جاء فى المجمع عن طارق المحاربى قال « بينما أنا بسوق ذى المجاز إذا أنا برجل حديث السنّ يقول أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وإذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه ، فقلت من هذا فقالوا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم أنه نبى ، وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب .

(٢) كلمة يقولها المستغيث أو المحذر ، كأنه يقول قد جاء وقت الصبح فتأهبوا .

(٣) أى جهة .   (٤) أى قبل الساعة بقليل .

(٥) يريد أن الله تعالى إنما ذكره بكنيته لاشتهاره بها أكثر من الاسم ولم يرد تكريمه الذى تذكر الكنية لأجله عادة .

أو مصدرية أى ومكسوبه أو وكسبه ، أى لم ينفعه ماله الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه ، أو ماله التالد والطارف [١] وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده ، وروى أنه كان يقول إن كان مايقول ابن أخى حقاً فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى (سيصلى ناراً) سيدخل، سُيصلى البرجمى عن أبى بكر، والسين للوعيد أى هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته (ذات لهب) توقد (وامرأته) هى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشى بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس [٢] ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم ،وأنا أحب هذه القراءة وقد توسَّل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميلٍ من أَحَبَّ شَتَمَ أم جميل [٣] وعلى هذا يسوغ الوقف على إمرأته لأنها عطفت على الضمير فى سيصلى أى سيصلى هو وامرأته، والتقدير [٤] أعنى حمالة الحطب، وغيره رفع حمالة الحطب على أنها خبر وامرأته ،أو هى حمالة [٥] (فى جيدها حبل من مسد) حال أو خبر آخر ، والمسد الذى فتل من الحبال فتلا شديداً من ليف كان أو جلد أو غيرهما ، والمعنى فى جيدها حبل مما مسد [٦] من الحبال، وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون ، تحقيراً لها ، وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات ، لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة [٧] والله أعلم .

(١) التالد والتلاد بكسر التاء أو فتحها فى الأخير هو المال القديم الأصلى ، وهو ضد الطارف . (٢) فيكون حملها للحطب مستعارا لسعيها بالنميمة على التمثيل .

(٣) يريد أن من أحب شتم أم جميل زوجة أبى لهب فقد توسل إلى رسول الله بعمل جميل يعنى أن شتمها يعد قربة لأنها عدوة لله تعالى ورسوله — وقوله من احب فاعل توسل وقوله بجميل متعلق بتوسل .

(٤) أى على نصب حمالة على الشتم .

(٥) يعنى أن حمالة على الرفع يصح جعلها خبراً لامرأته أو لضمير تقديره هى ، ولذا قال وامرأته أو هى حمالة .

(٦) أى فتل فتلاً جيداً ، تقول مسدت الحبل أى فتلته جيداً ، وبابه نصر .

(٧) والكلام على الحقيقة أو على التمثيل كما مر .

سورة الإخلاص

أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد) هو ضمير الشأن ، والله أحد هو الشأن ، كقولك هو زيد منطلق ، كأنه قيل الشأن هذا ، وهو أن الله واحد لا ثانى له ، ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ، ولا يحتاج إلى الراجع [1] لأنه فى حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى أنه هو المبتدأ فى المعنى ، وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذى هو عبارة عنه ، وليس كذلك زيد أبوه منطلق ، فإن زيد والجملة يدلان على معنيين مختلفين ، فلا بد مما يصل بينهما ، وعن ابن عباس [2] رضى الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا إليه ، فنزلت يعنى الذى سألتمونى وصفه [3] هو الله تعالى ، وعلى هذا أحد خبر مبتدأ محذوف ، أى هو أحد [4] وهو بمعنى واحد ، وأصله وحَد فقلبت الواو همزة [5] لوقوعها طرفاً .

والدليل على أنه واحد من جهة العقل أن الواحد إما أن يكون فى تدبير العالم

سورة الإخلاص

(١) الجملة التى تقع خبراً لمبتدإ تحتاج إلى ضمير يربطها بذلك المبتدإ إلا فى مسائل ، منها أن تكون جملة الخبر عين المبتدإ فى المعنى كما هنا فإنها هى عين الشأن الذى استعمل فيه الضمير المبتدأ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم والبيهقى فى الأسماء والصفات .

(٣) يريد أن الضمير حينئذ لا يكون ضمير الشأن والقصة بل يكون معناه الذى سألتموه وصفه .

(٤) ويجوز أن يكون خبراً ثانياً للضمير أو بدلا من لفظ الجلالة .

(٥) وإبدال الواو المفتوحة همزة قليل ، ومنه قولهم امرأة أناة ، يريدون وناة =

وتخليقه كافياً أولا ، فإن كان كافياً كان الآخر ضائعاً غير محتاج إليـــه وذلك نقص والناقص لايكون إلهاً ، و إن لم يكن كافياً فهو ناقص .

ولأن العقل يقتضى احتياج المفعول إلى فاعل والفاعل الواحد كاف ، وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد ، فيفضى ذلك إلى وجود أعداد لانهاية لها ذا محال فالقول بوجود إلهين محال .

ولأن أحدهما إما أن يقدر على أن يستر شيئاً من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر ، فإن قدر لزم كون المستور عنه جاهلا ، و إن لم يقدر لزم كونه عاجزاً .

ولأنا لو فرضنا معدوماً ممكن الوجود فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاده كان كل واحد منهما عاجزاً ، والعاجز لا يكون إلهاً ، و إن قدر أحدهما دون الآخر ، فالآخر لايكون إلهاً، و إن قدرا جميعاً فإما أن يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجاً إلى إعانة الآخر ، فيكون كل واحد منهما عاجزاً، وإن قدر كل واحد منهما على إيجاده بالاستقلال ، فإذا أوجده أحدهما فإما أن يبقى الثانى قادراً عليه وهو محال ، لأن إيجاد الموجود محال ، و إن لم يبق فحينئذ يكون الأول مزيلا قدرة الثانى ، فيكون عاجزاً ومقهوراً تحت تصرفه فلا يكون إلهاً.

فإن قلت الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزاً .

قلنا الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته،ومن نفذت قدرته لايكون عاجزاً ، وأما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزاً (الله الصمد) هو فَعَلٌ بمعنى مفعول من صمد إليه إذ قصده ، وهو السيد

= لأنه من الونى وهو الفتور ، وهذا بخلاف أحد الذى يلازم النفى ونحوه ويراد به العموم كما فى قوله تعالى « فما منكم من أحد عنه حاجزين » وقوله سبحانه « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقوله « وإن أحد من المشركين استجارك » فإن همزته أصلية .

المصمود إليه[1] فى الحوائج ، والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد لاشريك له، وهو الذى يصمد إليه كل مخلوق لايستغنون عنه ، وهو الغنى عنهم (لم يلد) لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا[2] وقد دل على هذا المعنى بقوله « أنى[3] يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (ولم يولد) لأن كل مولود محدث وجسم ، وهو قديم لا أول لوجوده ، إذ لولم يكن قديماً لكان حادثاً ، لعدم الواسطة بينهما ، ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدث وكذا الثانى والثالث فيؤدى إلى التسلسل وهو باطل ، وليس بجسم لأنه[4] اسم المتركب ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال ، فيكون كل جزء إلهاً فيفسد القول به كما فسد بإلهين ، أو غير متصف بها بل بأضدادها من سِمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفواً أحد) ولم يكافئه أحد أى لم يماثله ، سألوه أن يصفه لهم فأوحى إليه مايحتوى على صفاته تعالى ، فقوله هو الله إشارة إلى أنه خالق الأشياء وفاطرها، وفى طى ذلك وصفه بأنه قادر عالم، لأن الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعاً على غاية أحكام واتساق وانتظام ، وفى ذلك وصفه بأنه حى ، لأن المتصف بالقدرة والعلم لا بد أن يكون حياً ، وفى ذلك وصفه بأنه سميع بصير مريد متكلم إلى غير ذلك من صفات الكمال ، إذ لو لم يكن موصوفاً بها لكان موصوفاً بأضدادها وهى نقائص ، وذا من أمارات الحدوث ، فيستحيل اتصاف القديم بها ، وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفى الشريك ، وبأنه المتفرد بإيجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات ، وقوله الصمد وصف بأنه ليس إلا محتاجاً إليه ، وإذا لم يكن إلا محتاجاً

---

(١) أى المقصود فى الحوائج .

(٢) منصوب بحذف النون عطفاً على تكون المنصوبة بأن مضمرة وجوباً بعد حتى .

(٣) أنى هنا بمعنى كيف .

(٤) أى لأن الجسم .

إليه فهو غني لايحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد ، وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة[1] وقوله ولم يولد نفي للحدوث ووصف بالقدم والأولية وقوله ولم يكن له كفواً أحد نفي أن يماثله شيء، ومن زعم أن نفي الكفء وهو المثل في الماضي لايدل على نفيه للحال والكفار يدعونه في الحال فقدتاه في غيه، لأنه إذا لم يكن فيامضى لم يكن في الحال[2] ضرورة ، إذ الحادث لايكون كفؤاً للقديم ، وحاصل كلام الكفرة يؤول إلى الإشراك والتشبيه والتعطيل ، والسورة تدفع الكل كما قررنا ، واستحسن سيبويه تقديم[3] الظرف إذا كان مستقراً أي خبراً لأنه لما كان محتاجاً إليه قدم ليعلم من أول الأمر أنه خبر لا فضلة وتأخيره[4] إذا كان لغواً أي فضلة لأن التأخير مستحق للفضلات، و إنما قدم في الكلام الأفصح لأن الكلام سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري، سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف[5] ، فكان الأهم تقديمه ، وكان أبو عمرو يستحب الوقف على أحد[6] ولا يستحب الوصل ، قال عبد الوارث على هذا أدركنا القراء ،وإذ وُصِل نُوِّن وكُسِر[7] أو حذف التنوين، كقراءة « عزير ابن الله» كفؤاً

---

(١) لأن الولادة لا تأتى إلا بين متجانسين .

(٢) أي لأنه إذا لم يكن له مثل فيما مضى لم يكن له مثل في الحال .

(٣) يريد أن سيبويه يستحسن تقديم الظرف إذا كان خبراً وتأخيره إذا كان فضلة كما سيقوله بعد ، فكيف قدم الظرف وهو كلمة (له) مع كونه فضلة ، إذ هو متعلق بكفوا مع أن القرآن أفصح الكلام وذلك مخل بالفصاحة ، والجواب أن الظرف هنا وإن لم يكن خبراً مبطل سقوطه معنى الكلام ، لأنك لو قلت ولم يكن كفوا أحد لم يكن له معنى ، فلما احتيج إليه صار بمنزلة الخبر فحسن ذلك.

(٤) معطوف على قوله تقديم الظرف في قوله سابقاً واستحسن سيبويه تقديم الظرف.

(٥) إذ لو حذف لما تحقق المعنى المراد وهو نفي المكافأة عن الله تعالى ، فلكونه ركناً فيما سيقت له الآية كان بمنزلة الخبر في الأهمية فاستحق التقديم .

(٦) من قوله « قل هو الله أحد » .

(٧) أي وكسر التنوين .

بسكون الفاء والهمزة [1] حمزة وخلف ، كُفواً مثقلة [2] غير مهموزة حفص ، الباقون مثقلة مهموزة [3] وفي الحديث [4] « من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن » لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الأوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ ، وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات ، فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد ، وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته [5] ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته ، وما يجوز عليه ، وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته [6] وجلالة محله ، اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك ، الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك . وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال «وجبت» فقيل يا رسول الله ما وجبت قال « وجبت له الجنة » [7] .

---

(1) أي وبالهمزة .
(2) تثقيلها بسبب ضم فاء كفواً .
(3) أي كُفُؤاً .
(4) أخرجه البخاري وغيره بروايات مختلفة .
(5) أي ينخفض بانخفاضه .
(6) أي فما ظنك بشرف منزلة علم التوحيد وجلالة مكانته بعد بيان موضوعه السابق.
(7) أخرجه مالك والترمذي والنسائي .

سورة الفلق

مختلف فيها وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أعوذ برب الفلق) أى الصبح[1] أو الخلق[2] أو هو واد فى جهنم، أو جب فيها (من شر ما خلق) أى النار والشيطان[3] وما موصولة والعائد محذوف، أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق، وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه من شرٍّ بالتنوين، وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر بدل من شر، أى شرٍّ خلقه أى من خلقِ شرٍّ، أو زائدة[4] (ومن شر غاسق إذا وقب) الفاسق الليل إذا اعتكر ظلامه، ووقوبه دخول ظلامه فى كل شىء[5] وعن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله ﷺ بيدى فأشار إلى القمر فقال «تعوذى بالله من شر هذا فإنه الغاسق»

سورة الفلق

(١) لأنه يفلق عنه الليل.

(٢) أى كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك.

(٣) الأولى التعميم، أى من شر ما خلقه كائناً ما كان من ذوى الطبائع والاختيار.

(٤) معطوفه على قوله بتأويل المصدر، يريد أنه فى قراءة «من شر ما خلق» بتنوين الراء يجوز فى «ما خلق» أن تكون ما مصدرية على النحو الذى ذكره، ويجوز أن تكون زائدة فيكون الشر على هذين التأويلين مخلوقاً لله تعالى — ويحتج بالآية على هذه القراءة المعتزلة القائلون إن الله تعالى لا يخلق الشر فيجعلون ما فى (ما خلق) نافية، أى من شرٍّ ما خلقه الله تعالى، وأهل السنة يؤولونها بالتأويلين السابقين، والدليل متى تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، ويبقى الشر داخلا تحت عموم مخلوقاته تعالى كما هو رأى أهل السنة.

(٥) وما أكثر شر الليل إذا اشتد ظلامه.

إذا وقب[1] ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده[2] (ومن شر النفاثات فى العقد) النفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر[3] اللاتى يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن عليها ويرقين، والنفث النفخ مع ريق ، وهو دليل على بطلان قول المعتزلة فى إنكار تحقق السحر وظهور أثره (ومن شر حاسد إذا حسد) أى إذا أظهر حسده[4] وعمل بمقتضاه ، لأنه إذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده ، بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو[5] الأسف على الخير عند الغير ، والاستعاذة من شر هذه الأشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق إشعار بأن شر هؤلاء أشد ، وختم بالحسد ليعلم أنه شرها ، وهو أول ذنب عصى الله به فى السماء من إبليس ، وفى الأرض من قابيل ، وإنما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لأن كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات[6] ونكر غاسق ، لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون فى بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضر ، ورب حسد يكون محموداً كالحسد فى الخيرات ، والله أعلم .

---

(١) ولعل اطلاق لفظ غاسق على القمر لأن جرمه مظلم وإنما يستنير من الشمس .

(٢) أو وقوبه المحاق فى آخر الشهر ، والمنجمون يعدونه نحساً ، ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا فى ذلك الوقت .

(٣) صفة لكل طائفة من المذكورات .

(٤) أى أظهر ما فى نفسه من تمنى زوال نعمة الغير بأن عمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادىء الإضرار بالمحسود قولا أو فعلا — وذلك غير العين التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم « العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر » .

(٥) أى الحسد ، وما بعده تفسير له .

(٦) على أن ال للاستغراق .

ســورة الناس

مختلف فيها وهى ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أعوذ برب الناس) أى مربيهم ومصلحهم (ملك الناس) مالكهم ومدبر أمورهم (إله الناس) معبودهم ، ولم يكتف باظهار المضاف إليه مرة واحدة لأن قوله ملك الناس إله الناس[1] عطف بيان لرب الناس ، لأنه يقال لغيره رب الناس وملك الناس ، وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه[2] وعطف البيان للبيان ، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار ، و إنما أضيف الرب إلى الناس خاصة و إن كان رب كل مخلوق تشريفاً لهم ، ولأن الاستعاذة[3] وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس ، فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم ، وهو إلههم ومعبودهم ، وقيل أراد بالأول[4] الأطفال ومعنى الربوبية يدل عليه ، وبالثانى[5] الشبان ولفظ الملك المنبىء عن السياسة يدل عليه ، وبالثالث الشيوخ ولفظ الإله المنبىء عن العبادة يدل عليه ، وبالرابع[6] الصالحين إذ الشيطان مولع باغوائهم ، وبالخامس

ســورة الناس

(١) كل منهما عطف بيان لرب الناس لا مجموعهما ، قال الزمخشرى بين برب الناس ثم زيد بياناً بإله الناس .

(٢) فجعل غاية البيان .

(٣) الاستعاذة الالتجاء كالعوذ والعياذ والمعاذ والتعوذ .

(٤) وهو الناس فى قوله رب الناس .

(٥) وهو الناس فى قوله ملك الناس .

(٦) وهو الناس فى قوله فى صدور الناس .

المفسدين لعطفه[1] على المعوذ منه (من شر الوسواس) هو اسم[2] بمعنى الوسوسة كالزّلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فوِسواس بالكسر كالزِّلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لأنها شغله الذى هو عاكف عليه، أو أريد ذو الوسواس، والوسوسة الصوت الخفى (الخناس) الذى عادته أن يخنُس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعوّاج[3] والبتّات[4] لما روى عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، وإذا غفَل رجع ووسوس إليه (الذى يوسوس فى صدور الناس) فى محل الجر على الصفة، أو الرفع أو النصب على الشتم، وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وأنسى، كما قال شياطين الإنس والجن، وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الإنس، روى[5] أنه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان

---

(١) أى لعطف الناس الخامس على الملتجأ منهم وهم الجنة ، فإن الجنة مفسدون فكذا الناس الذين عطفوا عليهم .

(٢) أى اسم مصدر وهذا رأى الزمخشرى ، وقال بعض أئمة اللغة إن فعلل ضربان صحيح كدحرج، وثنائى مكرر كصلصل ولهما مصدران مطردان فعللة كوسوسة ودحرجة، وفعلال كوسواس ودِحراج بالكسر وهو أقيس والفتح شاذ لكنه كثر فى المكرر كتمتام وفأفاء .

(٣) هو صاحب العاج كما قال سيبويه .

(٤) بائع البتّ وهو الطيلسان أى الثوب الأسود من خز ونحوه :

(٥) الحديث مروى فى الصحيحين وغيرهما وأنكره المعتزلة لأن من أسباب رد الحديث استحالة ما جاء فيه ، وهم يرون استحالة التأثر بالسحر فى حق الأنبياء ، لأن فيه حطاً لقدر النبوة واستعلاء للسحر والسحرة عليها، ولأنه لو جاز فيهم لامتنعت الثقة بالشرع ، وقالوا إن تجويز تأثرهم بالسحر فيه تأييد للكفار الذين قالوا فيه صلى الله عليه وسلم إنه مسحور ، وذلك مخالف لنص القرآن الكريم ، وأجاب أهل السنة بأجوبة منها أن السحر إنما سلط على جسده لا على عقله وقلبه واعتقاده والذى يضر إنما هو تسلطه على عقله إلى غير ذلك والله تعالى أعلم .

وهو نائم ، فقال أحدهما لصاحبه ما باله ؟ فقال طُب[1] قال ومن طبه ؟ قال لبيد بن أعصم اليهودى ، قال و بم طبه ؟ قال بمشط ومُشاطة فى جُف[2] طلعة تحت راعوفة[3] فى بئر ذى أروان، فانتبه صلى الله عليه وسلم، فبعث زبيراً وعلياً وعماراً رضى الله عنهم، فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجف ، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه ، وإذا فيه وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر، فنزلت هاتان السورتان، فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة ، حتى قام صلى الله عليه وسلم عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل يقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ، ولهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية ، والهندية فإنه لا يحل اعتقاده والاعتماد عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ، ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ونبيه وصفيه ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الأنام ، وأصحابه مفاتيح دار السلام ، صلاة دائمة ما دامت الليالى والأيام .

---

(١) أى سحر .

(٢) المشاطة ما سقط من الشعر عند ترجيله بالمشط ، والجف وعاء الطلع .

(٣) راعوفة البئر وأرعوفته صخرة تترك فى أسفل البئر إذا احتفرت، تكون هناك ليجلس المستقى عليها حين التنقية ، أو تكون على رأس البئر يقوم عليها المستقى ، والمراد هنا المعنى الأول ، والله تعالى أعلم ، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

استدراك

تم بتوفيق الله تعالى طبع كتاب توضيح النسفى (مقرر السنة الخامسة الثانوية بالمعاهد الدينية) .

وقد يسر الله فيه من البيان والضبط ، والاستيعاب والتصحيح ، والطبع الأنيق ، والمنظر المشرق ، ما يريح الخاطر ، ويرضى الرغبات ، وييسر السبيل إلى كتاب النسفى الجليل .

وإنك إن عثرت فيه على خطأ مطبعى – مع ندرته – فالتمس العذر لطابعيه ، فإن التعليق المرقَّم على كتاب علمى دقيق كهذا فيه من الصعوبة ماليس فى سواه .

ومع هذا فلن تجد تعليقاً جاوز موضعه على الإطلاق .

وقد ذكرنا فى الصفحة التالية ما فى الكتاب من الخطأ ، وبينا صوابه ، وستشعر بمبلغ الجهد الذى بذل فى تصحيحه حين ترى الأخطاء قليلة جداً ، وهى مع ذلك قسرية على المصحح ، فقد مرت يده المصلحة عليها فحدث فيها السهو أو التحريف من الطابعين أثناء العمليات الأخيرة .

فنرجو أن يعمد القارىء إلى تصويب الأخطاء المبينة ، والله الهادى إلى سواء السبيل ، والمرشد إلى مسالك التأويل .

الخطأ والصواب

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١٧	١٤	متعلق بمحذوف	متعلق بثابت الآتى
١٧	١٤	أى كائن بدخول	أى ثابت بدخول
١٧	٢٤	فلا تفعليه	فلا تفعله
٢١	٢٤	والمطلقه	وتصبح كالمطلقة
٢٣	٧	عدة الحامل	عدة الحائل
٢٣	١٩	للرجعية لأنها	للرجعية الحائل لأنها
٢٦	٢٢	للذين هم	اللَّذَيْن هم
٢٩	٢٦	الامتناع	منع النفس
٣١	١٨	ذلك اليمين	تلك اليمين
٣٦	٢	خلك	خَلَلَكَ
٣٧	٢	والوعد	والوعيد
٣٧	٢٠	أيها المؤمنون	أيها الكافرون
٤٢	٢٤	فى إطالتها طبه	فى إطالتها لنفسه طبه
٤٧	١٦	من المزيد بحذف الزائد	من الثلاثى
٧٥	٥	جميع	جمع
٧٩	٨	ملاقَ	ملاقٍ
١٢٥	٢١	بالكسر	بالكسر أو الفتح
١٣٣	٢٢	يطلبَ	يطلبُ
١٤١	١٠	أو مايؤدى	أى ما يؤدى
١٥٩	١٢	وَقَيْفَةَ	[احذفها من أول السطر]
١٦٠	١٥	الالتفات	الالتفاف
١٦٠	١٨	بواسطة	بوساطة
١٦٣	١٧—١٨	بردٍ أكياشٍ	بردُ أكياشٌ
١٦٤	١٣	قرأ غيرهم	قراءة غيرهم
١٧٠	٥	والتخصص	والتخصيص
١٧٣	١٧	أى فصل	أى فصلوا
١٧٥	٦	أى قسم	أى أقسم
١٩٣	٢	أننا	أننا
٢٠٤	١٣	أن أريد	إن أريد
١١٢	٨	ومن لصب	ومن نصب
٢٣٢	٤	عظّ قدر	عظّم قدر
٢٤٩	٢	ونهيه	ونُهْيَةٌ
٢٥٩	١٨	وذكّرد	وذكّر
٢٦٠	١٢	صمير	ضمير
٢٨٥	١٣	بدل من أن يقال	بدل أن يقال
٢٩٢	٢٥	إنابة	إثابة
٢٩٣	٨	قدح فأصلد	وقدح فأصلد
٢٩٨	٣	ألكن	الكن
٣٠٣	١	لحرم	الحرم
٣٠٧	١٠	بهذ	بهذا
٣١٢	٥	تجب والله سل أعلم	سل تجب والله أعلم
٣١٦	١٠	إمرأته	امرأته
٣١٨	١٩	صعد إليه	صمد إليه

فهرس
توضيح النسفي

من التغابن إلى آخر القرآن — مقرر السنة الخامسة الثانوية بالمعاهد الدينية

